مكتبة

استدعاء ذاتي

مكتبة ٨٨١

أدب أمريكي معاصر

بليك كراوتش

ترجمة: عبد الرحيم يوسف

رواية

المحروسة

مكتبة | 881
سُر مَن قرأ

استدعاء ذاتي

عنوان الكتاب: استدعاء ذاتي Recursion
المؤلف: بليك كراوتش Blake Crouch
ترجمة: عبد الرحيم يوسف
مراجعة لغوية: محمد حمدي أبو السعود

t.me/t_pdf

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 28432157 02 002

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٠٧٤ / ٢٠٢٠
الترقيم الدولي: 978-977-313-822-6

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2020

RECURSION by Blake Crouch © 2019

مكتبة | 881
سُر مَن قرأ

استدعاء ذاتي

بليك كراوتـش

ترجمة

عبد الرحيم يوسف

رواية

16 7 2022

الطبعة الأولى 2020

مكتبة
t.me/t_pdf

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كراوتش، بليك
استدعاء ذاتي: رواية/ بليك كراوتش؛ ترجمة: عبد الرحيم يوسف.-ط1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2020
476 ص؛ 21.5×14.5 سم
تدمك 6-822-313-977-978
1 - القصص الامريكية
أ-يوسف، عبد الرحيم (مترجم)
ب- العنوان
823
رقم الإيداع 2020/20074

هــذا عمــل خيــالي. الأســماء والشــخصيات والأماكــن والأحــداث الــواردة فيــه إمــا نتــاج لخيــال المؤلــف أو مســتخدمة بطريقــة خياليــة. وأي تشــابه مــع أشــخاص حقيقيــن -أحيــاء أو أمــوات- أو أحــداث أو أماكــن حقيقيــة هــو مــن قبيــل الصدفــة تمامًــا.

إلى جاك

السِفر الأول

ما الوقت إلا ذكرى في طور التشكل.

فلاديمير نابوكوف

باري

مكتبة
t.me/t_pdf

2 نوفمبر 2018

يتوقف باري ساتون بسيارته في حارة سيارات الحريق عند المدخل الرئيسي لمبنى (بو)؛ وهو برج من طراز (الآرت ديكو) يتوهج بلون أبيض مع إضاءة كشافاته الجدارية الخارجية. يخرج من سيارته الكراون فيك، ويهرول عبر الرصيف، ويندفع عبر الباب الدوَّار داخلا البهو.

الحارس الليلي واقف قرب صف المصاعد، يمسك بواحد منها مفتوحا بينما يسرع باري في اتجاهه، وحذاؤه يتردد صدى وقعه على الأرضية الرخامية.

يسأل باري بينما يخطو داخلا كابينة المصعد: "أي طابق؟"

"الحادي والأربعون. عندما تصعد إلى هناك، انعطف يمينا وسر الطرقة كلها قاطعا الصالة."

"سيكون هناك المزيد من رجال الشرطة بعد لحظات. أخبرهم أني قلت أن ينتظروا حتى أعطيهم إشارة."

يندفع المصعد إلى أعلى في سرعة، متناقضا مع عمر المبنى من حوله، وتتصلب أذنا باري بعد ثوان قليلة. وعندما تنفتح الأبواب أخيرا، يخرج مارا بلافتة لشركة قانونية. ثمة مصابيح مضاءة هنا وهناك، لكن الطابق يظل في أغلبه مظلما. يعدو فوق السجاد، مارًا بمكاتب صامتة، وحجرة اجتماعات، وحجرة استراحة، ومكتبة. ينفتح الرواق أخيرا على مساحة استقبال يقترن بها المكتب الأكبر.

في الضوء الخافت، تبدو التفاصيل كلها غارقة في ظلال رمادية. مكتب ضخم من الماهوجني مدفون تحت الملفات وأوراق العمل. منضدة دائرية مغطاة بدفاتر الملاحظات وأكواب القهوة الباردة مُرَّة الرائحة. بار به حوض ماء، وقد امتلأ البار بمخزون استثنائي من زجاجات ويسكي ماكالان رير. حوض سمك زجاجي متوهج يطنُّ في الجانب البعيد من الحجرة ويضم سمكة قرش صغيرة وعدة أسماك استوائية.

وعندما يقترب باري من الأبواب الزجاجية الفرنسية، يُسكت هاتفه ويخلع حذاءه. يمسك المقبض ويفتح الباب بهدوء وينزلق خارجا إلى الشرفة.

ناطحات السحاب المحيطة في الجانب الغربي الشمالي لمانهاتن تبدو روحانية في أكفانها المضيئة من الضباب. ضوضاء المدينة عالية وقريبة - أبواق سيارات تتردد بين المباني وعربات إسعاف بعيدة تسرع نحو ثمة مأساة أخرى. برج مبنى (بو) في الأعلى بأقل من خمسين قدما - تاج من الزجاج والفولاذ والبناء القوطي.

تجلس المرأة على مبعدة خمسة عشر قدما إل جوار ميزاب ماء متآكل، ظهرها إلى باري، وساقاها تتدليان فوق الحافة.

يقـترب بوصـات، والبلاطـات المبتلـة تـسرب المـاء عـبر جوربـه. لـو أمكـن أن يقـترب بمـا يكفـي دون اكتشـافه، سـيجرها بعيـدا عـن الحافـة قبـل أن تعـرف مـا...

"أشم رائحة الكولونيا التي تضعها.." تقول دون أن تنظر خلفها.

يتوقف.

تدير وجهها ناظرة إليه وتقول: "خطوة أخرى وأقفز."

مـن الصعـب التحديـد في الإضـاءة المحيطـة، لكـن يبـدو أنهـا في حـوالي الأربعـين. ترتـدي سـترة غامقـة وتنـورة بنفـس اللـون، ولا بـد أنهـا كانـت جالسـة هنـا في الخـارج لفـترة، لأن شـعرها كان مبططـا مـن بخـار المـاء في الضبـاب.

تسأل: "من تكون؟"

"باري ساتون. أنا محقق في شعبة السطو المركزية بشرطة نيويورك."

"أرسلوا شخصا من شعبة السطو...؟"

"تصادف أن كنت الأقرب. ما اسمك؟"

"آن ڤوس بيترز."

"هل يمكنني أن أدعوكي آن؟"

"بالتأكيد."

"هل يوجد أحد يمكنني أن أتصل به من أجلك؟"

تهز رأسها.

"سـأخطو إلى هنـا حتـى لا تضطـري إلى الاسـتمرار في لـوي عنقـك كي تنظـري إليّ."

يتحرك باري مبتعدا عنها إلى زاوية تجعله أيضا عند حاجز الشرفة، على مبعدة ثمانية أقدام من حيث تجلس. يلقي نظرة سريعة من فوق الحافة، تتقلص أحشاؤه.

تقول: "حسنا، دعنا نسمعها.."

"معذرة؟"

"ألست هنا كي تكلمني وتقنعني بالنزول؟ ابذل أقصى ما لديك."

كان قد قرر ما سيقوله وهو راكب في المصعد، مستذكرا تدريبه على حالات الانتحار. أما الآن، في هذه اللحظة مباشرةً، فهو يشعر بأنه أقل ثقةً. الشيء الوحيد الذي هو واثق منه أن قدميه تتجمدان.

"أعرف أن كل شيء يبدو ميؤوسا منه بالنسبة لك في هذه اللحظة، لكن هذه مجرد لحظة، واللحظات تمر."

تحدق آن مباشرة إلى أسفل جانب المبنى، على ارتفاعِ أربعمائة قدم من الشارع، وكفاها مبسوطتان على الحجر الذي بلي بفعل عقود من المطر الحمضي. كل ما عليها أن تفعله هو أن تدفع نفسها قليلا. وهو يشك أنها منقادة لمشاعرها، وتمشي على أطراف أصابعها نحو فكرة القيام بالفعل. مستجمعة تلك الطاقة النهائية اللازمة لهذا.

يلاحظ أنها ترتعد.

يسأل: "هل يمكنني أن أعطيكِ سترتي؟"

"أنا واثقة للغاية أنك لا تريد الاقتراب بأي شكل أيها المحقق."

"ولِمَ هذا؟"

"لديّ م ذ ز."

يقاوم باري الرغبة في الهروب. بالطبع سمع بـ (متلازمة الذاكرة الزائفة)، لكنه أبدا لم يعرف أو يقابل أحدا مصابا بها. ولم يتنفس

أبـدا الهـواء نفسـه. وهـو ليـس واثقـا الآن مـن أنـه ينبغـي أن يحـاول الإمسـاك بهـا. لا يريـد حتـى أن يكـون بهـذا القـرب. لا، اللعنـة عـلى هـذا. إذا تحركـت كي تقفـز، سـيحاول أن ينقذهـا، وإذا التقـط متلازمـة الذاكـرة الزائفـة أثنـاء العمليـة، فليكـن. تلـك هـي المخاطـرة التـي تتخذهـا حـين تصبـح شرطيـا.

يسأل: "منذ متى وهي لديك؟"

"ذات صبـاح، منـذ شـهر تقريبـا، وبـدلا مـن بيتـي في ميدلـبري، فيرمونـت؛ كنـت فجـأة في شـقة هنـا في المدينـة، بـألم قاتـل في رأسي ونزيـف فظيـع مـن أنفـي. في البدايـة، لم تكـن لـديّ فكـرة عـن أيـن كنـت. ثـم تذكـرت... هــذه الحيـاة أيضـا. هنـا والآن أنـا عزبـاء، أعمـل كمصرفيـة اسـتثمار، وأعيـش باسـمي العائـلي قبـل الـزواج. لكنـي أملـك..." - تلملـم نفسـها بوضـوح كي تقـاوم عواطفهـا - "ذكريـات عـن حيـاتي الأخـرى في فيرمونـت. كنـت أمًّـا لولـد في التاسـعة مـن عمـره اسـمه سـام. كنـت أديـر مشروعـا لتنسـيق حدائـق البيـوت مـع زوجـي: جـو بيهرمـان. كنـتُ آن بيهرمـان. كنـا سـعداء كـما يحـق لأي شـخص أن يكـون."

يسأل باري وهو يأخذ خطوة أقرب خفيةً: "وكيف يبدو الأمر؟"

"ما هذا الذي كيف يبدو؟"

"ذكرياتك الزائفة عن تلك الحياة في فيرمونت."

"أنـا لا أذكـر زفـافي فقـط. أذكـر العـراك حـول تصميـم الكعكـة. أذكـر أصغـر تفاصيـل بيتنـا. ابننـا. كل لحظـة في ميـلاده. ضحكـه. الوحمـة عـلى خـده الأيـسر. يومـه الأول في المدرسـة وكيـف كان يريـد ألا أتركـه. لكـن عندمـا أحـاول رسـم صـورة في خيـالي لسـام، يكـون فيهـا باللونـين بالأبيـض والأسـود. لا لـون في عينيـه. أقـول لنفـسي إنهـما كانتـا زرقاويـن. ولا أرى إلا اللـون الأسـود.

كل ذكرياتي من هذه الحياة في ظلال من اللون الرمادي، مثل اللقطات الثابتة في (الفيلم نوار)[1]. تبدو حقيقية، لكنها ذكريات مسكونة بالأشباح." وتنهار باكية: "يعتقد الجميع أن متلازمة الذاكرة الزائفة هي مجرد ذكريات زائفة عن اللحظات الكبيرة في حياتك، لكن ما يؤلم أكثر بكثير هو اللحظات الصغيرة. أنا لا أتذكر زوجي فقط، بل أتذكر رائحة أنفاسه في الصباح عندما كان يتقلب ويواجهني في الفراش. وكيف في كل مرة كان ينهض فيها قبلي كي يغسل أسنانه، كنت أعرف أنه سيعود إلى الفراش ويحاول ممارسة الجنس. تلك هي الأشياء التي تقتلني. أصغر التفاصيل الكاملة التي تجعلني أعلم أن هذا حدث."

يسألها باري: "وماذا عن هذه الحياة؟ ألا تساوي شيئا بالنسبة لك؟"

"ربما يصاب بعض الناس بمتلازمة الذاكرة الزائفة ويفضلون ذكرياتهم الحالية عن ذكرياتهم الزائفة، لكن لا يوجد أي شيء في هذه الحياة أريده. لقد حاولت، لمدة أربعة أسابيع طويلة. لا يمكنني التظاهر أكثر من ذلك." تحفر الدموع دروبًا عبر كحل عينيها. "ابني لم يكن موجودا أبدا. هل تفهم هذا؟ هو مجرد اختلال جميل في عقلي."

يجازف باري بخطوة أخرى نحوها، لكنها تلمحه هذه المرة.

"لا تقترب خطوة واحدة أكثر."

"أنت لست وحدك."

"أنا وحيدة إلى درجة لعينة."

---

(1) مصطلح سينمائي باللغة الفرنسية في الأصل يُستخدم للتعبير عن أفلام الجريمة والدراما الهوليودية، خصوصا تلك التي ترتكز بمحتواها على التصرفات المفعمة بالتهكم والتشاؤم والدوافع الجنسية. والتي اعتمدت على التصوير بالأبيض والأسود واللعب بالظلال والإضاءة.

"أنا لم أعرفك إلا منذ دقائق قليلة، وسأتحطم لو قمت بهذا. فكري في الناس الذين في حياتك والذين يحبونك. فكري كيف سيشعرون."

تقول آن: "لقد تعقبت أثر جو.."

"من؟"

"زوجي. كان يعيش في بيت هناك في لونج آيلاند. تصرف وكأنه لا يعرفني، لكني أعرف أنه عرفني. كانت لديه حياة أخرى كاملة. كان متزوجا... لا أعرف ممن. ولا أعرف إن كان لديه أطفال. تصرف كما لو **كنت** مجنونة."

"أنا آسف يا آن."

"هذا يؤلم أكثر مما يُحتمل."

"انظري، لقد كنتُ حيث كنتِ. لقد أردتُ أن أنهي كل شيء. وأنا واقف هنا الآن حالا أقول لك إني سعيد لأني لم أفعل. أنا سعيد لأنه كانت لديّ القوة كي أنجو من ذلك. هذه اللحظة السيئة ليست كتاب حياتك. إنها مجرد فصل."

"ماذا حدث لك؟"

"فقدت ابنتي. لقد كسرت الحياة قلبي أيضا."

ترنو آن إلى الأفق المتوهج. "هل لديك صور لها؟ هل مازلت تتحدث مع الناس عنها؟"

مكتبة
t.me/t_pdf

"نعم."

"على الأقل كانت موجودة يوما ما."

ببساطة لا شيء يمكنه أن يقوله ردا على هذا.

تنظر آن إلى أسفل من بين ساقيها مرة أخرى. وتركل فردة من حذائها الخفيف.

وتراقبه وهو يسقط.

ثم ترسل الفردة الأخرى وراءها في سقوط عمودي.

"آن، من فضلك."

"في حياتي السابقة، حياتي الزائفة، قفزت زوجة جو، فراني، من هذا المبنى، من هذه الحافة في الحقيقة، منذ خمسة عشر عاما. كان لديها اكتئاب سريري. أعرف أنه لام نفسه. قبل أن أترك بيته في لونج آيلاند، أخبرت جو أني سأقفز من فوق مبنى (بو) الليلة، بالضبط مثل فراني. يبدو هذا سخيفا وبائسا، لكني تمنيت أن يظهر هنا الليلة وينقذني. مثلما فشل في أن يفعل من أجلها. في البداية، ظننت أنك قد تكون هو، لكنه لا يضع كولونيا أبدا." تبتسم - بحزن - وتضيف: "أنا عطشانة."

يلقي باري نظرة عبر الأبواب الفرنسية الزجاجية والمكتب المظلم، ويرى شرطيَّ دورية واقفين على أهبة الاستعداد قرب صالة الاستقبال. يعود بناظريه إلى آن. "إذًا لماذا لا تهبطين من هنالك، وسندخل معا ونأتي لك بكوب من الماء."

"هلا تأتي به إليّ هنا في الخارج؟"

"لا أستطيع أن أتركك."

ترتعش يداها الآن، ويلاحظ عزما مفاجئا في عينيها.

تنظر إلى باري وتقول: "هذا ليس خطأك. كان الأمر سينتهي دومًا بهذه الطريقة."

"آن، لا...."

"لقد انمحى ابني."

وبرشاقة عفوية، تنزلق ببساطة من فوق الحافة.

هيلينا

22 أكتوبر 2007

واقفـة أسـفل الـدُش في السادسـة صباحـا، محاولـة أن تسـتيقظ بينـما يغمـر المـاء السـاخن جلدهـا، يجتـاج هيلينـا شـعور حـاد أنهـا عاشـت هـذه اللحظـة نفسـها مـن قبـل. لا شيء جديـد. فقـد ابتُليـت بإحسـاس عيـش نفـس اللحظـة مـن قبـل منـذ عشرينياتهـا. إضافـة إلى ذلـك، لا يوجد شيء مميـز بطريقـة خاصـة في هـذه اللحظـة أسـفل الـدُش. وهـي تتسـاءل إن كانـت شركـة (ماونتنسـايد كابيتـال) قـد راجعـت مقترحهـا بعـد. لقـد مـر أسـبوع. كان ينبغـي أن يصلهـا شيء قبـل الآن. كان ينبغـي عـلى الأقـل أن يتصلـوا بهـا داعـين إياهـا إلى لقـاء لـو أنهـم كانـوا مهتمـين.

تعـد إنـاء قهـوة وتصنـع إفطارهـا المعتـاد - فـول أسـود، ثـلاث بيضـات مقليـات عـلى الوجهـين، ومرشوشـة بكاتشـاب خفيـف. تجلـس إلى طاولـة

صغيرة قرب النافذة، تراقب السماء وهي تمتلئ بالضوء فوق حيها على أطراف سان خوسيه.

لم تحظ بيوم تقوم فيه بالغسيل لأكثر من شهر، وكانت أرضية حجرة نومها مغطاة فعليا بالملابس القذرة. تنبش في الأكوام حتى تجد تيشيرتا وبنطلون جينز لا تخجل تماما من مغادرة البيت فيهما.

يرن الهاتف بينما هي تدعك أسنانها بالفرشاة. تبصق وتتمضمض وتلحق بالمكالمة في الرنة الرابعة بحجرة نومها.

"كيف حال فتاتي؟"

صوت أبيها يجعلها تبتسم دائما.

"أهلا بابا."

"ظننت أني لم ألحق بك. لم أرد أن أزعجك في المعمل."

"لا، لا بأس، ما الأمر؟"

"فقط أفكر فيكِ. هل هناك أي شيء عن مقترحك؟"

"لا شيء بعد."

"لديّ بالفعل إحساس طيب أنه سيحدث."

"لا أعرف. هذه مدينة صعبة. كثير من المنافسة. كثير من الأشخاص الأذكياء فعلا يبحثون عن المال."

"لكنهم ليسوا في ذكاء فتاتي."

لا يمكنها تقبل المزيد من إيمان أبيها بها. ليس في صباح كهذا، بينما يلوح طيف الفشل عملاقا، وهي جالسة في حجرة نوم صغيرة قذرة ذات حوائط فارغة، في بيت عاطل من الزينة لم تأت إليه بشخص واحد طوال ما يزيد على العام.

تسأل كي تغير الموضوع: "كيف حال الطقس؟"

"تساقط الثلج ليلة الأمس. أول ثلوج الموسم."

"كثير؟"

"بوصة أو اثنتان فقط. لكن الجبال بيضاء."

يمكنها تصورها - سلسلة جبال روكي الأمامية، جبال طفولتها.

"كيف حال ماما؟"

وهنا ثمة توقف لأقصر فترة ممكنة.

"أمك بخير."

"بابا."

"ماذا؟"

"كيف حال ماما؟"

تسمعه يتنهد ببطء. "مررنا بأيام أفضل."

"هل هي بخير؟"

"نعم. هي في الدور العلوي نائمة الآن."

"ماذا حدث؟"

"لا شيء."

"قل لي."

"ليلة الأمس، لعبنا بأوراق اللعب لعبة (جين رومي) بعد العشاء، مثلما نفعل دائما. وفقط هي... هي لم تعد تعرف إطلاقا القواعد. جلست إلى طاولة المطبخ، تحدق في أوراقها، والدموع تسيل على وجهها. لقد لعبناها معا طوال ثلاثين عاما."

تسمع يده وهو يغطي بها السماعة.

هو يبكي، على مبعدة ألف ميل.

"بابا، أنا عائدة إلى البيت."

"لا يا هيلينا."

"أنت بحاجة لمساعدتي."

"لدينا عون جيد هنا. ونحن ذاهبان إلى الطبيب بعد ظهر اليوم. إذا كنت تريدين مساعدة أمك، احصلي على تمويلك واحصلي على مقعدك."

هي لا تريد أن تقول له، لكن المقعد مازال على مبعدة سنوات. على مبعدة سنوات ضوئية. إنه حلم، سراب.

تمتلئ عيناها بالدموع. "أنت تعرف أني أفعل هذا من أجلها."

"أعرف يا حبيبة قلبي."

للحظة، كلاهما صامت، يحاول أن يبكي دون أن يعرف الآخر، ويفشلان على نحو بائس. هي لا تريد شيئا أكثر من أن تقول له إن هذا سيحدث، لكن هذا سيكون كذبا.

تقول: "سأتصل عندما أعود الليلة.."

"طيب."

"من فضلك قل لأمي إني أحبها."

"سأفعل. لكنها تعرف بالفعل."

بعد أربع ساعات، في عمق مبنى علم الأعصاب في مدينة (بالو آلتو)، هيلينا تفحص صورة من ذاكرة فأر لحظة شعوره بالخوف - خلايا عصبية مضاءة بالفلورسنت متصلة بشبكة عنكبوتية من نقاط الاشتباك العصبي - عندما يظهر الغريب في مدخل مكتبها. تتطلع من فوق شاشتها إلى رجل يرتدي بنطالا قطنيا من قماش تشينو وتيشيرت أبيض، وله ابتسامة متعددة الظلال مشرقة أكثر من اللازم.

يسأل: "هيلينا سميث؟"

"نعم؟"

"أنا جي-وون تشيركوفر. هل لديك دقيقة لنتحدث معا؟"

"هذا مختبر آمن. ليس من المفترض أن تكون هنا."

"أعتذر عن التطفل، لكني أعتقد أنك ستودين الاستماع إلى ما يجب عليّ أن أقوله."

كان بمقدورها أن تطلب منه الرحيل، أو تستدعي الأمن. لكنه لا يبدو مصدر تهديد.

تقول: "حسنا.." وفجأة يسطع في ذهنها إدراك أن هذا الرجل يمثل شاهدا على الحجرة الحلم لكل مكتنز والمتمثلة في مكتبها - بلا نوافذ، ضيق، جدران من الطوب الخرساني المغطى بطبقة من الدهان، ويغدو كل شيء خانقا أكثر مع وجود صناديق المصرفيين المكدسة بارتفاع ثلاثة أقدام وفي صفين حول مكتبها؛ مليئة بآلاف الملخصات والمقالات. "آسفة على الفوضى. دعني آتي لك بمقعد."

"حصلت عليه."

يسحب جي-وون مقعدا مطويا ويجلس قبالتها، وعيناه تمران على الجدران، المغطاة تقريبا بصور عالية الدقة لذكريات الفأر والانبعاثات العصبية لمرضى الخرف والألزهايمر.

تسأله: "ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟"

"صاحب عملي مأخوذ جدا بمقال فن تصوير الذاكرة الذي نشرتيه في مجلة (نيورون)."

"هل لدى صاحب عملك اسم؟"

"حسنا، هذا يعتمد..."

"على...؟"

"الطريقة التي تسير بها هذه المحادثة."

"ولماذا حتى أجري محادثة مع شخص بينما لا أعرف من يتكلم بالنيابة عنهم؟"

"لأن أموال منحتك من جامعة ستانفورد ستنفد في غضون ستة أسابيع."

ترفع حاجبا.

يقول: "رئيسي يدفع لي جيدا كي أعرف كل شيء عن الناس الذين يجدهم مهمين."

"أنت تعرف أن ما قلته للتو مزعج تماما، صحيح؟"

يمد جي-وون يده داخل حقيبته الجلدية، ويُخرج وثيقة في غلاف أزرق.

مقترحها.

تقول: "بالطبع! أنت مع ماونتنسايد كابيتال!"

"لا. وهم لن يقدموا لك تمويلا."

"إذًا كيف حصلت على هذا؟"

"لا يهم. لا أحد سيمولك."

"كيف تعرف؟"

"لأن هـذا..." ويلقـي مقترحهـا للمنحـة عـلى أطـلال مكتبهـا. "مقـترح خجـول. إنـه فقـط مزيـد مـما كنـت تفعلينـه في سـتانفورد طـوال السـنوات الثـلاث الماضيـة. إنهـا ليسـت فكـرة كبـيرة بمـا يكفـي. أنـت في الثامنـة والثلاثـين، وهـو مـا يقـارب سـن التسـعين في العـالم الأكاديمـي. ذات يـوم في المسـتقبل غـير البعيـد ستسـتيقظين وتدركـين أن أفضـل أيامـك ولَّـت. أنـك أضعـتِ ..."

"أعتقد أنك ينبغي أن ترحل."

"لا أقصـد إهانتـك. إذا لم تمانعـي في قـولي، مشـكلتك أنـك خائفـة مـن طلـب مـا تريدينـه فعـلا." يخطـر لهـا أن هـذا الغريـب، لسـبب مـا، يسـتثير غضبهـا. وهـي تعلـم أنهـا لا ينبغـي أن تسـتمر في التـورط، لكنهـا لا تسـتطيع تفـادي الأمـر.

"ولماذا أنا خائفة من طلب ما أريده فعلا؟"

"لأن مـا تريدينـه بالفعـل أكـبر مـما هـو متـاح. أنـت لا تحتاجـين رقـما بسـت أصفـار. تحتاجـين رقـما بثمانيـة أصفـار. ربمـا تسـعة. تحتاجـين فريقـا مـن المبرمجـين لمسـاعدتك في تصميـم خوارزميـة مـن أجـل فهرسـة وعـرض الذاكـرة المعقـدة. البنيـة التحتيـة للتجـارب عـلى البـشر."

تحـدق فيـه مـن وراء المكتـب. "لم أذكـر قـط التجـارب عـلى البـشر في ذلـك المقـترح."

"مـاذا لـو أخبرتـك أننـا سـنعطيكِ أي شيء تطلبينـه؟ تمويـل غـير محدود. هل سـتهتمين؟"

يدق قلبها أسرع وأسرع.

هل هكذا يحدث الأمر؟

تفكر في المقعد ذي الخمسين مليون دولار الذي كانت تحلم بصنعه منذ بدأت أمها تنسى الحياة. الغريب أنها لا تتخيله قط مكتمل الصنع، بل فقط كرسومات تقنية في طلب براءة الاختراع الذي سترسله ذات يوم، معنونا باسم: **منصة ثلاثية الأبعاد لعرض الذكريات طويلة الأمد والواضحة والمسلسلة.**

"هيلينا؟"

"لو قلت نعم، هل ستخبرني باسم رئيسك؟"

"نعم."

"نعم."

ويخبرها.

وبينما يسقط فكها حتى يضرب سطح المكتب، يسحب جي-وون وثيقة أخرى من حقيبته ويناولها لها من فوق صناديق المصرفيين.

تسأل: "ما هذا؟"

"عقد توظيف واتفاق سري. غير قابل للتفاوض. أعتقد أنك ستجدين البنود المالية سخية جدا."

مكتبة
t.me/t_pdf

باري

4 نوفمبر 2018

يحتل المقهى بقعة فاتنة على ضفاف نهر هدسون، في ظلال طريق ويست سايد السريع. يصل باري خمس دقائق مبكرا ليجد جوليا جالسة بالفعل إلى مائدة أسفل مظلة. يتشاركان عناقا قصيرا هشا، وكأنهما مصنوعان من الزجاج هما الاثنان.

يقول: "من الطيب أن أراكِ."

"أنا سعيدة لأنك رغبت في القدوم."

يجلسان. يجيئهما نادل ليتلقى طلبيهما من المشروبات.

يسألها باري: "كيف حال أنتوني؟"

"عظيم. مشغول بإعادة تصميم ردهة (مبنى لويس). هل عملك بخير؟"

لا يخبرها بأمر الانتحار الذي فشل في منعه ليلة أول أمس. وبدلا من ذلك، يثرثران قليلا حتى تصل القهوة.

إنه الأحد، والحشود الخارجة لتناول وجبة الإفطار المتأخر حاضرة بكامل قوتها. كل مائدة في الجوار تبدو مرجلا يضج بأحاديث الصحبة والضحك، لكنهما يرتشفان قهوتيهما بهدوء في الظل.

لا شيء وكل شيء يقال.

ترف فراشة حول رأس باري حتى يهشها بعيدا عنه برفق.

أحيانا، في وقت متأخر من الليل، يتخيل أحاديث مطولة مع جوليا. حوارات يقول فيها كل شيء كان يتقيح في قلبه طوال هذه السنوات - الألم، الغضب، الحب - وبعد ذلك ينصت إليها بينما تفعل المثل. تنقية أجواء إلى حد أنه يفهمها أخيرا وتفهمه.

لكن في اجتماعهما شخصيا، لا يبدو الأمر صحيحا قط. لا يستطيع أن يجعل نفسه تبوح بما في قلبه، الذي يشعر دائما أنه مقبوض ومحكم الغلق، محاط بما يشبه نسيج الندبة. لا يزعجه الارتباك كما كان من قبل. لقد عقد سلاما مع فكرة أن جزءا من الحياة يواجه نوبات فشلك، وأحيانا تكون هذه النوبات من الفشل هي الأشخاص الذين أحببتهم ذات يوم.

تقول جوليا: "أتساءل ماذا كانت لتفعل اليوم.."

"آمل لو كانت جالسة معنا الآن."

"أقصد بالنسبة للعمل."

"آه. محامية بالتأكيد."

تضحك جوليا - ضحكتها واحدة من أعظم الأصوات التي سمعها في حياته - وهو لا يتذكر آخر مرة سمعها فيها. جميلة لكنها أيضا

ساحقة لمن يعاينها. كنافذة سرية تطل على داخل الشخص الذي كان يعرفه فيما مضى.

تقول جوليا: "كانت لتجادل حول أي شيء، وكانت تفوز عادةً."

"كنا خصمين سهلين."

"أحدنا هو من كان."

"أنا؟" يقولها بغضب مصطنع.

"قبل سن الخامسة، كانت قد اكتشفت أنك الطرف الضعيف."

"أتتذكري المرة التي أقنعتنا فيها بأن نتركها تتدرب على الرجوع بالسيارة إلى الخلف في الممر القصير من الشارع إلى البيت..."

"أقنعتك أنت."

".... وقادت سيارتي عبر باب الجراج؟"

تنخر جوليا مطلقة ضحكة مفاجئة. "كانت مضطربة جدا."

"لا، محرجة." ولنصف ثانية، تستحضر عين عقله الذكرى. أو على الأقل جزءا منها. ميجان خلف عجلة قيادة سيارته الكامري القديمة، ونصفها الخلفي مخترق باب الجراج، ووجه ميجان أحمر والدموع تسيل متساقطة بينما تتشبث يداها في ذعر بعجلة القيادة. "كانت عنيدة وذكية وكانت لتصنع من حياتها شيئا مهما." ينهي قهوته ويصب فنجانا آخر من إبريق القهوة الفرنسية المعدني الذي يتشاركانه.

تقول جوليا: "من اللطيف أن نتحدث عنها.."

"أنا سعيد لأني استطعت أخيرا."

يجيء النادل لأخذ طلباتهما من الطعام، وتعود الفراشة، تحط على سطح المائدة إلى جوار منديل سفرة باري الذي مازال مطويا.

تفـرد أجنحتهـا. تتمطـى. يحـاول أن يهـش عـن ذهنـه فكـرة أنهـا ميجـان، الفكـرة التـي تطـارده بشـكل مـا اليـوم بالـذات مـن بـين كل الأيـام. إنـه تصـور غبـي، بالتأكيـد، لكـن الفكـرة تلـح عليـه. مثـل تلـك المـرة التـي تبعـه فيهـا عصفـور أبي الحنـاء لثماني مربعـات سـكنية في حـيّ (نوهـو). أو خـلال تمشـية قريبـة مـع كلبـه في منتـزه (فـورت واشـنطن)، عندمـا ظلـت دعسـوقة تحـط عـلى رسـغه.

وعندمـا يصـل الطعـام، يتخيـل بـاري ميجـان جالسـة عـلى المائـدة معهـما. وقـد لانـت حـواف المراهقـة الخشـنة. حياتهـا بأكملهـا أمامهـا. لا يمكنـه أن يـرى وجههـا، مهـما حـاول جاهـدا، فقـط يديهـا، في حركـة مسـتمرة بينـما تتكلـم، بنفـس الطريقـة التـي تتحـرك بهـا أمهـا عندمـا تكـون واثقـة مـن شيء مـا ومتلهفـة عليـه.

هـو ليـس جائعـا، لكنـه يجـبر نفسـه عـلى الأكل. يبـدو وكأن هنـاك شـيئا مـا في بـال جوليـا، لكنهـا تكتفـي بالتقـاط بقايـا طبقهـا مـن الفريتّاتـا[1]، ويأخـذ هـو شربـة مـن المـاء وقضمـة أخـرى مـن شـطيرته ويحـدق في النهـر البعيـد.

ينبـع نهـر هدسـون مـن بحـيرة صغـيرة في جبـال آديرونـداك اسـمها بحـيرة تـير أوف ذي كلاودس (دمعـة الغيـوم). ذهبـوا إلى هنـاك ذات صيـف عندمـا كانـت ميجـان في الثامنـة أو التاسـعة. عسـكروا وسـط أشـجار الصنوبـر. شـاهدوا النجـوم وهـي تسـقط. حاولـوا أن يسـتوعبوا بعقولهـم فكـرة أن هـذه البحـيرة الجبليـة الضئيلـة هـي منبـع الهدسـون. تلـك ذكـرى يعـود إليهـا بشـكل مهـووس تقريبـا.

---

(1) طبـق إيطـالي الأصـل، سـهل التحضـير ويقـدَّم عـادة عـلى الفطـور، يتكـون مـن بيـاض البيـض وجـبن الكريمـة والطماطـم المجففـة وورق الريحـان أو الحبـق والخبـز المحمـص، ويشـبه طبـق العجـة المصريـة.

تقول جوليا: "تبدو مشغول البال."

"كنـت أتذكـر تلـك الرحلـة التـي قمنـا بهـا إلى بحـيرة تـير أوف ذي كلاودس. أتذكريـن؟"

"بالطبـع. اسـتغرق الأمـر منـا سـاعتين كي ننصـب الخيمـة وسـط عاصفة مطيرة."

"ظننت أن الجو كان صحوا."

تهز رأسها. "لا، ارتعشنا في الخيمة طوال الليل ولم ينم أحد منا."

"أواثقة أنت من هذا؟"

"بـلى. كانـت تلـك الرحلـة أسـاس قـراري بعـدم الخـروج إلى البريـة مـرة أخـرى قط."

"صحيح."

"كيف لك أن تنسى هذا؟"

"لا أعـرف." الحقيقـة هـي أنـه يفعـل هـذا باسـتمرار. ينظـر إلى الخلـف دائمـا، عائشـا في الذكريـات أكـثر مـما يعيـش في الحـاضر، وكثـيرا مـا يبـدل فيهـا كي يجعلهـا أجمـل. كي يجعلهـا كاملـة الأوصـاف. الحنـين إلى المـاضي بالنسـبة لـه مُسـكّن لـلألم بقـدر مـا يفعـل الكحـول. يقـول أخـيرا: "ربمـا بـدت مراقبـة النجـوم السـاقطة بصحبـة فتـاتيّ كذكـرى أفضـل."

تلقـي بمنديـل مائدتهـا عـلى طبقهـا وتتكـئ بظهرهـا عـلى مقعدهـا: "مـررت قـرب بيتنـا القديـم مؤخـرا. يـاه! لقـد تغـير. هـل فعلـت هـذا مـن قبـل؟"

"من وقت لآخر."

في الحقيقـة، هـو مـازال يمـر بسـيارته إلى جـوار بيتهـم القديـم في أي مـرة يكـون لديـه عمـل في جـيرسي. فقـداه هـو وجوليـا بسـبب حجـز

شركة الرهونات عليه بعد سنة من وفاة ميجان، واليوم يشبه بالكاد المكان الذي عاشا فيه. الأشجار أطول وأكثر امتلاءا وخضرة. وهناك ملحق أعلى الجراج، وعائلة شابة تعيش هناك الآن. أعيد تشكيل الواجهة كلها بالحجر، وأضيفت نوافذ جديدة. وجرت توسعة ممر دخول السيارات وإعادة تمهيده. أرجوحة الحبال التي كانت معلقة على شجرة البلوط أُنزلت منذ سنين، لكن الحروف الأولى التي حفرها هو وميجان ذات مرة على قاعدة الجذع باقية. لمسها الصيف الماضي - بعد أن قرر بطريقة ما أن ركوب سيارة أجرة إلى جيرسي في الثانية صباحا بعد ليلة قضاها مع جوين وبقية أفراد قسم السطو المركزي كانت فكرة جيدة. كان شرطي من مدينة جيرسي قد وصل بعد أن اتصل المالكون الجدد برقم 911 للإبلاغ عن شخص متشرد في حديقتهم الأمامية. ورغم أنه كان يتعثر من السُّكْر، إلا أنه لم يُقبض عليه. كان الشرطي يعرف بأمر باري، بما حدث له. اتصل بسيارة أجرة أخرى وساعد باري على الدخول إلى المقعد الخلفي. دفع أجرة العودة إلى مانهاتن مقدما وأرسله في طريقه.

يحمل النسيم القادم من الماء لسعة باردة، والشمس دافئة على كتفيه - تناقض ممتع. تسير المراكب السياحية جيئة وذهابا في النهر. ضوضاء المرور لا تتوقف على الطريق السريع في الأعلى. صفحة السماء مليئة بتقاطعات الخطوط البيضاء المتلاشية لألف طائرة نفاثة. إنه آخر الخريف في المدينة، واحد من آخر الأيام الطيبة في العام.

يفكر كيف سيحل الشتاء قريبا، وبعد ذلك سنة أخرى تمر وسنة أخرى على كتلة التقطيع، ويتدفق الوقت أسرع وأسرع. لا تشبه الحياة ما توقع أن تكون عليه عندما كان صغيرا وعائشا في وهم أنه يمكن التحكم في الأمور. لا شيء يمكن التحكم فيه. فقط يمكن تَحمُّله.

تأتي فاتورة الحساب وتحاول جوليا أن تدفع، لكنه يخطف الورقة ويلقي ببطاقته.

"شكرا يا باري."

"شكرا لك لدعوتك إياي."

"دعنا لا نقضي عاما آخر دون أن يرى أحدنا الآخر." ترفع كوبها المليء بالماء المثلج. "نخب عيد ميلاد ابنتنا."

"نخب عيد ميلاد ابنتنا." يمكنه أن يشعر بسحابة الأسى تتجمع في صدره، لكنه يشق أنفاسه عبرها، وعندما يتحدث مرة أخرى يكون صوته أقرب ما يكون إلى العادي. "ستة وعشرون عاما من العمر."

بعد الإفطار المتأخر، يسير إلى سنترال بارك. يبدو صمت شقته أشبه بخطر مهدد في يوم عيد ميلاد ميجان، الذي لم تمض آخر خمسة أعياد منه على نحو طيب.

دائما ما تقلب رؤية جوليا أحواله. لوقت طويل بعد أن انتهى زواجهما، كان يعتقد أنه يفتقد زوجته السابقة. كان يعتقد أنه لن ينساها. كان كثيرا ما يحلم بها ويصحو على ألم غيابها يأكله حيا. تجرحه الأحلام بعمق - نصفها ذكرى، ونصفها خيال - لأنها فيها كانت تبدو أشبه بجوليا الأيام الخوالي. الابتسامة. الضحك بلا تردد. خفة الوجود. كانت المرأة التي سرقت قلبه من جديد. وطوال الصباح التالي، كانت تسكن باله، وفداحة هذه الخسارة تحدق فيه من علٍ، دون أن ترمش، حتى يرفع الدوار العاطفي الذي يخلفه الحلم قبضته أخيرا عنه كضباب ينجلي ببطء. حتى رأى جوليا مرة في أعقاب واحد من هذه الأحلام - صدفة غير متوقعة في حفل صديق قديم. لدهشته، لم يشعر بأي شيء بينما كانا يتحادثان بتكلف في

الشرفة. تداخل وجوده في حضرتها مع انسحاب الحلم؛ والحاصل أنه لم يعد يريدها. كان كشفا محررا، حتى وهو يدمره. محرر لأنه كان يعني أنه لم يحب جوليا هذه - بل أحب جوليا التي كانتها. ومدمر لأن المرأة التي سكنت أحلامه رحلت حقيقةً. ولم يعد من الممكن الوصول إليها مثلها مثل الموتى.

الأشجار في المنتزه ناحلة بعد صقيع قاس منذ عدة ليال، وأوراقها كلها محترقة بالصقيع وقد استحالت إلى لمعة خريفية متأخرة.

يجد مكانا في غابة الأشجار المدعوة (رامبل)، يخلع حذاءه وجوربه، ويتكئ بظهره على شجرة مائلة تماما. يُخرج هاتفه ويحاول أن يقرأ السيرة الذاتية التي يكدح فيها لما يقرب من عام، لكن التركيز مراوغ.

يطارده شبح آن قوس بيترز. الطريقة التي سقطت بها دون صوت، جسدها المتصلب والمنتصب. استغرق الأمر خمس ثوان، ولم يشح ببصره عندما اصطدمت بالسيارة ماركة لنكولن تاون، المصفوفة على الرصيف في الأسفل.

يمر الوقت به بين استعادة حديثهما تارة، وصراعه مع الخوف تارة أخرى. يقيس ضغط ذكرياته. يختبر دقتها. متسائلا:

كيف لي أن أعرف إن كانت واحدة منها قد تغيرت؟ ماذا ستبدو عليه؟

تتساقط أوراق الشجر الحمراء والبرتقالية عبر ضوء الشمس، متكدسة من حوله في الظل المرقط. من مكانه المميز بين الأشجار، يراقب الناس السائرين في الممرات، المتسكعين قرب البحيرة. أغلبهم مع آخرين، لكن بعضهم وحيدون مثله.

يرن هاتفه بصوت رسالة نصية من صديقته جويندولين آرتشر، قائدة فريق هركيوليز، وهو وحدة تدخل سريع لمكافحة الإرهاب ضمن وحدة خدمات الطوارئ بشرطة نيويورك.

أفكر فيك اليوم. هل أنت بخير؟

يكتب ردا عليها:

نعم. رأيت جوليا للتو.

وكيف كان هذا؟

جيد. صعب. ماذا تفعلين؟

أنهيت جولة بالدراجة للتو. وأشرب في بار إيزاك.

أتريد بعض الصحبة؟

يا إلهي نعم. في طريقي.

إنها مسيرة تستغرق أربعين دقيقة إلى البار القريب من شقة جوين في حي هيلز كيتشين، بارٌ فضيلته الوحيدة الواضحة هي عمره الطويل البالغ خمسة وأربعين عاما. سقاة سيئو المزاج يقدمون مشروبات مملة مصنوعة في المكان ويصبونها من صنبور، ولا كأس ويسكي واحد من زجاجة لا تستطيع شراءها في أي متجر بأقل من ثلاثين دولارا. الحمَّامات مقرفة ومازالت تحتوي ماكينات توزيع واقيات ذكرية مخزنة. جهاز تشغيل الموسيقي يضم أغاني روك السبعينيات والثمانينيات فقط، وإذا لم يغذ أحد الصندوق بالمال، فلا موسيقى هناك. تجلس جوين في الطرف البعيد من البار، مرتدية شورت راكبي الدراجات وتيشيرت بروكلين ماراثون باهت، ممسكة بهاتفها ضاغطة خانة الرفض في تطبيق مواعدة بينما يقترب منها باري.

يقول: "ظننت أنك أقلعتِ عن هذا!"

"لفترة، أقلعت عن جنسكم بأكمله، لكن معالجي يسوط مؤخرتي طوال الوقت كي أجرب مرة أخرى."

تنزلـق هابطـة مــن فــوق مقعــد البــار وتعانقــه، ورائحــة العــرق الخفيفـة مـن أثـر جولتهـا بالدراجـة تمتـزج مـع آثـار الاسـتحمام ومزيـل العـرق؛ لينتـج عـن كل ذلـك شيء أشـبه بالكراميـل المملـح.

يقول: "شكرا على سؤالك عني."

"لا ينبغي أن تكون وحيدا اليوم."

هـي أصغـر منـه بخمسـة عـشر عامـا، في منتصـف ثلاثينياتهـا، وبطـول سـتة أقـدام وأربـع بوصـات؛ هـي أطـول امـرأة يعرفهـا شـخصيا. وبشـعرها الأشـقر القصـير وملامحهـا الإسـكندنافية؛ هـي ليسـت جميلـة بالضبـط، لكنهـا ذات جـلال ملـكي. كثـيرا مـا تبـدو صارمـة دون جهـد. أخبرهـا مـرة أن لهـا وجهـا ملكيـا مريحـا.

تقابـلا وتوثقـت علاقتهـما خـلال سـطو عـلى بنـك تحـول إلى موقـف احتجـاز رهائـن منـذ بضعـة أعـوام. في ليلـة الكرسـماس التاليـة، تورطـا في واحـدة مـن أكـثر اللحظـات إحراجـا في حيـاة بـاري. كانـت واحـدة مـن حفـلات أجـازات شرطـة نيويـورك الكثـيرة، وخرجـت الليلـة عـن سـيطرتهما معـا. أفـاق في شـقتها في السـاعة الثالثـة صباحـا والحجـرة مازالـت تـدور بـه. كان خطـأه أن حـاول الانسـلال خارجـا بينـما لم يكـن مسـتعدا بعـد للعـودة إلى وعيـه. تقيـأ عـلى الأرضيـة بجـوار سريرهـا، وأثنـاء محاولتـه تنظيفهـا اسـتيقظت جويـن وصرخـت فيـه: "سـأنظف قرفـك في الصبـاح، فقـط اذهـب!" لا يتذكـر شـيئا عـن الجنـس، إن كانـا قـد قامـا بـه أو حـاولا، ولا يمكنـه إلا أن يأمـل أنهـا تقاسـمه نفـس الفجـوة الرحيمـة في ذاكرتهـا.

بغض النظر عن ذلك، تجاهل كلاهما الأمر من وقتها.

يـأتي السـاقي ليأخـذ طلـب بـاري ويـنـاول جويـن كأسـا آخـر مـن بوربـون (وايلـد تِـركي). يشربـان ويتحادثـان في أشـياء تافهـة لفـترة، وعندمـا يلاحـظ بـاري أخـيرا أن العـالم بـدأ في التراخـي، تقـول جويـن: "سـمعت أنـك شـهدت حالـة انتحـار نتيجـة متلازمـة الذاكـرة الزائفـة ليلـة الجمعـة."

"نعم."

ويخبرها بالتفاصيل كاملة.

تقول: "كن صادقا معي، إلى أي حد أنت مفزوع؟"

"حسنا، جعلت نفسي خبير إنترنت في متلازمة الذاكرة الزائفة بالأمس."

"ثم؟"

"منذ ثمانية شهور، حددت (مراكز السيطرة على المرض) أربعا وستين حالة بأعراض متشابهة في الشمال الشرقي. في كل حالة، يتقدم مريض بشكاوى من ذكريات زائفة حادة. ليست مجرد ذكرى واحدة أو اثنتين. تاريخ بديل متخيل بالكامل يغطي مساحات من حياتهم حتى تلك اللحظة. عادة ما يعود بهم إلى شهور أو أعوام. وفي بعض الحالات، عقود."

"إذًا هل يفقدون ذكرياتهم عن حياتهم الحقيقية؟"

"لا، تغدو لديهم فجأة **مجموعتان** من الذكريات. مجموعة حقيقية، ومجموعة زائفة. في بعض الحالات، أحس المرضى وكأن ذكرياتهم ووعيهم قد انتقلوا من حياة إلى أخرى. وفي حالات أخرى، عانى المرضى من 'اقتحام' مفاجئ لذكريات خاطئة من حياة لم يعيشوها قط."

"وما السبب في هذا؟"

"لا أحد يعرف. لم يتعرفوا على شذوذ فسيولوجي أو عصبي واحد لدى هؤلاء الذين تأثروا. الأعراض الوحيدة هي الذكريات الزائفة نفسها. آه، وحوالي عشرة في المائة من الأشخاص الذين أصيبوا بهذا يقتلون أنفسهم."

"يا إلهي!"

"يمكـن أن يكـون الرقـم أعـلى. أعـلى بمسـافة. ذلـك حاصـل الحـالات المعروفـة."

"حالات الانتحار مرتفعة في أحياء نيويورك الخمسة هذا العام."

يشير باري إلى الساقي طالبا دورا آخر من المشروبات.

تسأل جوين: "هل هو مُعدٍ؟"

"لم أسـتطع العثـور عـلى إجابـة قاطعـة. لم تجـد (مراكـز السـيطرة عـلى المـرض) أي عامـل مسـبب للمـرض، لـذا لا يبـدو أنـه يُنقـل عـن طريـق الـدم أو الهـواء. لكـن.. هنـاك مقالـة في **مجلـة نيـو إنجلانـد للطـب** تكهنت بأنـه ينتـشر بالفعـل مـن خـلال الشـبكة الاجتماعيـة لحاملـه."

"مثل الفيسبوك؟ كيف يمكن لهذا حتى..."

"لا، أقصـد عندمـا يصـاب شـخص بمتلازمـة الذاكـرة الزائفـة، يصبـح بعـض مـن الأشـخاص الذيـن يعرفهـم مصابـين. سيشـاركهم آباؤهـم نفـس الذكريـات الزائفـة، لكـن بدرجـة أقـل. أشـقاؤهم وشـقيقاتهم وأصدقاؤهـم المقربـون. كانـت هنـاك تلـك الحالـة لشـخص اسـتيقظ ذات يـوم بذكريـات لحيـاة مختلفـة كليـةً. أنـه متـزوج مـن امـرأة مختلفـة. يعيـش في بيـت مختلـف، مـع أطفـال مختلفـين، ويعمـل بوظيفـة مختلفـة. أعـادوا تكويـن قائمـة ضيـوف زفافـه مـن ذاكرتـه - الزفـاف الـذي تذكـره، لكنـه لم يحـدث قـط. حـددوا أماكـن ثلاثـة عـشر شـخصا مـن قائمتـه، وجميعهـم أيضـا كانـت لديهـم ذكريـات عـن هـذا الزفـاف الـذي لم يحـدث قـط. هـل سـمعتِ أبـدا بـشيء يُدعـى (تأثـير مانديـلا)؟"

"لا أعرف. ربما."

يـأتي الـدور التـالي مـن المشروبـات. يـشرب بـاري كأسـه مـن ويسـكي (أولـد جرانـد داد) ويُلحقـه بزجاجـة بـيرة (كـورز) بينـما يخبـو الضـوء القـادم عـبر النوافـذ الأماميـة مـع تقـدم المسـاء.

يقول: "من الواضح أن آلاف الناس يتذكرون موت نيلسون مانديلا في السجن خلال الثمانينيات، برغم أنه عاش حتى عام 2013."

"لقد سمعت بهذا. إنه يشبه تماما موضوع (بيرينستاين بيرز)."

"لا أعرف ما هذا."

"أنت عجوز جدا."

"اللعنة عليكِ."

"كانت هناك كتب الأطفال تلك عندما كنت طفلة، وكثير من الناس يذكرون أن اسمها كان يُدعى (بيرنستين بيرز)، S-T-E-I-N، بينما كان هجاء حروفها الحقيقي بيرنستاين. S-T-A-I-N."

"غريب."

"مخيف في الحقيقة، لأني أنا أيضا أذكرها بيرنستين." تجرع جوين كأسها من الويسكي دفعة واحدة.

"أيضا هناك حالات **شعور بعيش نفس اللحظة من قبل** في ازدياد، ولا أحد واثق إن كانت متعلقة بمتلازمة الذكريات الزائفة."

"وماذا يعني هذا؟"

"ينتاب الناس إحساس، يصل أحيانا إلى درجة منهكة - أنهم يعيشون سلسلة كاملة من حياتهم مرة أخرى."

"أشعر بهذا أحيانا."

"وأنا أيضا."

تقول جوين: "ألم تقل امرأتك التي قفزت أن امرأة زوجها الأولى قد ألقت بنفسها أيضا من فوق مبنى بو؟"

"نعم، لماذا؟"

"لا أعرف. فقط يبدو... بعيد الاحتمال."

ينظر باري إليها. البار يزداد امتلاءا وصخبا.

يسألها: "إلى ماذا تُلمِّحين؟"

"ربما لم تكن لديها متلازمة الذاكرة الزائفة. ربما كانت هذه العاهرة مجرد مجنونة. ربما لا يجب أن تقلق إلى هذا الحد."

بعد ثلاث ساعات، أهدرها في بار مختلف - مكسو بالخشب وأشبه بحلم ساخن لعشاق البيرة، وقد برزت رؤوس جواميس وغزلان محنطة معلقة على الحوائط ومليون صنبور تغطي الرفوف الخلفية.

تحاول جوين أن تصطحبه إلى العشاء، لكن المضيفة تراه يتمايل واقفا أمام منصتها وترفض أن تقدم لهما مائدة. وعندما يعودان إلى الخارج، تبدو المدينة وقد حلت قلوعها، وباري يضع كل تركيزه على جعل المباني من حوله لا تدور حول نفسها بينما تمسك جوين بذراعه الأيمن، وتقوده في الشارع.

فجأة يدرك أنهما واقفان عند ناصية شارع لا يعلمه إلا الله، متحدثين إلى شرطي. تُظهر جوين لشرطي الدورية نجمتها وتوضح له أنها تحاول أن توصل باري إلى بيته لكنها تخشى من أن يتقيأ في عربة الأجرة.

بعد ذلك يسيران مرة أخرى، متعثرين، وألق ساعات الليل المستقبلية الطابع لميدان تايمز سكوير يدور في دوامات مثل كرنفال سيء. يلمح الوقت: 11:22 مساء، ويتعجب أي ثقب أسود سقطت فيه الساعات الست الأخيرة.

يقول موجها كلامه إلى لا أحد: "لا أريد العودة إلى البيت."

بعـد ذلـك يجـد نفسـه محدقـا في سـاعة رقميـة تخـبره أنهـا 4:15. يحـس وكأن شـخصا مـا نخـر جمجمتـه بينـما كان نائمـا، وأن لسـانه جـاف كقطعـة مـن الجلـد. هـذه ليسـت شـقته. إنـه راقـد عـلى الأريكـة في حجـرة معيشـة جويـن.

يحـاول العـودة ولصـق أجـزاء المسـاء معـا لكـن القطـع مبعـثرة. يتذكـر جوليـا والمنتـزه. السـاعة الأولى مـن البـار الأول مـع جويـن. لكـن كل شيء بعـد هـذا مضبـب ومشـوب بالنـدم.

يدق قلبه بعنف في أذنيه. وعقله يعدو كأنه في سباق.

إنهـا سـاعة الوحـدة في الليـل، السـاعة التـي يألفهـا أكـثر مـن الـلازم - عندمـا تنـام المدينـة لكنـك لا تنـام، وكل حـسرات حياتـك تثـور في رأسـك بكثافـة غـير محتملـة.

يفكـر في أبيـه الـذي مـات عندمـا كان صغـيرا، والسـؤال الأبـدي: **هـل كان يعـرف أني أحبـه؟**

وميجان. دائما ميجان.

عندمـا كانـت ابنتـه مازالـت فتـاة صغـيرة، كانـت مقتنعـة أن وحشـا يعيـش في صنـدوق السـحَّارة أسـفل سريرهـا. لم يكـن يمـر ببالهـا قـط طـوال النهـار، لكـن في اللحظـة التـي تهبـط فيهـا الشـمس ويضعهـا في فراشـها لتنـام الليـل، كان مـن المحتـم أن تناديـه. وكان يـسرع إلى حجرتهـا ويركـع إلى جـوار سريرهـا ويُذكرهـا أن كل شيء يبـدو أكـثر رعبـا في الليـل. إنـه مجـرد وهـم. خدعـة يلعبهـا الظـلام علينـا.

كـم يبـدو غريبـا إذًا، بعـد عقـود ولَّـت وبعـد أن ابتعـدت حياتـه كل هـذا البعـد عـن المسـار الـذي اختطـه، أن يجـد نفسـه وحيـدا عـلى أريكـة في شـقة صديقـة، محـاولا أن يهـدئ مخاوفـه بنفـس المنطـق الـذي كان يسـتخدمه مـع طفلتـه منـذ كل هـذه الأعـوام.

كل شيء سيبدو أفضل في الصباح.

سيكون هناك أمل مرة أخرى عندما يعود النور.

اليأس مجرد وهم، خدعة يلعبها الظلام.

ويغلـق عينيـه ويريـح نفسـه بذكـرى رحلـة التخييـم إلى بحـيرة (دمعـة الغيـوم). إلى تلـك اللحظـة المثاليـة.

فيها، كانت النجوم تلمع.

كان ليبقى هناك إلى الأبد إن استطاع.

هيلينا

1 نوفمبر 2007

اليوم الأول

تنقبض بطنها وهي تراقب الخط الساحلي لشمال كاليفورنيا يتضاءل مبتعدا. هي تجلس خلف الطيار، تحت هدير المراوح، تشاهد مجرى المحيط تحتها، أسفل مزالق الهليكوبتر بخمسمائة قدم.

ليس يوما طيبا في البحر. تتدلى السحب منخفضة؛ والماء رمادي مرقط بالزبد. وكلما ابتعدوا أكثر عن البر، كلما أصبح العالم أكثر عتمة.

من خلال الزجاج الأمامي المليء بخطوط المطر، ترى شيئا يتجسد في البُعد - بناء يبرز من الماء، وهو مازال على مبعدة ميل أو اثنين.

تقول في ميكروفونها: "هل هذا هو؟"

"نعم سيدتي."

تميل إلى الأمام رغم حزام الكتف، وتراقب بفضول شديد بينما تبدأ الهليكوبتر اقترابها، مبطئة الآن، هابطة نحو هيكل ضخم من الحديد والفولاذ والخرسانة يقف على ثلاث أرجل في المحيط مثل حامل عملاق ثلاثي القوائم. يدفع الطيار العصا ويميلوا يسارا في دورة بطيئة حول البناء، الذي تقوم منصته الرئيسية فوق البحر بحوالي عشرين طابقا. ومازالت بضع رافعات متدلية من الجوانب - آثار قديمة من أيام التنقيب عن النفط والغاز. لكن فيما عدا ذلك، تجردت التجهيزات من ملامحها الصناعية وتحولت. على المنصة الرئيسية، ترى ملعب كرة سلة كاملا. حمام سباحة. مشتلا زجاجيا. وما يبدو مضمارا للعدو حول السياج المحيط بكل هذا.

يهبطون على مهبط طائرات. يبدأ محرك عمود الدوران التوربيني في الهدوء تدريجيا، وعبر نافذتها، تراقب هيلينا رجلا في سترة قصيرة صفراء يهرول نحو الهليكوبتر. وعندما يفتح باب الكابينة، تتحسس أصابعها متلعثمة آلية القفل ثلاثي النقاط في أحزمة أمانها حتى تنفك أخيرا.

يساعدها الرجل على الخروج من الهليكوبتر، والنزول إلى الزلاجة، وبعد ذلك إلى سطح المهبط. تتبعه نحو مجموعة سلالم تنزل من مهبط الطائرات إلى المنصة الأساسية. تهب الريح عبر غطاء رأس سترتها الخفيفة وفانلتها، وعندما تصل إلى السلالم يخفت صوت الهليكوبتر، مخلفا الصمت الفاغر فاه للمحيط المفتوح.

يهبطان من الدرجة الأخيرة على سطح خرساني مترامي الأطراف، وهناك يلوح هو؛ متحركا نحوهما عبر المنصة.

يدق قلبها بعنف.

لحيته شعثاء، وشعره الأسود ثائر وتتراقص به الريح. يرتدي بنطالا من الجينز الأزرق وقميصا ثقيلا حائل اللون، وهو ماركوس سليد بلا شك - المخترع، محب الخير، قطب المال والأعمال، مؤسس شركات تكنولوجيا رائدة أكثر مما يمكنها أن تتذكر، تتماس مع قطاعات متعددة مثل الحوسبة السحابية[1] والنقل والمواصلات والفضاء والذكاء الاصطناعي. هو واحد من أغنى وأكثر مواطني العالم نفوذا. ترك دراسته قبل إتمام الشهادة الثانوية. وفي الرابعة والثلاثين من عمره فقط.

يبتسم ويقول: "هذا هو ما نفعله!"

تهدئ حماسته أعصابها، وعندما يصلان أمام أحدهما الآخر، لا تكون واثقة مما يجب عليها أن تفعله. مصافحة؟ عناق مهذب؟ يقوم سليد بالاختيار عنها مع حضن دافئ.

"مرحبا في فوكس ستيشن."

"فوكس؟"

"كما في جاي فوكس - أتذكرين؟ أتذكرين الخامس من نوفمبر[2]؟"

"آه، صحيح. بسبب الذاكرة؟"

---

(1) الحوسبة السحابية هي مصطلح يشير إلى المصادر والأنظمة الحاسوبية المتوافرة تحت الطلب عبر الشبكة والتي تستطيع توفير عدد من الخدمات الحاسوبية المتكاملة دون التقيد بالموارد المحلية بهدف التيسير على المستخدم.

(2) الإشارة هنا إلى احتفال ليلة الخامس من نوفمبر في بريطانيا على وجه الخصوص في ليلة تسمى ليلة الألعاب النارية أو ليلة جاي فوكس، يرجع تاريخها إلى ليلة الخامس من نوفمبر عام 1605 عندما أُلقي القبض على جاي فوكس أحد أعضاء ما يُسمى بمؤامرة البارود التي كان مقصودا بها تفجير مبنى البرلمان البريطاني. وعندئذ احتفل الناس بإطلاق الألعاب النارية ابتهاجا بنجاة جيمس الأول ملك إنجلترا من محاولة اغتياله.

"بسبب أن خلخلة الوضع الراهن هي متعة لي. لا بد أنك تشعرين بالبرد، دعينا ندخل." يتحركان الآن، متوجهين نحو بناء علوي من خمسة طوابق على الجانب الآخر من المنصة.

تقول هيلينا: "ليس ما كنت أتوقعه تماما."

"اشتريتها منذ بضعة أعوام من شركة إكسون موبيل عندما جف حقل النفط. في البداية كنت سأجعل منها بيتا لي."

"تقصد حصنا للعزلة؟"

"تماما. لكن عندئذ أدركت أن بمقدوري العيش هنا واستخدامها أيضا كمنشأة بحثية نموذجية."

"ولماذا نموذجية؟"

"لمليون سبب، لكن أهمها هي الخصوصية والأمن. لي أيادٍ في عدد من المجالات المليئة بتجسس الشركات، والأمر يتعلق ببيئة قابلة للسيطرة قدر الإمكان، أليس كذلك؟"

يمران بحمام السباحة، المغطى خلال هذا الفصل من العام، وقماش المشمع يخفق بقوة في ريح نوفمبر.

تقول: "أولاً، أشكرك. ثانيا، لماذا أنا؟"

"لأن بداخل رأسك تكنولوجيا يمكنها تغيير البشرية."

"وكيف هذا؟"

يسألها: "ماذا هنالك أغلى من ذكرياتنا؟ إنها تحددنا وتشكل هوياتنا."

"أيضا، ستكون هناك سوق بقيمة خمسة عشر مليار دولار لأدوية الألزهايمر في العقد التالي."

يبتسم ماركوس فقط.

تقول: "فقط كما تعرف، هدفي الأساسي هو مساعدة الناس. أريد أن أجد طريقة لإنقاذ الذكريات من أجل العقول المتدهورة التي لم تعد قادرة على استعادتها. كبسولة زمنية للذكريات الجوهرية."

"أفهم هذا. أيمكنك أن تفكري في أي سبب يحول دون أن يجعل هذا مشروعا خيريا وتجاريا في نفس الوقت؟"

يعبران المدخل إلى مشتل كبير، الجدران داخله مغطاة بالبخار وتقطر بما تكثف منه.

"إلى أي حد نحن بعيدون عن البرّ؟" تسأله وهي تنظر عبر المنصة في الخارج إلى البحر، حيث تتماوج غيمة كثيفة في اتجاههم.

"مائة وثلاثة وسبعون ميلا. كيف ستتلقى عائلتك وأصدقاؤك خبر أنك ستختفين من على وجه الأرض كي تقومي ببعض الأبحاث فائقة السرية؟"

هي ليست واثقة من الطريقة التي ترد بها على هذا. لقد انحلت حياتها مؤخرا تحت أضواء المعامل الفلورسنتية وتمحورت حول التعامل مع البيانات الخام. ولم تتمكن قط من تحقيق سرعة الإفلات[1] من جاذبية عملها التي لا تقاوم - من أجل أمها، لكن من أجلها أيضا للأمانة. العمل هو الشيء الوحيد الذي يجعلها تشعر أنها حية، ولقد تساءلت، في أكثر من مناسبة، إن كان هذا يعني أنها مكسورة.

(1) في الفيزياء، سرعة الإفلات تُعرَّف على أنها السرعة التي تكون عندها طاقة الحركة لجسم ما مساوية لطاقته الوضعية، أي أن مجموعهما يساوي صفرًا، وهذا يعني أن الجسم حقق سرعة الهروب ليس على السطح ولا في مدار مغلق.

تقـول: "أعمـل كثـيرا، لـذا ليـس لـديّ إلا سـتة أشـخاص فقـط كي أخبرهـم. بـكى أبي، لكنـه يبـكي دائمـا. لم يندهـش أحـد حقيقـةً. يـا إلهـي، هـذا يبـدو مثـيرا للشـفقة، أليـس كذلـك؟"

ينظـر سـليد إليهـا ويقـول: "أعتقـد أن التـوازن هـو مـن أجل الأشـخاص الذيـن لا يعرفـون لمـاذا هم موجـودون."

تفكـر في هـذا. في المدرسـة الثانويـة، وفي الكليـة، كان يجـري تشـجيعها مـرارا وتكـرارا كي تعـثر عـلى شـغفها - سـبب يجعلهـا تنهـض مـن الفـراش وتتنفـس. مـن خـلال خبراتهـا، قلـة مـن الأشـخاص هـم مـن عـثروا عـلى سـبب الوجـود ذاك.

مـا لم يخـبره بهـا قـط المعلمـون والأسـاتذة هـو الجانـب المظلـم مـن العثـور عـلى هدفـك. الجـزء الـذي يسـتهلكك. الـذي يصبـح مدمـرا للعلاقـات والسـعادة. ومـع ذلـك، هـي لـن تقبـل لـه بديـلا. تلـك هـي الإنسـانة الوحيـدة التـي تعـرف كيـف تكونهـا.

يقتربان من مدخل البناء العلوي.

يقـول سـليد: "انتظـري لحظـة.. انظـري." ويشـير نحـو حائـط الضبـاب وهـو يتقـدم ببـطء عـبر المنصـة. يصبـح الهـواء بـاردا وصامتـا. لا يمكـن لهيلينـا حتـى أن تـرى مهبـط الطائـرات. إنهـما محبوسـان في قلـب غيمـة.

ينظر سليد إليها. "هل تريدين أن تغيري العالم معي؟"

"لهذا أنا هنا."

"حسنٌ. دعينا نذهب كي نرى ما شيدت من أجلك."

باري

5 نوفمبر 2018

إدارة شرطة مدينة نيويورك

الدائرة الرابعة والعشرون، 151 دابليو شارع 100.

نيويورك، إن واي 10025

*رئيس الشرطة	*تليفون
جون ر. بول	(212) 555-1811

[س] تقرير شرطة تمهيدي

[ ] تقرير إضافي

مسلسل	تاريخ	توقيت	يوم	موقع
01457C	03/11/07	2130	الجمعة	2000 ويست 102ND

الطابق 41

طبيعة التقرير

روابة الشرطة

بينما كنت أنا، بو ريفيلي، أقوم بدوريتي، استجبت للإشارة 10-56A عند مبنى بو في شرفة مكاتب هلتكويست إل آي سي. وجدت امرأة تقف على الحافة. عرَّفت نفسي كضابط شرطة ورجوتها أن تنزل. رفضت أن تذعن وحذرتني ألا أقترب منها وإلا قفزت. سألتها عن اسمها وأخبرتني أنها تُدعى فراني بيهرمان [أنثى بيضاء، تاريخ الميلاد: 63/06/12، العنوان: 509E شارع 110]. لم يبدُ أنها تحت تأثير أي مخدرات أو كحوليات. سألتها إن كان هناك أي شخص يمكنني أن أتصل به من أجلها. قالت "لا". سألتها لماذا تريد أن تنهي حياتها. قالت إنه لا شيء يجلب لها السعادة، وأن زوجها وأسرتها سيكونون أفضل حالا دونها. أكدت لها أن هذا غير صحيح.

عند هذه النقطة، توقفت عن الرد على أسئلتي وبدا أنها تستجمع شجاعتها كي تقفز. كنت على وشك محاولة إزاحتها بدنيا عن الحافة عندما تلقيت اتصالا لاسلكيا من بو ديكارلو، يبلغني أن زوج السيدة بيهرمان [جو بيهرمان، ذكر أبيض، تاريخ الميلاد 61/12/3، العنوان: 509E شارع 110] كان قادما في المصعد ليرى زوجته. أبلغت السيدة بيهرمان بهذا.

وصل السيد بيهرمان إلى السطح. اقترب من زوجته وأقنعها بالهبوط إلى أرض الشرفة.

رافقت السيد والسيدة بيهرمان وهبطنا إلى الشارع، ونقلتها عربة الإسعاف إلى مستشفى أخوات الرحمة للفحص والتقييم.

تقرير بو ريفيلي		الضابط المسؤول

دائخا بقوة من أثر الشراب وجالسا على مكتبه وسط مقصورات العمل، يقرأ باري تقرير الحادث لمرة ثالثة. يجعل التقرير عقله يشت في كل الاتجاهات الخاطئة، لأنه النقيض التام لما قالت آن ڤوس بيترز أنه قد حدث بين زوجها وزوجته الأولى. فقد اعتقدت أن فراني قفزت.

يضع التقرير جانبا، ويوقظ شاشته، ويدخل إلى قاعدة بيانات إدارة المركبات بولاية نيويورك، ورأسه تنبض خلف عينيه.

يُظهر بحثه عن جو وفراني بيهرمان آخر عنوان معروف لهما في 6 باينوود لين في مونتوك.

ينبغي أن يترك هذا ليسقط على جانب الطريق. أن ينسى أمر متلازمة الذاكرة الزائفة وآن ڤوس بيترز ويتعامل مع أبراج العمل الورقي القائمة ويفتح ملفات القضايا المتكدسة على مكتبه. لا توجد جريمة هنا تسوغ وقته. فقط... تضاربات.

لكن الحقيقة هي - أنه الآن شاعر بفضول مجنون.

لقد كان محققا طوال ثلاثة وعشرين عاما لأنه يحب حل الألغاز، وهذا اللغز، هذه المجموعة المتناقضة من الأحداث، تهمس له - اختلال يشعر بلزوم تقويمه.

كان بمقدوره أن يستصدر أمرا كتابيا كي يقود سيارته الكراون ڤيك إلى آخر لونج آيلاند من أجل شيء لم تُنفذ عقوبته على نحو حاسم، عمل شرطي قضائي، ورأسه تؤلمه أكثر من أن يقود كل هذه المسافة على أي حال.

هكذا يدخل على موقع (إدارة نقل ميريلاند) ويدرس الجداول.

هناك قطار يغادر محطة بن إلى مونتوك خلال أقل من ساعة.

هيلينا

18 يناير 2008 – 29 أكتوبر 2008

اليوم 79

الحياة على منصة نفط سليد أشبه بأن تتلقى أجرا كي تقيم في منتجع خمس نجوم يصدف أيضا أن يكون مكان عملك. تستيقظ كل صباح في المستوى الأعلى من البناء العلوي، حيث تقع كل مساكن فريق العمل. سكنها عبارة عن شقة فسيحة واقعة عند زاوية بها نوافذ من الأرض إلى السقف مصنوعة من زجاج صاد للمطر. زجاج يحيل قطرات الماء إلى ذرات صغيرة بحيث أنه حتى في أسوأ الأجواء تظل رؤيتها للبحر السرمدي غير معاقة. مرة كل أسبوع، ينظف مدبرو المنازل شقتها ويأخذون غسيلها. يعد طاهٍ حاصل على نجمة

ميشلان[1] أغلب الوجبات، مستخدما في الغالب سمكا طازجا جرى صيده للتو، وفاكهة وخضراوات محصودة من المشتل.

يصر ماركوس على أن تمارس التدريبات الرياضية خمسة أيام في الأسبوع كي تبقي روحها المعنوية عالية وذهنها حادا. توجد صالة ألعاب رياضية في المستوى الأول، تستخدمها عندما يكون الطقس سيئا، وفي الأيام الهادئة النادرة في الشتاء، تذهب للركض على المضمار المحيط بالمنصة. وهي تحب هذه العدوات أكثر؛ لأنها تشعر كما لو أنها تقوم بالدوران عند قمة العالم.

مساحة معمل أبحاثها 10.000 متر مربع - الطابق الثالث بأكمله من بناء فوكس ستيشن العلوي - وقد حققت إنجازا في الأسابيع العشرة الماضية أكثر مما حققته خلال خمس سنوات بأكملها من انقطاعها للعمل في ستانفورد. أي شيء تحتاجه، تحصل عليه. ليس هناك من فواتير تدفعها، ولا علاقات تحافظ عليها. لا شيء لتفعله غير أن تتابع بحثها مركزة ذهنها عليه وحده.

حتى الآن، كانت تتعامل مع الذكريات لدى الفئران، مشتغلة على مجموعات خلايا محددة تمت هندستها وراثيا لتكون حساسة للضوء. وبمجرد أن تُصنَّف مجموعة خلايا وترتبط بذكرى مخزنة (مثلا: صدمة كهربية) تقوم هيلينا بإعادة تنشيط ذكرى خوف الفأر عن طريق استهداف تلك المجموعات من الخلايا الحساسة للضوء بشعاع ليزر خاص معالج بالبصريات الوراثية يجري إدخاله عن طريق أسلاك رفيعة عبر جمجمة الفأر.

عملها على منصة النفط لعبة مختلفة تماما.

(1) نجوم ميشلان نظام تقييم للمطاعم تقدمه شركة ميشلان الفرنسية للإطارات في دليل يحمل اسمها لأكثر من قرن.

هيلينا تقود المجموعة التي تتعامل مع المشكلة الأساسية، التي يصدف أيضا أن تكون مجال تخصصها - اختيار وتصنيف مجموعات الخلايا العصبية المتصلة بذكرى معينة، وبعد ذلك إعادة بناء نموذج رقمي للمخ يسمح لها بتتبع الذكريات ورسم خريطة لها.

مبدئيا، لا يختلف هذا عما كانت تفعله بعقول الفئران، لكن نظم الحجم أكثر تعقيدا.

أما التكنولوجيا التي تتعامل معها الفرق الثلاث الأخرى فهي صعبة، لكنها ليست رائدة - تكنولوجيا متطورة، نعم، لكن مع طاقم العاملين المناسبين ودفتر شيكات ماركوس الكبير، سيكونون قادرين على خلقها دون عقبات خطيرة.

لديها عشرون شخصا يعملون تحت قيادتها عبر أربع مجموعات. تترأس هي (فريق رسم الخرائط). أما (فريق التصوير) فقد كُلف بالعثور على طريقة لتصوير الإطلاقات العصبية لا تتضمن دفع شعاع ليزر عبر جمجمة شخص إلى داخل مخه. وقد استقروا على صنع جهاز يستخدم شكلا متقدما من تخطيط الدماغ المغناطيسي، (ميج) اختصارا. نظام سكويد (جهاز تدخل كميّ فائق التوصيل) سيكشف مجالات مغناطيسية متناهية الصغر تنتجها خلايا عصبية مفردة تنطلق في المخ البشري، وصولا إلى مستوى تحديد موضع كل خلية عصبية. ويسمونه ميكروسكوب (ميج).

(فريق إعادة التنشيط) يصنع جهازا هو بالأساس شبكة عريضة من المحفزات الكهرومغناطيسية التي تشكل قشرة حول الرأس من أجل دقة تحديد ثلاثية الأبعاد ودقة استهداف لمئات الملايين من الخلايا العصبية المطلوبة لإعادة تنشيط ذكرى واحدة.

وأخيرا، (فريق البنية التحتية) يصنع الكرسي اللازم للتجارب على البشر.

لقد كان يوما طيبا. بل ربما كان يوما عظيما. قابلت سليد وجي-وون ومديري المشروع لمراجعة التقدم، والكل متقدم عن الموعد المحدد. الساعة الرابعة عصرا في يوم من الأيام الأخيرة في يناير، يوم من أيام الشتاء العابرة تلك التي تشهد دفئا وسماء زرقاء صافية. الشمس تغوص في المحيط، محولة السحب والبحر إلى ظلال من الرمادي والوردي لم ترها هيلينا من قبل قط، وهي جالسة على حافة المنصة، ميممة وجهها شطر الغرب، وساقاها تتأرجحان فوق المياه.

أسفلها بمائتي قدم، تنتفخ الأمواج وتصطدم بالسيقان الهائلة لهذا الحصن في البحر.

لا يمكنها أن تصدق أنها هنا.

لا يمكنها أن تصدق أن هذه حياتها.

اليوم 225

اكتمل ميكروسكوب (ميج) تقريبا، وتقدم العمل في جهاز إعادة التنشيط بقدر المستطاع بينما ينتظر الجميع رسم الخرائط كي يحيطوا بمشكلة التصنيف.

هيلينا محبطة من التأخير. على العشاء مع سليد في جناحه الفخم، تصارحه أن الفريق متعثر لأن ما يعوقهم مشكلة غاشمة القوة. فبما أنهم ينتقلون صاعدين من عقول الفئران إلى عقول البشر، فإن القدرة الحاسوبية التي يعملون بها غير كافية لرسم خريطة شيء معقد بشكل غير عادي مثل بنية الذاكرة البشرية. وإذا لم تستطع أن تكتشف طريقا مختصرا، لن تكون لديهم ببساطة دوائر وحدة المعالجة المركزية للتعامل مع الأمر.

"هل سمعت من قبل بـ (دي - ويف)؟" يسألها سليد بينما تأخذ هيلينا رشفة من بورجونيا أبيض؛ أفضل نبيذ تذوقته على الإطلاق.

"آسفة، لم أسمع بها من قبل."

"إنها شركة تأسست في كولومبيا البريطانية. منذ سنة، أطلقوا معالج نموذج كميّ. تطبيقه محدد للغاية، لكنه مثالي لنوعية مشكلة رسم خريطة مجموعة البيانات الهائلة التي نواجهها."

"وكم ثمنه؟"

"ليس رخيصا، لكني كنت مهتما بالتكنولوجيا، لذلك طلبت بضعا من نماذجهم المتقدمة في الصيف الماضي من أجل مشاريع مستقبلية."

يبتسم، وشيء ما في الطريقة التي يتفحصها بها من وراء المائدة يتركها بإحساس مخيف أنه يعرف عنها أكثر مما ينبغي أن ترتاح إليه. ماضيها. نفسيتها. ما يحفزها في الأساس. لكنها بالكاد تستطيع أن تلومه إن كان في الواقع قد أزال بعضا من الطبقات. فهو يستثمر أعواما وملايين في عقلها.

عبر النافذة خلف سليد، ترى بقعة ضوء وحيدة، على مبعدة أميال وأميال في البحر، وتفاجأ، ليس للمرة الأولى، بكم هم وحيدون تماما هنا.

اليوم 270

أيام منتصف الصيف طويلة ومشمسة، وقد توقف التقدم بينما ينتظرون وصول معالجيّ التلدين الكميّ. تفتقد هيلينا والديها بشدة، وقد أصبحت مكالماتهم التي تحدث مرة واحدة في الأسبوع أهم وقت في وجودها هنا. يمتلك البُعد تأثيرا غريبا على علاقتها بأبيها. تشعر أنها أقرب إليه مما كانت خلال أعوام، منذ ما قبل المدرسة الثانوية. أصغر تفاصيل حياتهم في كولورادو تحمل أهمية مفاجئة. تتشرب التفاصيل التافهة، وكلما زادت مللا كلما كان أفضل.

تمشياتهما في سفوح الجبال خلال عطلة نهاية الأسبوع. التقارير عن كمية الثلج الذي مازال باقيا في أعالي الريف. حفلة موسيقية شهداها في مدرج (ريد روكس). نتائج لقاءات طبيب الأمراض العصبية لأمها في دينفر. الأفلام التي شاهداها. الكتب التي قرآها. ثرثرة الجيران في الحيّ.

تأتي أغلب التحديثات من والدها.

أحيانا تكون أمها صافية الذهن، تكون ذاتها القديمة، وتتحدثان كما كانتا دائما.

الأغلب هو أن دوروثي تجاهد كي تُجري محادثة.

تشعر هيلينا بحنين غير عقلاني لكل ما هو من كولورادو. للمنظر الممتد من فوق سطح بيت والديها عبر السهل نحو فلات آيرونز، بداية جبال روكي. للون الأخضر، حيث النباتات الوحيدة التي يمكن رؤيتها على المنصة هي الحديقة الصغيرة في المشتل. لكن أكثر ما تحن إليه هو أمها. إنها تتوق لأن تكون معها خلال ما ينبغي أن يكون أكثر وقت مرعب في حياتها.

أصعب جزء هو عدم استطاعتها مشاركة أي تفصيلة من تقدمها الهائل في العمل، والخاضع جميعه لاتفاق حديدي غير معلن. وهي تتشكك في أن سليد يتنصت عليها في كل محادثة. بالطبع، عندما سألته أنكر ذلك، لكنها مازالت تتشكك.

بسبب مخاوف متعلقة بالسرية، غير مسموح بالزوار في المنصة، ولا يُمنح لأي فرد من فريق العمل أي إذن بالمغادرة إلى البرّ قبل أن ينتهي عقده، باستثناء الطوارئ العائلية أو الطبية.

وقد أصبحت أمسيات الأربعاء ليالي محددة للحفلات في محاولة لتطوير مستوى ما من الصداقة الحميمة في مكان العمل. وهي بمثابة

تحدٍ لهيلينا، الانطوائية المتشددة التي عاشت إلى وقت قريب حياة العالِم المنعزل. يلعبون كرة الطلاء والكرة الطائرة وكرة السلة على المنصة. حفلات شواء في الهواء الطلق إلى جوار حمام السباحة وبراميل مزودة بصنابير ومليئة ببيرة مشحونة من البرّ. يشغلون الموسيقى بصوت عال ويسكرون. بل وأحيانا يرقصون. الملاعب ومنطقة الشواء كلها محاطة بألواح زجاج عالية لتمنع وابل الريح المستمر تقريبا. لكن حتى مع هذه الحواجز، غالبا ما يكون عليهم أن يصيحوا كي يسمعوا بعضهم البعض.

في حالة الطقس السيء، يتجمعون في الجناح الجماعي خارج الكافيتريا ليلعبوا ألعاب الطاولة، أو لعبة الاستغماية في البناء العلوي.

باعتبارها رئيسة لكل من على المنصة تقريبا باستثناء سليد، تشعر هيلينا بالتردد من الاقتراب من الأشخاص في فريقها. لكنها في صحراء من الماء لأبعد ما يمكن لأي شخص أن يراه، جانحة فوق المحيط بعشرين طابقا. وتجنب الصداقة والحميمية يبدو وكأنه سيقودها إلى طريق العزلة الذهانية.

حدث خلال لعبة استغماية، في خزانة بياضات بالدور العلوي، أن ضاجعت سيرجي - مهندس الكهرباء العبقري والرجل الجميل الذي يسحقها دائما في لعبة كرة المضرب. كانا واقفين متقاربين أكثر من اللازم في الظلام بينما يعدو الباحثون بجوار مكان اختباءهما، وفجأة وجدت نفسها تُقبله وتجذبه نحوها وهو يشد سروالها القصير إلى أسفل ويثبتها في مواجهة الحائط.

أحضر ماركوس سيرجي من موسكو. قد يكون أنقى عالِم في المجموعة، وهو بالقطع الأكثر منافسة.

لكنه ليس الفتى الذي تشعر نحوه بالإعجاب على سطح المنصة. لعله راجيش، مهندس البرمجيات الذي تعاقد معه سليد مؤخرا قبل

وصول أجهزة دي- ويف. ثمة دفء وأمانة في عينيه يجذبان هيلينا إليه. وهو عذب الحديث وفائق الذكاء. وخلال الإفطار بالأمس، اقترح أن يبدأوا تكوين نادٍ للكتب.

اليوم 302

يصل المعالجان الكميان على سفينة حاويات ضخمة. الأمر أقرب لصبيحة الكريسماس، الكل واقفون على السطح، يراقبون بافتتنان مروع بينما ترفع رافعة المنصة ما قيمته 30 مليون دولار من القدرة الحوسبية صاعدة به مائتي قدم إلى المنصة الأساسية.

اليوم 312

يعود العمل على رسم الخرائط، المعالجان الجديدان قائمان ويعملان، والشفرة التي تجري كتابتها هي التي سترسم خريطة ذكرى ما وتُحمّل إحداثياتها العصبية داخل جهاز إعادة التنشيط. لقد ولّى الإحساس بالتعطل. ثمة قوة دفع من جديد، ومزاج هيلينا يتحول من الوحدة إلى الانتعاش، لكن أيضا مع إحساس بالتعجب من معرفة سليد بالغيب. ليس فقط على المستوى الكلي في التنبؤ باتساع رؤيتها، لكن الأكثر إدهاشا على مستوى التفاصيل - حقيقة أنه عرف الأداة النموذجية للتعامل مع الكمية الهائلة من البيانات المرتبطة برسم خريطة للذاكرة البشرية. وعرف أن معالجا واحدا لن يكفي. فاشترى اثنين.

في عشائها الأسبوعي مع سليد، تخبره أنه إذا استمر التقدم بهذه الوتيرة، سيكونون مستعدين لتجربتهم الأولى على البشر خلال شهر.

يشرق وجهه. "بجد؟"

"بجد. وأنا فقط أُعلمك الآن أني **سوف** أكون أول من يجربها."

"آسف. هذا طريق خطر للغاية."

"كيف يكون هذا قرارك؟"

"بألف طريقة. علاوة على ذلك، بدونك سنضيع."

"ماركوس، أنا مصرة."

"انظري، يمكننا مناقشة هذا لاحقا، لكن الآن دعينا نحتفل."

يتجـه إلى ثلاجـة نبيـذه ويخـرج زجاجـة شـيفال بلانـك 47. يسـتغرق الأمـر منـه لحظـة كي يزيـل السـدادة الرقيقـة، وبعـد ذلـك يفـرغ الزجاجـة داخـل دورق مـن الكريسـتال.

يقول: "لم يبق كثير من هذا في العالم."

في اللحظـة التـي ترفـع فيهـا هيلينـا الـكأس إلى أنفهـا وتتنشـق الرائحـة الحلـوة الحريفـة للعنـب العتيـق، يتغـير مفهومهـا عـما يمكـن أن يكـون عليـه النبيـذ عـلى نحـو لا رجعـة فيـه.

"نخبـك، ونخـب هـذه اللحظـة.." يقـول سـليد وهـو يلمـس بكأسـه كأسـها في رقـة.

مذاقـه أشـبه بمـا كان يطمـح إليـه كل مـا شربتـه في حياتهـا مـن نبيـذ، وفي رأسـها يعـاد ضبـط مقاييـس مـا هـو جيـد وعظيـم ومتجـاوز للحـد.

إنه شيء من العالم الآخر.

دافئ وغني وفاخر ونضر على نحو مذهل.

مزيـج مطبـوخ عـلى مهـل مـن الفاكهـة الحمـراء والزهـور والشـيكولاتة و...

"كنـت أنـوي أن أسـألك عـن شيء مـا.." يقـول سـليد، مقاطعـا أفكارهـا الخيالية.

تنظر إليه من وراء المائدة.

"لماذا الذاكرة؟ من الواضح أنك كنت مستغرقة في هذا قبل أن تمرض أمك."

تدير النبيذ في كأسها، وترى انعكاسهما جالسين إلى المائدة في صفيّ النوافذ التي تطل على ظلام المحيط.

"لأن الذاكرة... هي كل شيء. لو تحدثنا بمنطق الفيزياء، ليست الذاكرة إلا تجمعا محددا من الخلايا العصبية تنطلق معا - سيمفونية من النشاطِ العصبي. لكن في الحقيقة، هي المصفاة بيننا وبين الواقع. أنت تعتقد أنك تتذوق هذا النبيذ، وتسمع الكلمات التي أقولها، في **الحاضر**، لكن لا يوجد شيء كهذا. فالنبضات العصبية من براعمك التذوقية وأذنيك يجري بثها إلى مخك، الذي يقوم بمعالجتها وتحويلها إلى ذاكرة عاملة - لذلك قبل أن تعرف أنك تمر بخبرة ما، تكون بالفعل في الماضي. ذكرى بالفعل." تميل هيلينا إلى الأمام، وتطرقع بأصابعها. "فقط ما يفعله مخك ليترجم مثيرا بسيطا كهذا أمر مدهش. تصل المعلومات البصرية والسمعية إلى عينيك وأذنيك بسرعات مختلفة، وبعد ذلك يعالجها مخك بسرعات مختلفة. ينتظر مخك حتى تتم معالجة أبطأ جزء من المثير، ثم يعيد ترتيب المدخلات العصبية على نحو صحيح، ويجعلك تعاينها معا، كحدث متزامن - بعد حوالي نصف ثانية مما حدث بالفعل. نظن أننا ندرك العالم مباشرةً وعلى الفور، لكن كل شيء نمر به هو إعادة بناء منقحة بحرص ومتأخرة قليلا كتأخر شريط الصوت."

تتركه جالسا يفكر في هذا للحظة بينما تأخذ رشفة رائعة أخرى من النبيذ.

يسألها سليد: "ماذا عن الذكريات الوامضة؟ الذكريات فائقة الحيوية المشربة بالأهمية والعاطفة الشخصية البالغة؟"

"صحيح. يتعلق هذا بوهم آخر. مفارقة الحاضر الزائف. ما نظن أنه 'الحاضر' ليس في الحقيقة لحظة. إنه امتداد من الوقت الحالي - امتداد اعتباطي. آخر ثانيتين أو ثلاث ثوان، عادةً. لكن أفرغ حمولة من الأدرينالين داخل نظامك، واجعل اللوزة الدماغية تتسارع، وستخلق تلك الذكرى فائقة الحيوية، حيث يبدو وكأن الزمن يتباطأ، أو يتوقف كليةً. إذا غيرت الطريقة التي يعالج بها مخك حدثا ما، فأنت تغير المدة الزمنية لـ 'الآن'. تغير بالفعل النقطة التي يصبح فيها الحاضر ماضيا. إنها مع ذلك طريقة أخرى لقول إن مفهوم الحاضر مجرد وهم، مصنوع من ذكريات وتشيده عقولنا."

تعود هيلينا بظهرها إلى الوراء، مرتبكة من حماسها، شاعرة فجأة أن النبيذ يصعد إلى رأسها. تقول: "لهذا كانت دراسة الذاكرة، لهذا كانت دراسة علم الأعصاب." وتدق بإصبعها على صدغها. "إذا كنت تريد أن تفهم العالم، عليك أن تبدأ بفهم - الفهم الصحيح - كيف نمر به ونعاينه."

يومئ سليد برأسه ويقول: "من الواضح أن العقل لا يعرف الأشياء على الفور، لكن فقط عن طريق تدخل الأفكار التي يملكها عنها."

تضحك هيلينا مندهشة. "إذًا فقد قرأت جون لوك."

"ماذا؟" يتساءل سليد. "فقط لأني رجل تكنولوجيا تظنين أني لم أمسك كتابا في حياتي قط؟ ما تتحدثين عنه هو استخدام علم الأعصاب لاختراق حجاب الإدراك - لكي نرى الواقع كما هو حقيقةً."

"وهو، بالقطع، مستحيل. لا يهم مقدار ما نفهمه عن كيفية عمل مداركنا، في النهاية لن نهرب أبدا من محدداتنا."

فقط يبتسم سليد.

اليوم 364

تُظهر هيلينا شارتها وهي تعبر مدخل الطابق الثالث وتتوجه رأسا عبر ممر ساطع الإضاءة نحو قسم الاختبار الرئيسي. هي متوترة مثلما كانت منذ يومها الأول هنا، ومعدتها مضطربة بشدة حتى أنها لم تتناول إلا القهوة وبضع قطع من الأناناس على الإفطار.

في الليلة الماضية، نقل فريق البنية التحتية الكرسي الذي كانوا يصنعونه من ورشتهم إلى قسم الاختبار الرئيسي، حيث تقف هيلينا الآن على عتبته. جون وراشيل يقومان بتثبيت قاعدة الكرسي في الأرضية.

كانت تعرف أن هذه اللحظة ستكون لحظة عاطفية، لكن قوة رؤية كرسيها لأول مرة تجتاحها كالعاصفة. حتى الآن، تكوَّن نتاج عملها من صور لمجموعات خلايا عصبية، وبرامج سوفتوير متطورة، وطن من التشكك اللعين. لكن الكرسي شيء. شيء يمكنها لمسه. التجلي المادي للهدف الذي كانت تسعى إليه لعشر سنوات طوال، عجَّل بها مرض أمها.

تسألها راشيل: "ما رأيك؟ لقد جعلنا سليد نغير التصميمات ليفاجئك."

كانت هيلينا لتستشيط غضبا من سليد على هذا التغير الأحادي الجانب للتصميم لو لم يكن ما صنعاه مثاليا هكذا. إنها مذهولة. في عقلها، كان الكرسي دائما جهازا نفعيا، ووسيلة لغاية. لكن ما صنعاه من أجلها متقن وأنيق، يُذكّر بمقاعد (إيمز) الفاخرة، إلا أنه قطعة واحدة في مجمله.

ينظر المهندسان إليها الآن، لا شك أنهما يحاولان التأكد من ردة فعلها، أن يريا إن كانت رئيستهما سعيدة بعملهما.

تقول: "لقد تفوقتما على نفسيكما."

قبل الغداء، كان الكرسي قد نُصب تماما. ميكروسكوب (ميج)، المُركَّب بسلاسة على مسند الرأس، يشبه خوذة متدلية. وحزمة الأسلاك الخارجة منه قد انتظمت هابطة ظهر الكرسي إلى داخل منفذ في الأرضية، بحيث يكون المظهر العام هو لجهاز أملس نظيف الحواشي.

فازت هيلينا بمعركتها مع سليد كي تكون أول من يحتل المقعد بحجب معرفتها حول كم سيحتاجون إلى عدد كبير من المشبكيات العصبية لكي يعيدوا تنشيط ذاكرة واحدة بطريقة صحيحة. بالطبع رد سليد مجادلا بأن عقلها وذاكرتها أثمن بكثير من القيام بمثل هذه المخاطرة، لكنها لم تكن معركة له أو لأي أحد على الإطلاق فرصة في الفوز بها.

وهكذا، في الساعة الواحدة وسبع دقائق مساء، تسترخي على الجلد الناعم وتميل إلى الوراء. لينور، واحدة من تقنيي التصوير، تُنزل بحرص الميكروسكوب على رأس هيلينا، وتنطبق الحشوة على مقاس رأسها تماما. ثم تثبت حزام الذقن. يراقب سليد من ركن الحجرة، يسجل بكاميرا فيديو محمولة وعلى وجهه ابتسامة عريضة؛ كما لو أنه يصور ميلاد أول أطفاله.

تسأل لينور: "هل يبدو هذا جيدا؟"

"نعم."

"سأغلق عليك بالداخل الآن."

مكتبة
t.me/t_pdf

تفتح لينور مقصورتين مثبتتين في مسند الرأس وتحل سلسلة من قضبان التيتانيوم المتداخلة، تدخلها في الفتحات الموجودة على السطح الخارجي للميكروسكوب لتثبيته.

تقول لينور: "حاولي أن تحركي رأسك الآن."

"لا أستطيع."

يسألها سليد: "كيف تشعرين وأنت جالسة في مقعدك؟"

"أشعر نوعا ما بالرغبة في التقيؤ."

تراقب هيلينا بينما يصطف الجميع خارجين من قسم الاختبار وداخلين غرفة تحكم ملحقة متصلة بصريا بجدار من الزجاج. بعد لحظة، يأتي صوت سليد عبر سماعة في مسند الرأس: "هل يمكنك أن تسمعيني؟"

"نعم."

"سنخفض الإضاءة الآن."

وعلى الفور يكون كل ما تستطيع رؤيته هو وجوه فريقها، متوهجة بضوء أزرق خافت قادم من دستة شاشات.

يقول سليد: "حاولي أن تسترخي."

تأخذ نفسا عميقا من أنفها وتُخرجه ببطء بينما يبدأ النظام الهندسي لِمكشافات (سكويد) في الأزيز بنعومة فوقها، طنين ناعم يبدو أشبه بمليار جهاز تدليك بحجم النانو على فروة رأسها.

لقد تجادلوا إلى ما لا نهاية حول أي نوع من الذكريات ينبغي أن يكون هو أول ما يرسموا خريطته. شيء بسيط؟ معقد؟ حديث؟ قديم؟ سعيد؟ مأساوي؟ بالأمس، قررت هيلينا أنهم كانوا يفكرون في الموضوع أكثر من اللازم. كيف للمرء أن يُعرّف ذكرى بأنها "بسيطة" على أي حال؟ هل يوجد حتى شيء كهذا عندما يتعلق الأمر بالشرط الإنساني؟ مثلا طائر القطرس الذي هبط على المنصة خلال عدْوها هذا الصباح. إنه مجرد رفة فكر في عقلها ستُلقى يوما ما داخل قفر النسيان حيث تموت الذكريات المنسية. ومع ذلك فهي تضم رائحة البحر. وريش الطائر الأبيض المبلل يلتمع في نور الشمس المبكرة. ودق

قلبها المتسارع نتيجة مجهود الجري. انزلاق العرق البارد هابطا على جانبيها وحرقته في عينيها. وتعجبها في تلك اللحظة حول المكان الذي كان يعتبره الطائر موطنا في ذلك التشابه اللانهائي للبحر.

إذا كانت كل ذكرى تضم كونًا ـ ماذا تعني حتى كلمة بسيطة؟

صوت سليد: "هيلينا؟ هل أنت مستعدة؟"

"نعم."

"هل انتقيتِ ذكرى؟"

"نعم."

"إذًا سأعد تنازليا من خمسة، وعندما تسمعين الرنين... تذكري."

باري

5 نوفمبر 2018

في الصيف، يكون القطار مساحة للوقوف فقط، محتشدا بسكان مانهاتن القاصدين هامبتونز. لكنه أصيل نوفمبري بارد، والسحب الرمادية الداكنة تهدد بسقوط أول ثلوج الموسم، ولدى باري أريكة العربة في قطار سكة حديد لونج آيلاند كاملة تقريبا له وحده.

وبينما يحدق عبر النافذة، مراقبا أضواء بروكلين وهي تتضاءل مبتعدة من خلال الزجاج القذر، تثقل رأسه وتتراخى عيناه.

عندما يفيق، يكون الليل قد حل. المنظر خارج النافذة الآن مظلم، نقاط من الضوء، وانعكاسه هو نفسه في الزجاج.

مونتوك هي المحطة الأخيرة في الخط، وهو يخطو نازلا من القطار قبل الثامنة مساء بقليل إلى مطر ثلجي ينهمر مائلا عبر نور أعمدة الإضاءة. يُحكم شد حزام معطفه الصوفي الواقي من المطر ويرفع

ياقتـه، بينـما تخـرج أنفاسـه بخـارا في الصقيـع. يسـير بمحـاذاة خطـوط السـكة الحديـد إلى مبنـى المحطـة، الـذي كان قـد أُغلـق مـع حلـول الليـل، ويصعـد داخـل سـيارة الأجـرة التـي طلبهـا وهـو في القطـار.

كان أغلـب وسـط مدينـة مونتـوك قـد أُغلـق مـع بدايـة الموسـم. جـاء بـاري إلى هنـا مـرة مـن قبـل، منـذ عشريـن عامـا، مـع جوليـا وميجـان، في عطلـة نهايـة أسـبوع صيفيـة مزدحمـة عندمـا كانـت الشـوارع والشـواطئ تغـص بالمصطافـين.

باينـوود لـين طريـق معـزول مغطـى بالرمـال، متصـدع ومبرقـش بجذور الشـجر. بعـد نصـف ميـل، تصطـدم المصابيـح الأماميـة لسـيارة الأجـرة بمدخـل لـه بوابـة، حيـث ثُبتـت لوحـة تحمـل الرقـم الرومـاني "VI" عـلى واحـد مـن الأعمـدة الحجريـة.

يقول للسائق: "أوقف السيارة عند الصندوق.."

تندفـع السـيارة إلى الأمـام، ونافـذة بـاري تطـنُّ وهـي تهبـط داخـل البـاب.

يمـد يـده ويضغـط زر النـداء. هـو يعـرف أنهـما في البيـت. قبـل أن يغـادر نيويـورك، اتصـل تليفونيـا، متظاهـرا أنـه مـن شركـة (فيديكـس) يحـاول ترتيـب توصيـل متأخـر.

تجيب امرأة: "بيت بيهرمان."

"معـك المحقـق سـاتون مـن إدارة شرطـة نيويـورك. هـل زوجـك في البيـت يـا سـيدتي؟"

"هل كل شيء بخير؟"

"نعم. أحتاج إلى الحديث معه."

ثمة صمت قصير، يتبعه صوت محادثة هامسة.

ثم يأتي صوت رجل عبر السماعة: "معك جو. ما الأمر؟"

"أفضل أن أخبرك شخصيا. وعلى انفراد."

"كنا على وشك الجلوس لتناول العشاء."

"أعتذر عن التطفل، لكني أخذت قطارا للتو من المدينة إلى هنا."

ممـر السـيارات الخـاص حـارة واحـدة تلتـف عـبر امتـدادات مـن العشـب والأجـام الكثيفـة في تصاعـد تدريجـي نحـو بيـت جاثـم أعـلى منحـدر طفيـف. مـن عـلى بُعـد، يبـدو البيـت مشـيدا بأكملـه مـن الزجاج، ومسـاحته الداخليـة متوهجـة كواحـة في الليـل.

يدفـع بـاري إلى السـائق نقـدا، شـاملا 20 دولارا إضافيـة لـكي ينتظـره. ثـم يخطـو خارجـا إلى المطـر ويصعـد السـلم نحـو المدخـل. ينفتـح البـاب الأمامـي عندمـا يصـل إلى شرفـة الردهـة. يبـدو جـو بيهرمـان أكـبر سـنا مـن صورتـه في رخصـة القيـادة، شـعره الآن مخطـط بالفـضي ويحمـل في وجهـه الـذي أتلفتـه الشـمس مـا يكفـي مـن الـوزن كي يجعـل ألغـاده تتـدلى.

أما فراني فقد شاخت بجمال أكبر.

لثـلاث ثـوان طـوال يشـعر بالشـك إن كانـوا سـيدعونه إلى الدخـول، لكـن عندئـذ تتراجـع فـراني أخـيرا، وتقـدم لـه ابتسـامة مجـبرة، وتدخلـه إلى بيتهـما.

المسـاحة الخاليـة مـن الجـدران أعجوبـة مـن الراحـة والتصميـم ذي النسـب النموذجيـة. في ضـوء النهـار، يتخيـل أن الجـدار المكـون مـن نوافـذ يقـدم منظـرا رائعـا للبحـر والغابـة المحميـة المحيطـة. رائحـة شيء يُخبـز في المطبـخ تتخلـل البيـت وتُذكـر بـاري بمـا كان عليـه الحـال حـين تُطبـخ الأشـياء مـن البدايـة بـدلا مـن إعـادة تسـخينها في ميكرويـف أو إحضارهـا إليـه في أكيـاس بلاسـتيكية عـلى يـد الغربـاء.

تضغط فراني يد زوجها وتقول: "سأُبقي كل شيء في درج التدفئة." ثم تلتفت إلى باري. "هل يمكن أن آخذ معطفك؟"

يقوده جو إلى داخل مكتب به جدار واحد من الزجاج وبقية الجدران مغطاة بالكتب. وعندما يجلسان أحدهما قبالة الآخر إلى جوار مدفأة تعمل بالغاز، يقول جو: "عليّ أن أقول لك إنه من المخيف قليلا أن تأتيك زيارة غير متوقعة من محقق في وقت العشاء."

"آسف إن كنت قد أفزعتك. أنت لست في مشكلة أو أي شيء."

يبتسم جو: "كان من الأفضل أن تبدأ بهذا."

"سأدخل في الموضوع مباشرة. منذ خمسة عشر عاما، صعدت زوجتك إلى الطابق الواحد والأربعين من مبنى بو في الجانب الغربي الأعلى و..."

"هي أفضل كثيرا الآن. شخص مختلف تماما." رفة من ضيق، أو خوف، تعبر وجه جو، الذي تلون قليلا. "لماذا أنت هنا؟ لماذا أنت في بيتي فيما كان ينبغي أن تكون ليلة وديعة مع زوجتي، تنبش في ماضينا؟"

"منذ ثلاثة أيام، كنت أقود سيارتي عائدا إلى بيتي، وجاء اتصال لاسلكي بإشارة 10-56A - أي محاولة انتحار. استجبت ووجدت امرأة تجلس على حافة شرفة الطابق الحادي والأربعين لمبنى بو. قالت أنها تعاني من م ز ذ. أتعرف ما هي؟"

"ذلك الشيء المتعلق بالذاكرة الزائفة."

"وصفت لي تلك الحياة الكاملة التي لم تحدث قط. كان لديها زوج وابن. عاشوا في فيرمونت. وكانت تدير مع زوجها مشروعا لتنسيق حدائق البيوت. قالت إن اسمه جو. جو بيهرمان."

يغدو جو ساكنا جامدا للغاية.

"كان اسمها آن ڤوس بيترز. ظننت أن فراني قد **قفزت** من المكان الذي كانت جالسة فيه. أخبرتني أنها جاءت هنا وتكلمت إليك، لكنك لم تعرفها. أما السبب في اختيارها تلك الحافة فكان تمسكها بأمل أنك قد تأتي لإنقاذها، معوضا فشلك في إنقاذ فراني. لكن من الواضح أن ذاكرة آن كانت معيبة؛ لأنك **فعلتها** وأنقذت فراني. قرأت تقرير الشرطة هذا الأصيل."

"ماذا حدث الآن؟"

"لم أستطع إنقاذها."

يغلق جو عينيه ويفتحهما. "ماذا تريد مني؟" يسأله وصوته بالكاد أعلى من الهمس.

"هل كنت تعرف آن ڤوس بيترز؟"

"لا."

"إذًا كيف لآن أن تعرفك؟ كيف عرفت أن زوجتك قد صعدت إلى نفس الحافة بنية الانتحار؟ لماذا اعتقدت أنها كانت زوجتك؟ أنه كان لديكما أنتما الاثنان ولد اسمه سام؟"

"ليس لديّ فكرة، لكني أود أن تغادر الآن."

"سيد بيهرمان..."

"من فضلك. لقد أجبت على أسئلتك. ولم أرتكب أي خطأ. اذهب."

ورغم أنه لا يستطيع أن يخمن السبب، إلا أنه متأكد من شيء واحد - جو بيهرمان يكذب.

ينهض باري من المقعد. يمد يده في سترته ويُخرج بطاقة شخصية يضعها على المنضدة بين المقاعد. "إذا غيرت رأيك، آمل أن تتصل بي."

جـو لا يـرد، لا ينهـض، لا ينظـر حتـى إلى بـاري. يضـم يديـه في حجـره - ليمنعهـما مـن الارتعـاش، بـاري متأكـد - ويحـدق عـن قصـد في النـار.

بينـما يركـب بـاري متجهـا إلى مونتـوك، يراجـع الجـداول في تطبيـق (إدارة نقـل ميريلانـد) الخـاص بـه. أمامـه فقـط مـا يكفـي مـن الوقـت لتنـاول لقمـة سريعـة والعـودة بقطـار 9:50 مسـاء إلى المدينـة.

عربـة الطعـام فارغـة تقريبـا، ينزلـق بـاري معتليـا مقعـدا بـلا ظهـر إلى جـوار الطاولـة، ومـازال الأدرينالـين الناتـج عـن حـواره مـع جـو يجـري داخلـه.

قبـل أن يـأتي طعامـه، يدخـل رجـل بـرأس حليـق ويجلـس إلى مائـدة بـين مقعديـن. يطلـب قهـوة ويجلـس هنـاك يقـرأ شـيئا في هاتفـه.

لا.

يتظاهر بقراءة شيء في هاتفه.

عينـاه منتبهتـان أكـثر مـن الـلازم، والـبروز أسـفل سـترته الجلديـة يشـير إلى جـراب مسـدس معلـق في كتفـه. لديـه تلـك الحـدة المسـترة لشرطـي أو جنـدي - عينـان لا تهـدآ قـط، مندفعتـان دائمـا، متعاملتـان دائمـا، رغـم أن رأسـه لا تتحـرك قـط. إنـه حـال لا يمكنـك أن تخطئـه.

لكنه لا ينظر إلى باري قط.

أنت فقط مصاب بالبارانويا.

ينهـي بـاري نصـف طبقـه مـن (ويـڤوس رانتشـيروس[1]) وهـو يفكـر في جـو وفـراني بيهرمـان عندمـا يندلـع وميـض مـن الألم خلـف عينيـه.

---

(1) طبق إفطار يتكون من البيض الذي يتم تقديمه على طراز المأكولات التقليدية الكبيرة في منتصف الصباح في المزارع الريفية المكسيكية.

تبدأ أنفه في النزيف، وبينما يوقف الدم بمنديل مائدة، تتزاحم في عقله مجموعة مختلفة تماما من ذكريات الأيام الثلاثة الماضية. كان يقود سيارته عائدا إلى البيت ليلة الجمعة، لكن لم تأت قط إشارة 56A-10 عبر اللاسلكي. ولم يصعد قط إلى الطابق الحادي والأربعين لمبنى بو. لم يقابل قط آن ڤوس بيترز. لم يرها قط وهي تسقط. لم ينظر قط إلى تقرير الشرطة المتعلق بمحاولة انتحار فراني بيهرمان. لم يشتر قط تذكرة قطار إلى مونتوك. لم يجر مقابلة قط مع جو بيهرمان.

بالنظر إلى الأمر من منظور معين، كان للتو جالسا في مقعده الكبير في شقته المكونة من حجرة نوم واحدة في حي (واشنطن هايتس) يتفرج على مباراة كرة سلة لفريق نيكس، والآن هو فجأة في عربة طعام في مونتوك بأنف دامٍ.

عندما يحاول النظر إلى هذه الذكريات البديلة في عينها مباشرة، يجد أنها تحمل سمتا مختلفا عن أي ذكرى عرفها من قبل. فهي هامدة وجامدة، مكسوة بأصباغ من الأسود والرمادي، بالضبط كما وصفتها آن ڤوس بيترز.

هل أصابتني عدوى هذا منها؟

لقد توقفت أنفه عن النزف، لكن يديه بدأتا في الارتعاش. بعد أن يلقي بعض النقود على الطاولة، يتوجه خارجا إلى الليل، محاولا أن يبقى هادئا، لكنه يترنح.

هناك بضعة أشياء في وجودنا يمكننا الاعتماد عليها كي تعطينا الإحساس بالبقاء، بالأرض أسفل أقدامنا. الناس يخذلوننا. أجسادنا تخذلنا. نحن نخذل أنفسنا. لقد اختبر كل هذا. لكن ما الذي تتشبث به، لحظة بعد لحظة، إذا كان يمكن للذكريات أن تتغير هكذا

ببساطة؟ ماذا، إذاً، هو الحقيقي؟ وإذا كانت الإجابة لا شيء، أين يتركنا هذا؟

يتساءل إن كان قد جُنَّ، إن كان هذا ما يبدو عليه الحال عندما تفقد عقلك.

إنها أربعة مربعات سكنية تفصل بينه وبين محطة القطار. لا سيارات في الطريق، المدينة ميتة، وكمخلوق من مدينة لا تنام قط؛ يجد صمت هذه القرية العاطلة مخيفا.

يستند إلى عمود إنارة، منتظرا أن تنفتح أبواب القطار، واحد من أربعة أشخاص على الرصيف، من ضمنهم الرجل الذي كان في عربة الطعام.

المطر الذي يضرب يديه يتحول إلى ثلج ذائب، أصابعه مجمدة، لكنه يريدها كذلك.

البرد هو الشيء الوحيد الذي يبقيه مرتبطا بالواقع.

هيلينا

31 أكتوبر 2008 – 14 مارس 2009

اليوم 366

بعـــد يومـــين مـــن أول اســـتخدام للمقعـــد، تجلـــس هيلينـــا في غرفـــة التحكـــم، محاطـــة بفريـــق التصويـــر، تحـــدق في شاشـــة ضخمـــة تعـــرض صـــورة ثابتـــة ثلاثيـــة الأبعـــاد لمخهـــا، ونشـــاط التشـــابك العصبـــي ممثَّـــل بظـــلال متفاوتـــة مـــن الأزرق الزاهـــي.

تقول: "الدقة المكانية مذهلة يا شباب. أبعد مما تخيلت على الإطلاق."

يقول راجيش: "فقط انتظري.."

ينقـــر مفتـــاح المســـافة، وتغـــدو الصـــورة متحركـــة. تتوهـــج الخلايـــا العصبيـــة وتخفـــت مثـــل تريليـــون حـــشرة مضيئـــة تلمـــع في مســـاء صيفـــي. مثـــل احـــتراق النجـــوم.

وعندما تعمل الذاكرة، يُكبّر راجيش الصورة إلى مستوى الخلايا العصبية الفردية. خيوط من الكهرباء تتحرك مقوسة من تشابك عصبي إلى آخر. يبطئ الحركة ليبين النشاط في نطاق المللي من الثانية، ومازال التعقيد متعذر الفهم.

عندما تنتهي الذكرى، يقول: "وعدتِ أن تخبرينا بماهية ما كنا ننظر إليه."

تبتسم هيلينا: "كنت في السادسة من عمري. وكان والدي قد أخذني للصيد بالشص في ذلك المجرى الذي كان يحبه في منتزه جبل روكي الوطني."

يسألها راجيش: "هل يمكن أن تكوني محددة فيما يتعلق بالضبط بما كنت تتذكرينه خلال هذه الثواني الخمس عشرة؟ هل كانت تلك الظهيرة بأكملها؟ لحظات معينة؟"

"كنت لأصفها بالومضات، والتي في مجموعها تشكل العودة العاطفية إلى الذكرى."

"مثلاً..."

"صوت خرير الماء فوق الصخور في قاع المجرى. أوراق شجر حور صفراء تطفو في التيار، وكيف تبدو كعملات ذهبية. يدا أبي الخشنتان وهما تجربان ذبابة الطعم. توقع أن تعلق سمكة في الخطاف. التمدد في العشب على الضفة، والتحديق إلى أسفل في المياه. السماء الزرقاء الساطعة والشمس تأتي خلال الشجر في شظايا من الضوء. سمكة أمسكها أبي وهي ترتعش في يديه وشرحه أن اللون الأحمر تحت فكها السفلي هو السبب في أنهم يسمونها سمكة السلمون المرقط السفاح. لاحقا ذلك الأصيل، دخل خطاف في إبهامي." ترفع هيلينا الإصبع المقصود لتريهم الندبة البيضاء الضئيلة. "لم تكن لتخرج بسبب النصل، لذلك فتح أبي مطواته وقطع الجلد. أذكر بكائي، وهو يطلب مني

أن أبقـى سـاكنة، وعندمـا خـرج الخطـاف أخـيرا، أمسـك إبهامـي في المـاء المثلـج حتـى شـعرت بالخـدر فيـه. وشـاهدت الـدم وهـو يتدفـق مـن الجـرح إلى التيـار."

يسـألها راجيـش: "مـا هـي صلتـك العاطفيـة بتلـك الذكـرى؟ السـبب الـذي اخترتيهـا مـن أجلـه."

تنظـر هيلينـا داخـل عينيـه الواسـعتين السـوداوتين وتقـول: "ألم خطـاف الصيـد، لكـن في الأسـاس لأنهـا أفضـل ذكـرى لـديّ عـن أبي. اللحظـة التـي كان فيهـا هـو ذاتـه بأكـثر الأشـكال جوهريـة."

اليوم 370

يعيـدون هيلينـا إلى المقعـد ويجعلونهـا تسـتعيد الذكـرى مـرة بعـد مـرة، مفتتـة إياهـا إلى أقسـام حتـى يتمكـن فريـق راجيـش مـن ربـط النـماذج التشـابكية الفرديـة بلحظاتهـا المحـددة.

اليوم 420

تحـدث أول محاولـة إعـادة تنشـيط عشـية الكريسـماس الثـاني الـذي تشـهده هيلينـا عـلى المنصـة. يضعونهـا في الكـرسي ويزودونهـا بخـوذة ملحقـة بشـبكة مـن المنبهـات الكهرومغناطيسـية. كان سـيرجي قـد برمـج الجهـاز بإحداثيـات متشـابكة لقسـم واحـد مـن ذكـرى رحلـة صيـد هيلينا. وعندمـا تخبـو الأضـواء في قاعـة الاختبـار الرئيسـية، تسـمع هيلينـا صـوت سـليد في سـماعة مسـند الـرأس.

"مستعدة؟"

"نعم."

لقـد قـرروا جميعـا ألا يخـبروا هيلينـا متـى سـينطلق جهـاز إعـادة التنشـيط، أو أي قسـم مـن الذكـرى قـد اختـاروه، حيـث القلـق مـن أنهـا

حـال ترقبهـا للذكـرى؛ فهنـاك احتـمالات بـأن تسـتعيدها بنفسـها دون قصـد.

تغلـق هيلينـا عينيهـا وتبـدأ تمريـن تصفيـة الذهـن الـذي كانـت تتدرب عليـه لأسـبوع حتـى الآن. تـرى نفسـها تسـير داخلـة غرفـة. هنـاك دكـة في المنتصـف، مـن النـوع الـذي قـد يجـده المـرء في متحـف للفنـون. تجلـس وتفحـص الحائـط المواجـه لهـا. مـن الأرضيـة إلى السـقف، ينتقـل بصـورة تدريجيـة مـن الأبيـض إلى الأسـود، مـارا بظـلال مـن الرمـادي الـذي يـزداد عمقـا بخفـة. تبـدأ مـن أسـفل، وتأخـذ وقتهـا في الفحـص صاعـدة ببـطء بطـول الحائـط، ملاحظـة تمامـا لـون كل قسـم قبـل الانتقـال إلى التـالي، كل منطقـة لاحقـة أغمـق بالـكاد مـن المنطقـة السـابقة عليهـا -

اللدغـة المباغتـة لخطـاف شـائك يطعـن إبهامهـا، صوتهـا صرخـة حـادة مـن الألم، فقاعـة حمـراء مـن الدمـاء تمـلأ المسـاحة حـول الخطـاف بينـما أبوهـا يـأتي مهـرولا.

"هل فعلتموها؟" تسأل هيلينا، وقلبها يتخبط في صدرها.

يسألها سليد: "هل أحسست بشيء؟"

"نعم، الآن للتو."

"صِفيه."

"ومضـة ذكـرى حيـة للخطـاف وهـو يخـرق إبهامـي. أكان هـذا أنتـم يـا شـباب؟"

تنفجر الهتافات من غرفة التحكم.

تبدأ هيلينا في البكاء.

اليوم 422

يبدأون تسجيل وتصنيف الذكريات الذاتية لكل شخص على المنصة، ملتزمين في صرامة بالذكريات الوامضة.

اليوم 424

تسمح لهم لينور بتسجيل ذكرياتها عن صبيحة يوم 28 يناير من عام 1986.

كانت في الثامنة من عمرها وفي زيارة لعيادة طبيب الأسنان. كان مدير العيادة قد أحضر تلفازا من البيت ووضعه في حجرة الانتظار. كانت لينور جالسة مع أمها قبل موعدها، تشاهد تغطية إطلاق المكوك التاريخي عندما تفككت المركبة الفضائية فوق المحيط الأطلنطي.

كانت المعلومات التي جرى تشفيرها بأقوى ما يكون بالنسبة لها هي التلفاز الصغير على حامل متحرك. ولقطات الكاميرا للسحب البيضاء المنعقدة بعد لحظات من الانفجار. وأمها تقول: "آه يا إلهي!". القلق الحاد في عينيّ د. هنتر. وواحدة من إخصائيي صحة الأسنان تأتي من الخلف لتحدق في التلفاز بينما الدموع تجري سائلة على وجهها وأسفل القناع الجراحي الذي كانت مازالت ترتديه.

اليوم 448

يتذكر راجيش المرة الأخيرة التي رأى فيها أباه قبل الانتقال إلى أمريكا. كان قد قاما برحلة سفاري، هما الاثنان فقط، في وادي سبيتي، عاليا في جبال الهيمالايا.

يتذكر رائحة ثيران التبت. حدة وشدة ضوء الشمس الجبلي. اللسعة المجمدة للنهر. الدوار الذي أصابه من الهواء الخالي من الأوكسجين على ارتفاع 4000 متر. كل شيء بُنيّ وقاحل، باستثناء

البحيرات الأشبه بعيون زرقاء باهتة، والمعابد بأعلام صلواتها زاهية الألوان، والامتدادات العلوية لأعلى القمم اللامعة بالثلوج الساطعة.

لكن بشكل خاص الليلة التي أخبره فيها والده بما كان يعتقده فعلا عن الحياة، عن راج، وأم راج، وكل شيء، في لحظة عابرة من الهشاشة بينما جلس كلاهما أمام نار معسكر تنطفئ رويدا رويدا.

اليوم 452

يجلس سيرجي في المقعد متذكرا اللحظة التي ضربت فيها دراجة بخارية ظهر سيارته. الاصطدام المفاجئ للمعدن بالمعدن. رؤية الدراجة وهي تتشقلب في الطريق السريع من نافذة السائق الجانبية. الخوف، الرعب، طعم الصدأ في مؤخرة حلقه وإحساس بالوقت يتباطأ إلى درجة الزحف.

ثم إيقافه سيارته في منتصف شارع موسكو المزدحم وخروجه إلى رائحة الزيت والغاز المتسربين من الدراجة المحطمة، وسائق الدراجة جالس في منتصف الطريق، وأغطية ساقيه الجلدية ممزقة ويبرز منها الجلد، وهو يحدق مصعوقا في يديه، اللتين بُترت أغلب أصابعهما، ثم يصرخ عندما رأى سيرجي، ويحاول سائق الدراجة الوقوف والقتال، ثم يصرخ عندما ترفض ساقه، التي التوت تحته على نحو مستحيل، أن تستجيب.

اليوم 500

إنه يوم من أول الأيام المعتدلة في السنة. طوال الشتاء، كانت المنصة تتلقى ضربات عاصفة إثر عاصفة، مختبرة حدود حتى عتبة هيلينا الخاصة ببيئات العمل الخانقة. لكن اليوم دافئ وصحو، والبحر هادئ بما يكفي لسطحه كله أن يتمدد لامعا تحت المنصة.

هي وسليد يتحركان على مهل حول مضمار الجري.

يسألها: "كيف تشعرين حيال التقدم الذي حققناه؟"

"عظيم. إنه يمضي أسرع بكثير مما كنت آمل. أعتقد أننا ينبغي أن ننشر شيئا."

"فعلا."

"أنا مستعدة لأن آخذ ما تعلمناه وأبدأ تغيير حياة الناس."

ينظر إليها، تبدو أنحف وأصلب مما كانت منذ تقابلا أول مرة قبل عام ونصف تقريبا. كما أنها قد تغيرت أيضا. إنها في أعظم شكل بدني في حياتها، ولم يكن عملها قط أكثر متعة.

لا شيء من انخراط سليد في هذا المشروع توافق مع توقعاتها. منذ وصولها إلى المنصة، لم يغادرها هو إلا مرة واحدة، وكان مشاركا عن قرب خلال كل خطوة من خطوات العملية. لقد حضر هو وجي-وون كل اجتماع للفريق. وقدم مشورته في كل قرار مادي. كانت تظن أن رجلا مشغولا مثل سليد سيقفز بالباراشوت فقط من فترة لأخرى، لكن هوسه بالموضوع نافس هوسها.

والآن يقول: "أنت تتحدثين عن النشر، وأنا أشعر كأننا اصطدمنا بحائط." يدوران حول الزاوية الشمالية الشرقية من المضمار ويتوجهان غربا. "إن خبرة إعادة تنشيط الذكرى شيء محبط."

"أنا مصدومة من سماعك تقول هذا. كل من مر بإعادة التنشيط خرج يحكي عن خبرة ذاكرة أكثر وضوحا وقوة بكثير من أي شيء استدعاه بنفسه. إن إعادة التنشيط تثير كل العلامات الحيوية، أحيانا إلى درجة التوتر الشديد. لقد رأيتَ خرائط سجلاتهم الطبية. لقد جعلتَ ذكرياتك تشتعل. أتعترض على هذا؟"

"لا أعترض على أنها خبرة أقوى من تذكر شيء بنفسي، لكنها ليست تقريبا بنفس الديناميكية التي كنت آملها."

تشعر بدفقة من الغضب تلون وجهها بالحمرة. "نحن نحقق تقدما بمعدل مذهل، ونحقق طفرات علمية في فهمنا للذاكرة والإنجرامات[1] ستشعل العالم لو وافقت على السماح لي بالنشر. أريد أن أبدأ رسم خرائط الذكريات لموضوعات الاختبار ذات المرحلة الثالثة من الألزهايمر، وعندما يصلون إلى المرحلة الخامسة أو السادسة، نعيد تنشيط الذكريات التي حفظناها لهم. ماذا لو كان هذا هو الطريق إلى إحياء التشابك العصبي؟ إلى العلاج؟ أو على أقل القليل، لحفظ الذكريات الأساسية للأشخاص الذين تخذلهم أدمغتهم؟"

"هل تصنعين هذا من أجل أمك يا هيلينا؟"

"بالطبع أفعل هذا! إنها ستصل إلى نقطة في العام التالي لن تكون فيها أي ذكريات باقية كي نرسم خرائطها. ماذا تظن أني أفعل هنا؟ لماذا تعتقد أني كرست حياتي لهذا؟"

"أحب ولعك، وأريد أن أقضي على هذا المرض أيضا. لكن أولاً، أنا أريد: **منصة ثلاثية الأبعاد لعرض الذكريات طويلة الأمد والواضحة والمسلسلة.**" بالضبط عنوان طلب براءة الاختراع الذي حلمت به منذ سنوات، الطلب الذي لم تقدمه بعد.

"كيف تعرف بأمر براءة اختراعي؟"

وبدلا من الرد عليها، يطرح سؤالا آخر: "هل تعتقدين أن ما بنيتيه حتى الآن مقارب بأي شكل لثلاثي الأبعاد؟"

"لقد أعطيت هذا المشروع كل شيء لديّ."

---

(1) الإنجرام engram وحدة من المعلومات المعرفية داخل الدماغ، تُعتبر نظريا الوسيلة التي يتم بها تخزين الذكريات كتغيرات فيزيائية حيوية أو كيميائية حيوية في المخ استجابةً للمنبهات الخارجية.

"من فضلك توقفي عن أن تكوني في وضع من تدافع عن نفسها دائما. التكنولوجيا التي صنعتيها نموذجية. أنا فقط أريد أن أساعدك على جعلها تحقق كل ما يمكن أن تحققه."

يدوران حول الزاوية الشمالية الغربية، متوجهين جنوبا الآن. فريقا التصوير ورسم الخرائط يتنافسان على الفوز بمباراة في ملعب الكرة الطائرة. راجيش يرسم لوحة بألوان الماء في الهواء الطلق إلى جوار حمام السباحة المغطى بالمشمع. وسيرجي يقوم برميات حرة في ملعب كرة السلة.

يتوقف سليد عن المشي وينظر إلى هيلينا: "وجِّهي فريق البنية التحتية بإنشاء حوض عزل. سيحتاجون إلى التنسيق مع سيرجي للعثور على طريقة لتثبيت جهاز إعادة التنشيط وجعله مقاوما للماء كي نضع موضوع اختبار يطفو بداخله."

"لماذا؟"

"لأنه سيخلق النسخة النقية من إعادة تنشيط الذاكرة التي أبحث عنها."

"كيف أمكن لك أن تعرف...؟"

"بمجرد أن تنجزي هذا، ابتكري وسيلة لإيقاف قلب موضوع الاختبار بمجرد دخوله حوض العزل."

تنظر إلى سليد كما لو أنه فقد عقله.

يقول: "كلما زاد الضغط الذي يتحمله الجسد البشري خلال إعادة التنشيط، كلما زادت خبرة الذاكرة قوةً. هناك غدة في حجم حبة الأرز مدفونة عميقا داخل أدمغتنا وتُدعى الغدة الصنوبرية، والتي تلعب دورا في خلق مادة كيميائية اسمها ثنائي ميثيل التريبتامين، أو دي إم تي. هل سمعتِ بها؟"

"إنها واحدة من أقوى مخدرات الهذيان المعروفة للإنسان."

"بجرعـات ضئيلـة تُطلَـق داخـل أدمغتنـا ليـلا، تكـون الـدي إم تي مسـؤولة عـن أحلامنـا. لكـن في لحظـة المـوت، تطلـق الغـدة الصنوبريـة سـيلا حقيقيـا مـن الـدي إم تي. أوكازيـون تصفيـة العمـل. وهـذا هـو السـبب في أن النـاس يـرون أشـياء عندمـا يموتـون، مثـل العـدو عـبر نفـق نحـو النـور، أو أن تمـر حياتهـم بأكملهـا كالـبرق أمـام عيونهـم. ولـكي نحصـل عـلى ذكـرى غامـرة أشـبه بالحلـم، نحتـاج إلى أحـلام أكـبر. أو إذا شـئت إلى المزيـد والمزيـد مـن الـدي إم تي."

"لا أحـد يعـرف مـا تمـر بـه عقولنـا الواعيـة عندمـا نمـوت. ولا يمكنـك التأكـد مـن أن هـذا سـيكون لـه أي تأثـير عـلى تجسـد الذكـرى. قـد نقتـل النـاس فقـط."

"متى أصبحتِ متشائمة هكذا؟"

"مَن بالضبط تعتقد أنه سيتطوع ليموت من أجل هذا المشروع؟"

"سـنعيدهم إلى الحيـاة. اسـتفتِ أعضـاء فريقـك. سـأدفع جيـدا بالنظـر إلى المخاطـرة. وإذا لم تحصـلي عـلى مـا يكفـي مـن تسـجيلات الالتحـاق مـن أجـل التجـارب، سـأبحث في مـكان آخـر."

"هل ستتطوع بالدخول في حوض العزل وأن تتعرض لإيقاف قلبك؟"

يبتسـم سـليد ابتسـامة سـوداء: "عندمـا تكتمـل العمليـة؟ بالقطـع. عندئـذ، وعندئـذ فقـط، يمكنـك أن تـأتي بأمـك إلى المنصـة، وتسـتخدمي كل معـداتي وكل معرفتـك لترسـمي خريطـة ذكرياتهـا وتنقذيهـا."

"ماركوس، من فضلك..."

""عندئذ، وعندئذ فقط."

"إن الوقت ينفد منها."

إذًا ابدئي العمل."

تراقبه وهو يمضي. قبل ذلك، كان الأمر دائما بعيدا أسفل سطح الوعي بما يكفي لتجاهله. والآن ها هو يحدق بها في مواجهتها مباشرة. لا تعرف كيف، لكن سليد يعرف أشياء لا ينبغي له أن يعرفها، أو لعله لا يمكن أن يعرفها - التفاصيل الكاملة لنسختها من إسقاط الذاكرة، وحتى اسم طلب براءة الاختراع الذي كانت ستقدمه يوما ما. المعالجات الكمية التي عرفها بطريقة ما قامت بحل مشكلة رسم الخرائط. والآن هذا التصور المجنون عن إيقاف القلب كوسيلة لتعميق الخبرة الغامرة. بل والأكثر رعبا، الطريقة التي يلقي بها سليد هذه التلميحات الصغيرة، وكأنه تقريبا يريدها أن تعرف أنه يعرف أشياء لا ينبغي له معرفتها. كأنه يريدها أن تقلق من مدى سلطته ومعرفته. يخطر لها أنه إذا استمر هذا الاحتكاك، قد يأتي يوم يلغي فيه سليد قدرتها على الوصول إلى منصة الذاكرة. ربما يمكنها إقناع راج بأن ينشئ لها حساب مستخدم ثانويا سريا تحسبا للأمر.

لأول مرة منذ خطت بقدمها على هذه المنصة، تتساءل بينها وبين نفسها إن كانت آمنة هنا.

باري

5 – 6 نوفمبر 2018

"سيدي؟ معذرةً سيدي؟"

يصحو باري من النوم، يفتح عينيه، كل شيء مشوش للحظة ولا فكرة لديه لمدة خمس ثوان مربكة عن مكانه. ثم يميز الحركة الرجراجة للقطار. وأعمدة النور تندفع في لمح البصر من وراء النافذة أمامه في الممر. وجه الكمساري العجوز.

"هل يمكن أن أرى تذكرتك؟" يسأل الرجل العجوز بأسلوب مهذب تربى في زمن آخر. يفتش باري متعجلا في معطفه حتى يجد هاتفه في قاع جيب داخلي. يفتح تطبيق إم تي إيه، ويرفع تذكرته بحيث يمكن للكمساري أن يمسح الرمز الشريطي.

"أشكرك سيد ساتون. آسف على إيقاظك."

وبينـما ينتقـل الكمسـاري إلى العربـة التاليـة، يلاحـظ بـاري إشـعارات بأربـع مكالـمات فائتـة عـلى شاشـة عـرض هاتفـه - كلهـا مـن نفـس الرمـز الخـاص بالمنطقـة 934.

ورسالة بريد صوتي واحدة.

يضغـط عـلى زر التشـغيل، ويضـع الهاتـف عـلى أذنـه. **"هـاي، معـك جـو... جـو بيهرمـان. إممـم... هـل يمكـن مـن فضلـك أن تتصـل بي بمجـرد أن يصلـك هـذا؟ أحتـاج بالفعـل للحديـث معـك."**

يعيـد بـاري الاتصـال عـلى الفـور، ويـرد جـو قبـل الرنـة الثانيـة: "المحقـق سـاتون؟"

"نعم."

"أين أنت؟"

"في القطار العائد إلى نيويورك."

"عليـك أن تفهـم، لم أعتقـد قـط أن أي شـخص سيكتشـف الأمـر. لقـد وعـدوني أنـه لـن يحـدث أبـدا."

"عم تتحدث؟"

"كنت خائفا." جو يبكي الآن. "هل يمكنك العودة؟"

"جو. أنا في قطار. لكن يمكنك أن تكلمني الآن."

للحظـة، لا يفعـل الرجـل شـيئا غـير التنفـس أنفاسـا ثقيلـة في الهاتـف. يظـن بـاري أنـه يسـمع امـرأة أيضـا تبـكي في الخلفيـة، لكنـه ليـس متأكـدا.

يقـول جـو: "لم يكـن ينبغـي أن أفعلهـا. أعـرف ذلـك الآن. كانـت لـديّ تلـك الحيـاة العظيمـة مـع ابـن جميـل، لكنـي لم أسـتطع أن أنظـر إلى نفـسي في المـرآة."

"لماذا؟"

"لأني لم أكن هناك من أجلها، وهي قفزت. لم أستطع أن أسامح..."

"من التي قفزت؟"

"فراني."

"عم تتحدث؟ فراني لم تقفز. لقد رأيتها للتو في بيتك."

عبر وصلة الروابط الإستاتيكية، يسمع باري انهيار جو.

"جو، هل كنت تعرف آن ڤوس بيترز؟"

"نعم."

"كيف؟"

"كنت متزوجا منها."

"ماذا؟"

"قفزت آن نتيجة غلطتي. رأيت إعلانا ضمن الإعلانات المبوبة. كان يقول: 'هل تود أن تعيد التجربة؟' وكان هناك رقم هاتف اتصلت به. هل أخبرتك آن أنها تعاني من متلازمة الذاكرة الزائفة؟"

"صحيح." **والآن أنا أعاني منها.** "ويبدو كأنك تعاني منها أيضا. يقولون إنها تنتقل في الدوائر الاجتماعية."

يضحك جو، لكن الصوت مليء بالندم وكراهية الذات. "م ز ذ ليست ما يظنه الناس فيها."

"وأنت تعرف ماهية م ز ذ؟"

"بالطبع."

"قل لي."

يسود الهدوء في الخط، وللحظة يظن باري أنه قد فقد الإشارة.

"جو، هل أنت موجود؟ هل فقدتك؟"

"أنا هنا."

"ما هي م ز ذ؟"

"إنهـا الأشـخاص الذيـن عـلى شـاكلتي، الذيـن فعلـوا مـا فعلتـه. ولـن يحـدث إلا أن يـزداد الأمـر سـوءا."

"لماذا؟"

"أنـا..." ثمـة وقفـة طويلـة. "لا يمكننـي التفسـير. إنـه شيء مجنـون. يجـب أن تذهـب وتـرى بنفسـك."

"وكيف لي أن أفعل هذا؟"

"بعـد أن اتصلـت بهـذا الرقـم، أجـروا حـوارا شـخصيا معـي عـبر الهاتـف، وبعـد ذلـك أخـذوني إلى فنـدق في مانهاتـن."

"هناك الكثير من الفنادق في مانهاتن يا جو."

"ليسـت مثـل هـذا الفنـدق. لا يمكنـك فقـط أن تذهـب إلى هنـاك. **هـم** يدعونـك. المدخـل الوحيـد عـبر جـراج تحـت الأرض."

"هل تعرف رقم الشارع؟"

"إنـه في الشـارع خمسـين الشرقـي، بـين ليكسـنجتون والثالـث. توجـد عربـة طعـام تسـهر طـوال الليـل في نفـس المربـع السـكني."

"جو..."

"هـؤلاء أشـخاص نافـذون. عانـت فـراني مـن انهيـار عصبـي عندمـا تذكـرت، وعرفـوا. ظهـروا. هـددوني."

"من **هم**؟"

ما من إجابة.

"جو؟ جو؟"

أغلق الخط.

يحاول باري الاتصال به من جديد، لكن الاتصال يأخذه مباشرة إلى البريد الصوتي.

ينظر من النافذة خارجا - لا شيء يراه غير ظلام تكسره بين الفينة والفينة أضواء بيت أو محطة تمر سريعا.

يحول تركيزه إلى تلك الذكريات البديلة التي وجدته في عربة الطعام. مازالت موجودة. ذكريات لم تحدث قط، لكنها تبدو حقيقية مثلها بالضبط مثل بقية ذكرياته، ولا يمكنه أن يضبط المفارقة في ذهنه.

ينظر حوله في العربة - هو الراكب الوحيد.

الصوت الوحيد هو النبض الثابت للقطار المتسارع بامتداد خط السكة الحديد.

يلمس مقعده، ويجري بأصابعه على النسيج.

يفتح محفظته وينظر إلى رخصة قيادته الصادرة عن ولاية نيويورك، وبعد ذلك ينظر إلى شارته الصادرة عن إدارة شرطة نيويورك.

يأخذ نفسا، ويقول لنفسه: **أنت باري ساتون. أنت في قطار من مونتوك إلى مدينة نيويورك. ماضيك هو ماضيك. لا يمكن أن يتغير. الحقيقي هو هذه اللحظة. القطار. برودة زجاج النافذة. وخطوط المطر ترتسم على الناحية الأخرى منه. وأنت. هناك تفسير منطقي لذكرياتك الزائفة، لأي كان ما حدث لجو وآن فوس بيترز. للأمر كله. إنه مجرد لغز سيُحل. وأنت ماهر جدا في حل الألغاز.**

وكل هذا الهراء.

لم يكن قط أكثر خوفا من هذا في حياته.

عندما يخطو خارجا من محطة بن، يكون الوقت قد تجاوز منتصف الليل. الثلج ينهمر من سماء وردية، وقد تجمع فعلا بارتفاع بوصة في الشوارع.

يرفع ياقته، ويفتح مظلته، ويتجه شمالا من الشارع الرابع والثلاثين.

الشوارع والأرصفة خاوية.

والثلج يخمد ضوضاء مانهاتن محولا إياها إلى صمت نادر.

خمس عشرة دقيقة من المشي السريع توصله إلى تقاطع الجادة الثامنة والشارع الخمسين الغربي، حيث يقطع الطريق شرقا عبر الشوارع الواسعة، والجو الآن أكثر برودة حتى أنه يسير في العاصفة، والمظلة مائلة مثل درع أمام الريح والثلج.

يتوقف عند ليكسنجتون ليدع ثلاث كاسحات ثلج تمر ويحدق في لافتة من النيون الأحمر أمامه في الشارع:

مطعم ماكلاشلان

إفطار

غداء

عشاء

مفتوح سبعة أيام

24 ساعة

يعبر باري، وعندئذ يكون واقفا أسفلها، يشاهد الثلج وهو يتساقط عبر الإضاءة الحمراء ويفكر أنها لا بد أن تكون عربة الطعام تلك التي ذكرها جو في الهاتف.

كان قد سار ما يقرب من أربعين دقيقة، وقد بدأ يرتعد، والثلج يتخلل حذاءه. خلف المطعم، يمر بمخبأ يجلس فيه رجل متشرد يهمهم لنفسه ويهتز إلى الوراء وإلى الأمام، وذراعاه ملفوفان حول ساقيه. ثم محل بقالة لاتيني صغير، ومتجر خمور، ومحل ملابس فاخر للسيدات، وبنك - كلها مغلقة في الليل.

قرب نهاية كتلة المباني، يتوقف عند مدخل ممر سيارات مظلم، ينزل في نفق إلى داخل مساحة تحت الأرض أسفل مبنى على الطراز القوطي الحديث محشور بين ناطحتيّ سحاب عاليتين مبنيتين من الفولاذ والزجاج.

يخفض مظلته، ويسير هابطا ممر السيارات، إلى داخل الظلمة منخفضة الإضاءة أسفل مستوى الشارع. بعد أربعين قدما، ينتهي الممر عند باب جراج مصنوع من الفولاذ المقوى. هناك لوحة مفاتيح، وأعلاها كاميرا مراقبة.

طيب، اللعنة. يبدو أن هذه نهاية الخط لهذه الليلة. سيعود غدا، ويظل مراقبا للمدخل، ويرى إن كان بمقدوره القبض على أي شخص يأتي أو...

ينتفض قلبه لصوت تروس بادئة في الدوران. يعود بنظره إلى باب الجراج، الذي يرتفع ببطء عن الأرض، ويمتد ضوء من الجانب الآخر عبر الرصيف، واصلا بالفعل إلى أطراف حذاء باري المبلل.

يغادر؟

يبقى؟

قد لا يكون هذا حتى هو المكان الصحيح.

الباب في منتصف طريق الصعود ومازال يرتفع، ولا يوجد أحد على الجانب الآخر.

يـتردد، ثـم يعـبر العتبـة إلى داخـل بنـاء متواضـع لصـف السـيارات تحـت الأرض، تشـغله دسـتة سـيارات.

تـتردد أصـداء خطواتـه مـن الخرسـانة بينـما تشـتعل مصابيـح الهالوجين فوق رأسـه.

يرى مصعدا، وإلى جواره باب من المحتمل أن يؤدي إلى دَرَج.

يضيء المصباح أعلى المصعد.

يرن جرس.

يغطـس بـاري خلـف سـيارة لنكولـن إم كاي إكـس ويراقـب عـبر الزجاج الملـون لنافـذة الـركاب الأماميـة بينـما تنفتـح أبـواب المصعد.

فارغ.

ما هذا بحق الجحيم؟

لا ينبغـي أن يكـون هنـا. لا شيء مـن هـذا لـه أي علاقـة بملـف قضايـاه الفعـلي، ولا جريمـة هنـاك، عـلى حـد علمـه، قـد ارتُكبـت. تقنيـا، **هـو** يقوم بالتعـدي عـلى ممتلـكات الآخرين.

اللعنة على هذا.

الجـدران بالداخـل مـن معـدن أملـس بـلا ملامـح، ومـن الواضـح أنـه يجـري التحكـم في المصعـد مـن مصـدر خارجـي.

تنغلق الأبواب.

يرتفع المصعد.

قلبه يدق بقوة.

يبتلـع بـاري ريقـه مرتـين ليخفـف الضغـط عـن أذنيـه، وبعـد ثلاثـين ثانيـة تتوقـف كابينـة المصعـد وقفـة مرتجـة.

أول شيء يسمعه، بينما تنفرج الأبواب، هو صوت مايلز ديفيس - واحدة من الأغاني الهادئة النموذجية في ألبوم *Kind of Blue* - يطفو فوق صدى موحش عبر ما يبدو أنها ردهة فندق.

يخطو خارج المصعد على أرضية من الرخام. ثمة أشغال من الخشب داكنة وكئيبة في كل مكان. أرائك جلدية، ومقاعد مطلية بورنيش أسود. وثمة أثر لدخان سيجار في الهواء.

ثمة شيء سرمدي في المكان.

قبالته مباشرة يقوم مكتب استقبال بلا طاقم عمل وفي خلفيته صناديق بريد عتيقة كانت لتُستخدم في عصر آخر، وعلى القرميد أعلاها نُحت الحرفان *HM*.

يسمع القعقعة الخافتة لمكعبات ثلج تستقر في أوان زجاجية، وبعد ذلك أصوات تطفو قادمة من بار يتوارى خلف ستار من النوافذ. رجلان، جالسان على مقعدي بار بحشيات من الجلد، منخرطان في الحديث بينما تقوم نادلة ترتدي صديريا أسود بتلميع الأكواب.

وإذ يتحرك باري نحو البار، تزداد رائحة السيجار قوة، ويغدو الهواء مضببا بالدخان.

يصعد باري على واحد من المقاعد العالية ويستند على البار المصنوع من خشب الماهوجني الصلب. عبر النوافذ القريبة، تبدو أبنية وأضواء المدينة متسربلة ببياض العاصفة الثلجية.

تدنو منه الساقية.

جميلة - عينان سوداوان وشعر أشيب قبل أوانه مرفوع بأعواد الأكل الصينية. اسمها على بطاقة الصدر: **تونيا**.

تسأله تونيا: "ماذا تشرب؟"

"هل يمكن أن أتناول الويسكي؟"

"هل تريد نوعا معينا؟"

"ديلرز تشويس"

تمضي لتصب مشروبه، ويلقي باري نظرة على الرجلين الجالسين على مبعدة بضعة مقاعد. يشربان البوربون من زجاجة نصف فارغة تقف بينهما على البار.

الرجل الأقرب إليه يبدو في بداية سبعينياته، بشعر أشيب خفيف ونحول يوحي بمرض عضال. يتصاعد الدخان حلزونيا من سيجار في يده، تبدو رائحته أشبه بمطر يسقط على صحراء.

الرجل الآخر أقرب إلى عمر باري - بلا ملامح مميزة، حليق الوجه، بعينين متعبتين. يسأل الرجل الأكبر سنا: "منذ متى وأنت هنا يا آمور؟"

"حوالي أسبوع."

"هل حددوا لك موعدا بعد؟"

"غدا في الحقيقة."

"بجد؟ مبروك."

يضربا كأسيهما برفق.

"متوتر؟" يسأل الرجل الأصغر.

"حسن، في بالي ما سيحدث. لكنهم يقومون بعمل شامل فعلا في تجهيزك لكل شيء."

"هل هذا صحيح - لا يوجد تخدير؟"

"للأسف نعم. متى وصلت إلى هنا؟"

"أمس." يسحب آمور نفسا من سيجاره.

تظهر تونيا حاملة كأس الويسكي، وتضعه أمام باري على منديل ورقي منقوش عليه كلمتا **HOTEL MEMORY** بلون ذهبي.

يسأل الرجل الأصغر: "هل قررت ما ستفعل عندما تعود؟"

يرشف باري السكوتش - مزيج الشيري والكراميل والفاكهة المجففة والكحول.

"لديّ بعض الأفكار." يرفع آمور يده التي تمسك السيجار. "لا مزيد من هذا." يشير إلى الويسكي. "والأقل من ذاك. كنت مهندسا معماريا فيما مضى، وكان هناك ذلك المبنى الذي ندمت دائما على عدم متابعته. كان يمكن أن يغدو درة أعمالي. وأنت؟"

"لست متأكدا. أشعر بالذنب للغاية."

"لماذا؟"

"أليست هذه أنانية؟"

"تلك ذكرياتنا **نحن**. لا أحد غيرنا له الحق فيها." يبتلع آمور آخر ما في كأسه من الويسكي. "من الأفضل لي أن أذهب إلى النوم. غدًا يوم كبير."

"نعم، وأنا أيضا."

ينزلقان هابطين من فوق مقعديهما، يتصافح الرجلان ويتمنى أحدهما للآخر حظا طيبا. يرقبهما باري وهما يسيران مبتعدين عن البار إلى صف من المصاعد.

وعندما يلتفت من جديد نحو البار، يجد الساقية في مواجهته.

"ما هذا المكان يا تونيا؟" يسألها، لكنه يشعر بإحساس غريب في فمه وتخرج كلماته ببطء رخو.

"سيدي، أنت لا تبدو بخير."

يشعر بشيء يرتخي خلف عينيه.

شيء ينحل.

ينظر إلى شرابه. ينظر إلى تونيا.

تقول: "سيساعدك ڤينس في الوصول إلى غرفة.."

يهبط باري عن المقعد، وهو يترنح قليلا في وقفته، ويلتفت ليقابل تحديقةً ميتةَ العينين من الرجل الذي كان في عربة الطعام. وحول رقبته وشم منمق ليديّ امرأة تخنقه.

يمد باري يده نحو مسدسه، لكن الأمر أشبه بالخوض في شراب مركز، ويدا ڤينس بالفعل في داخل معطفه، تحل بمهارة جراب الكتف الذي يؤمّن سلاح خدمته، وتسحب المسدس هابطة به من خلف بنطال الجينز. يُخرج هاتف باري من جيبه، ويلقي به إلى تونيا.

"أنا من إدارة شرطة نيويورك..." يقول باري بحروف مدغمة.

"كذلك كنت أنا."

"ما هذا المكان؟"

"أنت على وشك أن تعرف."

يشتد الدوار.

يمسك ڤينس بذراع باري ويقوده بعيدا عن البار نحو صف المصاعد وراء مكتب الاستقبال. يستدعي المصعد ويسحب باري داخله.

بعد ذلك يتعثر باري عبر ممر فندق بينما العالم يذوب من حوله.

يترنح فوق السجاد الأحمر الناعم، مارا بشمعدانات جدارية مصنوعة من مصابيح قديمة تلقي نورا عتيقا على الجدران المكسوة بالخشب بين الأبواب.

رقم 1414 مضاء على الباب من مصباح في الجدار المقابل يحرك الرقم على شكل العدد 8 ببطء حول ثقب الباب.

يدخل ڤينس الحجرة محركا باري نحو سرير عريض بأربعة أعمدة، دافعا إياه فوق الفراش، حيث يتكور باري في وضع الجنين.

يذوي سريعا وهو يفكر: **لقد أفسدت الأمر الآن، أليس كذلك؟**

ينغلق باب الغرفة بقوة.

وحيد، وغير قادر على الحركة.

أضواء المدينة المغلفة بالجليد تنزف عبر الستار الشفاف فوق حائط النوافذ، وآخر شيء يراه قبل أن يفقد الوعي هو الوحدات المزخرفة على شكل V لمبنى كرايسلر، وهي تضوي مثل جواهر في العاصفة.

فمه جاف.

ذراعه الأيسر يوجعه.

تتبلور الأشياء المحيطة في بؤرة التركيز.

باري ممدد على مقعد جلدي - أسود، أنيق، فائق الحداثة - مربوط إليه بأحزمة أيضا. كاحلاه، رسغاه، واحد عبر وسطه وآخر فوق صدره. ثمة قسطرة وريدية في ساعده الأيسر - من هنا يأتي الألم - وعربة معدنية إلى جوار مقعده، تأتي منها الأنبوبة البلاستيكية الموصولة بمجرى دمه.

الحائط المواجه له مبطن ببوابة حاسوبية وتشكيلة من المعدات الطبية، تتضمن (وهو ما أثار رعبا كبيرا لديه) عربة إنعاش. مدسوسا في مخبأ في الجانب البعيد من الحجرة، يرى شيئا أبيض أملس بأنابيب وأسلاك داخلة فيه، يبدو أشبه ببيضة عملاقة.

رجل لم يره باري من قبل جالس على مقعد دون ظهر إلى جواره. له لحية طويلة شعثاء، وعينان زرقاوتان قاسيتان تشعان ذكاءً، وحدَّة مزعجة.

يفتح باري فمه، لكنه مازال أكثر نعاسا من أن يصيغ كلمات.

"أمازلت تشعر بالدوخة؟"

يومئ باري برأسه.

يلمس الرجل زرا في العربة إلى جوار المقعد. يراقب باري بينما يندفع سائل شفاف عبر الخط الوريدي الداخل إلى ذراعه. تسطع إضاءة الحجرة. ويشعر بالانتباه على الفور، كأنه حُقن للتو بحقنة من الإسبريسُّو، ومع الوعي يأتي الخوف.

يسأله الرجل: "أفضل؟"

يحاول باري أن يحرك رأسه، لكنها مشلولة. لا يمكنه حتى أن يلتفت ملليمتر في أي من الاتجاهين.

يقول باري: "أنا شرطي."

"أعرف. أعرف الكثير عنك، أيها المحقق ساتون، بما في ذلك حقيقة أنك رجل محظوظ جدا."

"لماذا تقول هذا؟"

"بسبب ماضيك، قررت ألا أقتلك."

هل هذا شيء جيد؟ أم أن هذا الرجل يتلاعب به فقط؟

يسأله باري: "من تكون؟"

"لا يهم. أنا على وشك أن أمنحك أعظم هدية في حياتك. أعظم هدية يمكن لشخص أن يتمنى الحصول عليها على الإطلاق. إذا لم

تمانع.." يقول، بذلك التهذيب المرعب على نحو متناقض. "لديّ بضع أسئلة قبل أن نبدأ."

يزداد انتباه باري مع الوقت، ويتلاشى الارتباك مع عودة آخر جزء من الذاكرة - التعثر في ممر الفندق والدخول إلى الحجرة رقم 1414.

يسأله الرجل: "هل ذهبت إلى بيت جو وفراني بيهرمان بصفة رسمية؟"

"كيف عرفت أني ذهبت إلى هناك؟"

"فقط أجب على السؤال."

"لا. كنت أرضي فضولي."

"هل عرف أي من زملائك أو رؤسائك بأمر رحلتك إلى مونتوك؟"

"لا أحد يعرف."

"هل ناقشت مع أي أحد أمر اهتمامك بآن ڤوس بيترز وجو بيهرمان؟"

رغم أنه تحدث مع جوين عن متلازمة الذاكرة الزائفة يوم الأحد، إلا أنه يشعر بالثقة في افتراضه ألا أحد يمكن أن يعرف بأمر محادثتهما.

لذا يكذب: "لا."

لدى باري برنامج التتبع مُفعَّلا في هاتفه. ليست لديه فكرة عن المدة التي قضاها فاقدا الوعي، لكن بافتراض أن الوقت مازال في الصباح الباكر من يوم الثلاثاء، لن يلاحَظ غيابه عن العمل حتى وقت متأخر من بعد الظهر. نظريا، بعد ساعات من الآن. ليس لديه

أي مواعيد في جدوله. لا خطط للشراب أو العشاء. يمكن أن تمر عدة أيام قبل أن يُحدث غيابه أثرا على رادار أي شخص.

يقول باري: "سيأتي الناس للبحث عني.."

"لن يجدوك أبدا."

يتنفس باري ببطء، مدعما نفسه في مواجهة الذعر المتصاعد. يحتاج إلى إقناع هذا الرجل بإطلاق سراحه، بلا شيء غير الكلمات والمنطق.

يقول باري: "أنا لا أعرف من تكون. لا أعرف ما يدور حوله أي من هذا. لكن لو أطلقت سراحي الآن، لن تسمع بي مرة أخرى أبدا. أقسم لك."

ينزلق الرجل هابطا من فوق المقعد ويتحرك عبر الحجرة إلى البوابة الحاسوبية. يقف أمام شاشة ضخمة وينقر على لوحة مفاتيح. بعد لحظة، يسمع باري الجهاز الملصق برأسه، أيا كان، يبدأ في إصدار طنين قابل للإدراك بالكاد، مثل أجنحة بعوضة.

"ما هذا؟" يسأل باري مرة أخرى، ومعدل نبضات قلبه يصل إلى درجة عالية، والخوف يسد أي تفكير أفضل لديه. "ماذا تريد بي؟"

"أريدك أن تحكي لي عن آخر مرة رأيت فيها ابنتك حية."

في ثورة غضب نقية وعمياء، يتصلب باري رغم الأحزمة الجلدية، مناضلا بكل ما لديه كي يفك رأسه مما يمسك بها في مكانها أيا كان. يصدر الجلد صريرا. لا تتزحزح رأسه. تتجمع حبات العرق على وجهه وتسيل هابطة داخل عينيه بحرقان ملحي يعجز عن مسحه.

يقول باري: "سأقتلك.."

مكتبة
t.me/t_pdf

يميـل الرجــل إلى الأمــام، عــلى مبعــدة بوصــات، وفي عينيــه بــرودة لهــب أزرق. يشــم بــاري رائحــة الكولونيــا الغاليــة التــي يضعهــا، والمــرارة المحمصــة للقهــوة في أنفاســه.

يقول الرجل: "أنا لا أحاول السخرية منك، أنا أحاول مساعدتك."

"اللعنة عليك."

"أنت جئت إلى فندقي **أنا**."

"نعــم، وأنــا واثــق أنــك أخــبرت جــو بيهرمــان بالضبــط بمــا يقولــه كي يوقــع بي هنــا."

"أقــول لــك شــيئا - دعنــا نقــوم بهــذا الاختيــار بشــكل مبــاشر قــدر المســتطاع. أنــت تجيــب بصــدق عندمــا أســأل ســؤالا، أو ســتموت حيــث تجلــس."

محبوســا في مقعــده، لا يملــك بــاري أي اختيــار غــير مســايرته في اللعبــة، كي يبقــى حيــا حتــى يــرى مخرجــا، فرصــة، مهــما كانــت صغــيرة، للتحــرر.

"طيب."

يرفــع الرجــل رأســه إلى الســقف ويقــول: "أيهــا الحاســوب، ابــدأ الجلســة."

يرد صوت أنثوي آلي: **جلسة جديدة تبدأ الآن.**

ينظر الرجل في عينيّ باري.

"والآن، احــك لي عــن آخــر مــرة رأيــت فيهــا ابنتــك حيــة، ولا تــترك تفصيلــة واحــدة."

هيلينا

29 مارس 2009 – 20 يونيو 2009

اليوم 515

واقفــة في دهليــز قاعــة التحميــل الغربيــة بالمبنــى العلــوي، تغلــق هيلينـا سـحَّاب سـترتها الواقيـة مـن الطقـس الـسيء، مفكـرة في أن الريـاح تبـدو كشـبح لـه صـوت عميـق، يـزأر في الجانـب الآخـر مـن البـاب. طـوال الصبـاح، وهـي تهـب بسرعـة ثمانـين ميـلا في السـاعة - وهـي سرعـة قويـة بمـا يكفـي لأن تُطـير شـخصا بحجمهـا مـن فـوق المنصـة.

بعـد أن تسـحب البـاب لتفتحـه، تحـدق في عـالم مغبـش مـن مطـر يهـب مائـلا وتربـط الحلقـة الموجـودة في أحزمـة ظهرهـا بالحبـل القـوي الممـدود عـبر المنصـة. ورغـم توقعهـا لقـوة الريـح، إلا أنهـا غـير مسـتعدة للهبـوب الحـاد الـذي يـكاد يقتلعهـا مـن وقفتهـا. تميـل عـلى الحبـل، محتضنـة نفسـها، وتتحـرك خارجـا.

المنصة متسربلة بالرمادي، وكل ما يمكنها سماعه هو جنون الريح المعربد وإبر المطر تصفع غطاء رأس سترتها مثل محمل الكريات.[1]

يستغرق الأمر منها عشر دقائق لعبور المنصة، في سلسلة من الخطوات المقطوعة بشق الأنفس في مواجهة فقد مستمر للتوازن. وأخيرا تصل إلى بقعتها المفضلة على المنصة - الزاوية الشمالية الغربية - وتجلس معلقة ساقيها على الجانب، مراقبة أمواجا بارتفاع ستين قدما تتحطم على قواعد المنصة.

غادر آخر عضوين في فريق البنية التحتية بالأمس، قبل وصول العاصفة. لم يكتف زملاؤها بالاعتراض على توجيهات سليد الجديدة بـ "وضع الناس في حوض عزل وإيقاف قلوبهم". باستثنائها هي وسيرجي، استقالوا بشكل جماعي وطلبوا العودة إلى البر فورا. كلما شعرت بالذنب بسبب البقاء، تفكر في أمها والآخرين من أمثالها، لكنه عزاء صغير.

علاوة على ذلك، هي متأكدة تماما من أن سليد لن يسمح لها بالمغادرة بغض النظر عن ذلك.

كان جي-وون قد طار إلى البر ليجد أفرادا من أجل الفريق الطبي ومهندسين جددا ليبنوا حوض العزل، تاركا هيلينا وحيدة على المنصة مع سليد والطاقم الأساسي.

هنا على المنصة في الخارج، يبدو الأمر وكأن العالم يصرخ في أذنها.

ترفع وجهها إلى السماء، وترد الصرخة.

---

(1) محمل الكرة هو نوع من محامل العناصر المتدحرجة التي تستخدم الكرات للحفاظ على الفصل بين سباقات المحامل. الغرض من الكرات هو تقليل الاحتكاك الدوراني ودعم الأحمال نصف القطرية والمحورية.

اليوم 598

شخص ما يطرق بابها. تتحسس طريقها في الظلام، تضيء المصباح وتهبط من الفراش مرتدية بنطلون بيجاما وفانلة سوداء بدون أكمام. يخبرها المنبه الموضوع على مكتبها أن الساعة 9:50 صباحا.

تنتقل إلى حجرة المعيشة وتتجه نحو الباب، ضاغطة على الزر الموجود على الحائط ليرفع الستائر المعتمة.

سليد واقف في الممر مرتديا بنطالا من الجينز وفانلة بغطاء رأس - أول مرة تقع عيناها عليه منذ أسابيع.

يقول: "اللعنة، أيقظتك."

تنظر إليه بعينين نصف مغمضتين تحت وهج ألواح الضوء في السقف.

يسألها: "هل تمانعين في دخولي؟"

"هل لديّ اختيار؟"

"من فضلك يا هيلينا."

تتراجع خطوة وتسمح له بالدخول، وتسير وراءه في المدخل القصير، إلى جوار حجرة التواليت، وإلى مساحة المعيشة الأساسية.

تسأله: "ماذا تريد؟"

يتخذ مجلسه على مسند مقعد ضخم، إلى جوار النوافذ التي تطل على عالم من بحر لانهائي.

يقول: "يخبرونني أنك لا تأكلين ولا تمارسين الرياضة. أنك لم تتحدثي مع أحد أو تخرجي منذ أيام."

"لماذا لا تدعني أكلم والديّ؟ لماذا لا تدعني أرحل؟"

"أنـت لسـت بخير يـا هيلينـا. لسـت في حالـة ذهنيـة تسـمح بحمايـة سريـة هـذا المـكان."

"قلـت لـك إني أريـد الخـروج. أمـي في مركـز رعايـة. لا أعـرف كيـف حالهـا. أبي لم يسـمع صـوتي منـذ شـهر. أنـا متأكـدة أنـه قلـق..."

"أعلم أنك لا يمكنك فهم هذا الآن، لكني أنقذك من نفسك."

"آه، عليك اللعنة."

"تراجعـتِ لأنـك رفضـتِ الاتجـاه الـذي كنـت آخـذ هـذا المـشروع إليـه. وكل مـا كنـت أفعلـه هـو أن أعطيـك الوقـت لتعيـدي التفكـير قبـل أن تلقـي بـكل شيء بعيـدا."

"كان مشروعي أنا."

"هو مالي أنا."

ترتعد يداها. من الخوف. من الغضب.

تقـول: "لا أريـد أن أفعـل هـذا بعـد الآن. لقـد دمـرت حلمـي. لقـد منعتنـي مـن محاولـة مسـاعدة أمـي والآخريـن. أريـد العـودة إلى البيـت. هـل ستسـتمر في إبقـائي هنـا ضـد رغبتـي؟"

"بالطبع لا."

"إذًا يمكنني المغادرة؟"

""هل تذكرين ما سألتك إياه في أول يوم وصلت فيه إلى هنا؟"

تهز رأسها، والدموع تطفر من عينيها.

"سـألتك إن كنـت تريديـن تغيـير العـالم معـي. نحـن واقفـون عـلى أكتـاف كل مـا أنجزتيـه مـن عمـل رائـع، ولقـد جئـت هنـا هـذا الصبـاح لأخـبرك أننـا كدنـا نصـل. انـسي كل مـا حـدث في المـاضي. هيـا نجتـاز خـط النهايـة معـا."

تحدق فيه من وراء منضدة القهوة، والدموع تنسال على وجنتيها.

يسألها: "بم تشعرين؟ أخبريني."

"كأنك سرقت هذا الشيء مني."

"لا يمكن أن يوجد شيء أبعد عن الحقيقة من هذا. لقد تدخلت عندما لوَّحت لي رؤيتك. هذا هو ما يفعله الشركاء. اليوم أكبر أيام حياتي وحياتك. إنه كل ما كنا نعمل في اتجاهه. لهذا جئت هنا. حوض العزل جاهز. وجرى تعديل جهاز إعادة التنشيط ليعمل بداخله. وسنجري اختبارا جديدا خلال عشر دقائق، وهذا هو الاختبار الكبير."

"من هو موضوع الاختبار؟"

"لا يهم."

"يهم بالنسبة لي."

""مجرد شخص ينال عشرين ألف دولار في الأسبوع ليقدم تضحية كبرى من أجل العلم."

"وهل أخبرته إلى أي حد هذا البحث خطير؟"

"هو على وعي تام بالمخاطر. انظري، إذا كنتِ تريدين العودة إلى البيت، احزمي حقائبك وكوني عند مهبط الطائرات عند الظهر."

"وماذا عن عقدي؟"

"لقد وعدتيني بثلاث سنوات. ستخرقين العقد. ستخسرين تعويضاتك وأرباح المشاركة وكل شيء. كنت تعرفين بالقواعد الأساسية السارية. لكن إن أردت أن تنهي ما بدأناه، انزلي معي إلى المعمل الآن فورا. سيكون يوما لسجلات الأرقام القياسية."

باري

6 نوفمبر 2018

مربوطا إلى مقعد في كابوس حي، يقول باري: "كان يوم الخامس والعشرين من أكتوبر. منذ أحد عشر عاما."

يسأل الرجل: "ما هو أول شيء تتذكره عندما تفكر فيه؟ أقوى صورة أو إحساس؟"

باري عالق في أغرب تجاور للمشاعر. يريد أن يكسر هذا الرجل نصفين، لكن تذكر ميجان في تلك الليلة يكاد أن يكسره.

يجيب بصوت رتيب: "العثور على جثتها."

"آسف إذا لم أكن واضحا. ليس بعد رحيلها. قبله."

"آخر مرة تحدثت إليها."

"هذا هو ما أريدك أن تتحدث عنه."

يحدق باري عبر الحجرة، وهو يصر على أسنانه.

"من فضلك استمر أيها المحقق ساتون."

"أنا جالس في مقعدي في حجرة المعيشة ببيتي، أشاهد نهائيات كأس العالم للبيسبول."

"هل تتذكر من كان يلعب؟"

"ريد سوكس وروكيز. الشوط الثاني. كان الريد سوكس قد فازوا بالشوط الأول. وسيكسبون النهائي للمرة الرابعة على التوالي."

"من كنت تشجع؟"

"لم أكن مهتما في الحقيقة. أظن أني أردت أن أرى الروكيز يتعادلون، لتبقى مباراة النهائي ممتعة. لماذا تفعل هذا بي؟ ما الغرض الذي...؟"

"إذًا أنت تجلس في مقعدك..."

"وربما أشرب زجاجة من البيرة."

"هل كانت جوليا تتفرج معك؟"

يا يسوع. هو يعرف اسمها.

"لا. أعتقد أنها كانت تشاهد التلفاز في حجرة نومنا. كنا قد تناولنا العشاء بالفعل."

"كأسرة؟"

"لا أذكر. ربما." يشعر باري فجأة بضغط في صدره، حدته ساحقة تقريبا. يقول: "لم أتحدث عن تلك الليلة طوال سنوات."

يكتفي الرجل بالجلوس على مقعده، يتخلل لحيته بأصابعه ويتفحص باري ببرود، منتظرا منه أن يكمل.

"أرى ميجان تأتي من الرواق. لا أذكر بشكل مؤكد ما كانت ترتديه، لكن لسبب ما أراها في ذلك البنطال من الجينز وسويتر بلون التركواز كانت ترتديه دائما."

"كم عمر ابنتك؟"

"أقل بعشرة أيام من السادسة عشرة. وتقف أمام منضدة القهوة - أعرف أن هذا حدث بالتأكيد - وهي واقفة ما بيني وبين التلفاز واضعة يديها على وركيها وعلى وجهها تلك النظرة شبه القاسية."

تتجمع الدموع عند حواف عينيه.

يقول الرجل: "مازال الأمر مؤثرا على نحو لا يصدق بالنسبة لك، هذا جيد."

"من فضلك.." يقول باري. "لا تجعلني أفعل هذا."

"استمر."

يأخذ باري نفسا، باحثا كالأعمى عما يمسك به لتحقيق التوازن العاطفي.

يقول أخيرا: "كانت المرة الأخيرة التي سأنظر خلالها في عينيّ ابنتي. ولم أعرف ذلك. ظللت أحاول النظر حولها كي أرى التلفاز."

لا يريد أن يبكي أمام هذا الرجل. يا يسوع، أي شيء إلا هذا.

"استمر."

"سألت إن كان بإمكانها الذهاب إلى دي كيو[1]. كانت عادة تذهب إلى هناك ليلتين أو ثلاث كل أسبوع كي تقوم بواجباتها المدرسية، وتتسكع مع أصدقائها. مضيت في الاستجوابات العادية. هل قالت أمك أنها موافقة؟ لا، كانت قد جاءت إليّ بدلا من ذلك. هل انتهيت

(1) سلسلة مطاعم ديري كوين التي تُختصر عادة إلى DQ.

مـن واجباتـك؟ لا، لكـن جـزءا مـن أسـباب رغبتهـا في الذهـاب هـو أن تقابـل مينـدي، شريكتهـا في المعمـل بمـادة البيولوجيـا، لتناقشـا مشروعـا كانتـا تعمـلان عليـه. ومـن أيضـا سيكون هنـاك؟ قائمـة مـن الأسـماء، كنـت أعـرف أغلبهـا. أتذكـر أني نظـرت في سـاعتي - كانـت الثامنـة والنصـف ومازالـت المبـاراة في أشـواطها الأولى - وأخبرتهـا أنهـا تسـتطيع الذهـاب، لكنـي أريدهـا في البيـت في وقـت لا يزيـد عـن العـاشرة. جادلـت لتجعلهـا الحاديـة عـشر. قلـت 'لا، إنهـا عشـية يـوم دراسي، وأنـت تعرفـين موعـد حظـر التجـول' وبعـد ذلـك كفـت عـن الجـدال وتوجهـت إلى البـاب.

أذكر أني ناديتها قبل أن تغادر بالضبط، وأخبرتها أني أحبها."

تطفـر الدمـوع، جسـده يرتـج مـن التأثـر، لكـن الأحزمـة تربطـه بإحـكام إلى المقعـد.

يقـول بـاري: "الحقيقـة أنـا لا أعـرف إن كنـت قـد ناديتهـا. أعتقـد ربمـا أني لم أفعـل، أني عـدت ببسـاطة لمشـاهدة المبـاراة ولم أفكـر فيهـا مـرة أخـرى حتـى جـاءت السـاعة العـاشرة مسـاء وذهبـت، وتسـاءلت لمـاذا لم تعـد إلى البيـت بعـد."

يقـول الرجـل: "أيهـا الحاسـوب، أوقـف الجلسـة." وبعـد ذلـك: "أشـكرك يا بـاري."

يميل إلى الأمام ويمسح الدموع عن وجه باري بظهر يده.

"مـاذا كان الهـدف مـن كل هـذا؟" يسـأل بـاري مكسـورا. "كان هـذا أسـوأ مـن أي تعذيـب جسـدي."

"سأريك."

ينقر الرجل زرا في العربة الطبية.

يلمـح بـاري أنبوبـة في ذراعـه بينـما يندفـع تيـار مـن سـائل شـفاف في وريـده.

هيلينا

20 يونيو 2009

اليوم 598

الرجل نحيل وطويل، وذراعاه الرفيعان مخططان بمسارات الإبر. على كتفه الأيسر وشم باسم **ميراندا**، يبدو جديدا - مازال أحمر وملتهبا. يرتدي خوذة فضية توافقه بشكل مريح كأنها قلنسوة ضيقة، غير أنها أكثر سُمكا بعض الشيء، وثمة جهاز ثان في حجم مسَّاحة سبورة بيضاء قد ثُبت في ساعده الأيسر. غير ذلك فهو يقف عاريا أمام هيكل أبيض قشري أشبه ببيضة. وثمة رجل وامرأة ينتظران على جانبي عربة أدوات الإنعاش.

هيلينا تراقب كل هذا عبر زجاج أحادي الرؤية من مقعد عند وحدة التحكم الرئيسية في غرفة التحكم المتاخمة، بين ماركوس سليد

ود. بـول ويلسـون؛ مدير المـشروع للفريـق الطبـي. إلى يسـار سـليد يجلس سـيرجي، العضـو الوحيـد مـن الطاقـم الأصـلي الـذي بقـي.

شـخص مـا يلمـس كتفهـا. تنظـر خلفهـا إلى جـي-وون الـذي تسـلل للتـو إلى غرفـة التحكـم ليتخـذ مقعـده وراءهـا.

يميـل إلى الأمـام ويهمـس في أذنهـا: "أنـا سـعيد فعـلا لأنـك قـررت أن تنضمـي إلينـا مـن أجـل هـذا. لم يكـن المعمـل هـو نفسـه بدونـك."

يلقـي سـليد نظـرة في اتجـاه سـيرجي، الـذي يفحـص شاشـة تعـرض صـورة عاليـة الدقـة لجمجمـة موضـوع الاختبـار.

يسأل سليد: "كيف تبدو إحداثيات إعادة التنشيط هذه؟"

"مغلقة ومُحمَّلة."

يلتفت سليد إلى الطبيب. "بول؟"

"جاهزون عندما تكون مستعدا."

ينقـر سـليد زرا في السـماعة التـي يرتديهـا ويقـول: "ريـد، نحـن جميعـا مسـتعدون لهدفنـا. لم لا تتقـدم وتدخـل؟"

للحظـة، لا يتحـرك الرجـل النحيـل. فقـط يقـف هنـاك مرتعشـا، يحـدق في الحـوض عـبر بابـه المفتـوح. تضفـي الأضـواء عـلى بشرتـه صبغـة مزرقـة، باسـتثناء نـدوب الإبـر، التـي تتوهـج بالحمـرة في مقابـل شـحوبه المـرضي.

"ريد؟ هل يمكنك أن تسمعني؟"

"نعـم." يـأتي صـوت الرجـل عـبر أربـع سـماعات موضوعـة في أركان غرفـة التحكـم.

"مستعد للقيام بهذا؟"

"إنـه فقـط... مـاذا لـو شـعرت بـالألم؟ أنـا لسـت متأكـدا تمامـا مـما أتوقعـه."

يحدق نحو الزجاج أحادي الرؤية - منهكا ومهزولا، وضلوعه بارزة عبر جلده الشاحب.

يقول سليد: "يمكنك توقع ما تحدثنا عنه، د. ويلسون يجلس هنا بجانبي. أتريد أن تقول شيئا يا بول؟"

يرتدي الرجل ذو الشعر الفضي المموج سماعته: "ريد، أمامي كل إشاراتك الحيوية، التي سأظل أراقبها طوال الوقت، ولديّ خطة طوارئ كاملة إذا رأيت أنك في أزمة."

يقول سليد: "لا تنسَ المكافأة التي سأدفعها لك إذا نجح اختبار اليوم."

يركز ريد تحديقته الجوفاء مرة أخرى على الحوض.

"طيب.." يقول، مشجعا نفسه. "طيب، دعونا نقم بهذا." يمسك بالمقابض على جانبيّ حوض العزل ويصعد مهتزا إلى داخله، وصوت طرطشة الماء مسموع عبر السماعات.

يقول سليد: "ريد، أعلمنا عندما تستقر على نحو مريح بالداخل."

بعد لحظة، يقول الرجل: "أنا أطفو."

"لو كل شيء على ما يرام بالنسبة لك، سأتابع الإجراءات وأغلق الباب الآن."

تمر عشر ثوان ثقيلة.

"هل الأمر على ما يرام معك يا ريد؟"

"نعم، على ما يرام."

يضغط سليد أمرا على لوحة المفاتيح. يهبط الباب في بطء إلى مكانه، وينغلق بسلاسة.

"ريد، نحن مستعدون لإطفاء الأنوار والبدء. كيف تشعر؟"

"أعتقد أني جاهز."

"هل تذكر كل شيء ناقشناه أنا وأنت هذا الصباح؟"

"أظن هذا."

"أحتاج منك أن تكون واثقا."

"أنا واثق."

"جيد. سيكون كل شيء بخير. عندما تراني بعد ذلك، أخبرني أن اسم أمي هو سوزان. بهذه الطريقة سأعرف."

يقلل سليد الإضاءة. ثمة شاشة كانت في حالة سبات سابقا تتوهج عائدة إلى الحياة، لتعرض بثا حيا من كاميرا رؤية ليلية تطل من سقف الحوض مباشرة على ريد. تُظهره يطفو على ظهره في الماء شديد الملوحة. يضغط سليد على عداد وقت على الشاشة الأساسية، ويضبطه على خمس دقائق.

"ريد، هذا هو آخر ما ستسمعه مني. سنمنحك بضع دقائق لتسترخي وتمركز نفسك. وبعد ذلك سنكون قيد التنفيذ."

"فهمت."

"بالتوفيق. ستصنع التاريخ اليوم."

يبدأ سليد العد التنازلي وينزع سماعته.

تسأل هيلينا: "أي نوع من الذكريات ستقوم بإعادة تنشيطه."

"هل لاحظتِ الوشم على كتفه الأيسر؟"

"نعم."

"رسمناه صباح الأمس. وفي الليلة الماضية رسمنا خريطة ذكرى الحدث."

"ولماذا وشم؟"

"بسبب الألم. أردت خبرة مشفرة قوية حديثة."

"وهـل مدمـن هيرويـن هـو أفضـل مـا أمكنـك العثـور عليـه مـن أجـل أن يكـون موضـوع اختبـار؟"

لا يـرد سـليد. إن تحولـه مدهـش. فهـو يدفـع هـذا المـشروع أبعـد مـما كانـت مسـتعدة للمُـضيّ نحـوه عـلى الإطـلاق. لم تتخيـل قـط أنهـا سـتقابل شـخصا أكـثر دافعيـة وعزمـا منهـا هـي نفسـها.

تسأل: "هل يعرف حتى ما يورط نفسه فيه؟"

"نعم."

ترقب هيلينا الوقت وهو يتقلص. الثواني والدقائق تنسل مبتعدة.

تنظـر إلى سـليد وتقـول: "هـذا يتجـاوز بكثـير حـدود الاختبـار العلمـي المسـؤول."

"أتفق معك."

"وأنت فقط لا تهتم؟"

"إن نوعيـة التقـدم الـذي أبحـث عنـه اليـوم لا تحـدث في الطـرف الضحـل مـن حـمام السـباحة."

تفحص هيلينا الشاشة التي تُظهر ريد طافيا دون حراك في الحوض.

"إذًا أنت على استعداد للمخاطرة بحياة هذا الرجل؟" تسأل.

"نعـم. لكنـه هـو أيضـا كذلـك. هـو يفهـم الوضـع الـذي هـو فيـه. وأعتقـد أن هـذه بطولـة. عـلاوة عـلى ذلـك، عندمـا ننتهـي سـيذهب لإعـادة التأهيـل في عيـادة فاخـرة. وإذا نجـح هـذا سـنشرب أنـا وأنـت الشـمبانيا في شـقتك..." يلقـي نظـرة في سـاعته الرولكـس. "خـلال عـشر دقائـق."

"عم تتحدث؟"

"سترين."

يجلسـون جميعـا في صمـت متوتـر طـوال الدقيقتـين الأخيرتـين، وعندمـا يـدق عـداد الوقـت، يقـول سـليد: "بـول؟"

"مستعد."

يحــدق ســليد بطــول وحــدة التحكــم نحــو الرجــل المســؤول عــن المحفــزات. "ســيرجي؟"

"جاهز عندما تقول."

"الإنعاش؟"

"البدالات مشحونة، على أهبة الاستعداد."

ينظر سليد إلى بول ويومئ برأسه.

يزفـر الطبيـب، ويضغـط مفتاحـا وهـو يقـول: "جرعـة واحـد ملليجـرام مـن (روكورونيـوم)، إطـلاق."

تسأل هيلينا: "ما هذا؟"

يقول د. ويلسون: "عامل حجب عصبي عضلي.."

يقـول سـليد: "أيـا كان مـا سـيحدث، لا يمكننـا تركـه يتخبـط مـن حولـه هنـاك، مدمـرا هـذه السـماعة."

"أيعرف أنه سيتعرض لشلل مؤقت؟"

"بالطبع."

"وكيف تُعطى له هذه العقاقير؟"

"مـن خـلال قسـطرة وريديـة لاسـلكية مزروعـة في سـاعده الأيـسر. إنهـا بالأسـاس مجـرد نسـخة مـن كوكتيـل حقنـة المـوت، دون المُسـكّن."

يقول الطبيب: "جرعة 2.2 ميلليجرام من ثيوبنتال الصوديوم، إطلاق."

تقسم هيلينا انتباهها بين بث الرؤية الليلية من داخل الحوض، والشاشة التي يفحصها الطبيب، والتي تبين معدل نبض ريد وضغط دمه ورسم قلبه، ودستة من القياسات الأخرى.

يقول د. ويلسون: "ضغط الدم ينخفض، معدل نبضات القلب ينزل إلى خمسين نبضة في الدقيقة."

تسأل هيلينا: "هل يتألم؟"

يقول سليد: "لا."

"كيف يمكنك التأكد؟"

"خمس وعشرون نبضة في الدقيقة."

تميل هيلينا مقتربة من الشاشة، مراقبة وجه ريد في درجات اللون الأخضر للرؤية الليلية. عيناه مغلقتان، ولا يُظهر أي علامات ألم مرئية. في الحقيقة يبدو نائما في سلام.

"عشر نبضات في الدقيقة. ضغط الدم: ثلاثون على خمسين."

فجأة تمتلئ غرفة التحكم بنغمة الخط المستطيل المستمرة - نغمة الموت.

يُسكتها الطبيب ويقول: "وقت الموت: 10:13 صباحا."

لا يبدو على ريد أي اختلاف في الحوض، مازال يطفو في الماء المالح.

تسأل هيلينا: "متى ستنعشه؟"

لا يجيب سليد.

يقول سيرجي: "نستعد.."

ظهرت نافذة جديدة على شاشة الطبيب الأساسية. **الوقت منذ موت القلب: 15 ثانية.**

عندما تمر دقيقة، يقول الطبيب: "تم الكشف عن إطلاق ثنائي ميثيل التريبتامين."

يقول سليد: "سيرجي.."

"بدء برنامج إعادة تنشيط الذاكرة. إطلاق المحفزات..."

يستمر الطبيب في قراءة مستويات الإشارات الحيوية المختلفة، وقد انضمت إليها الآن بالأساس مستويات الأكسجين الدماغي والنشاط. سيرجي أيضا يقدم تحديثا كل عشر ثوان أو ما شابه، لكن بالنسبة لهيلينا تخفت ضجة أصواتهم شيئا فشيئا. لا يمكنها أن تبعد عينيها عن الرجل في الحوض، متسائلة عما يراه ويحسه. متسائلة إن كانت مستعدة للموت لتختبر القوة الكاملة لاختراعها.

عند إشارة الدقيقة الثانية وثلاثين ثانية، يقول سيرجي: "اكتمل برنامج الذاكرة."

يقول سليد: "شغله مرة أخرى.."

ينظر سيرجي إليه.

يقول الطبيب: "ماركوس، عند الدقيقة الخامسة تكون فرص إعادته معدومة عمليا. الخلايا في مخه تموت بشكل متسارع."

"تحدثنا أنا وريد عن الأمر هذا الصباح. هو مستعد لمواجهة هذا."

تقول هيلينا: "أخرجوه."

يقول سيرجي: "لست مرتاحا لهذا أيضا.."

"من فضلكم، فقط ثقوا بي. شغِّل البرنامج مرة أخرى."

يتنهـد سـيرجي وينقـر شـيئا بسرعـة. "بـدء برنامـج إعـادة تنشـيط الذاكـرة. إطـلاق المحفـزات."

بينـما تحملـق هيلينـا في سـليد يقـول: "اجتـذب جـي-وون هـذا الرجـل مـن غـرزة مخـدرات في واحـد مـن أسـوأ الأحيـاء في سـان فرانسيسـكو. كان فاقـدا الوعـي، والإبـرة مازالـت متدليـة مـن ذراعـه. كان مـن المحتمـل أن يغـدو ميتـا الآن لـو لم..."

تقول: "هذا ليس مبررا لذاك.."

"أتفهـم بـم شـعرتم حيـال هـذا. لكنـي سـأطلب مـرة أخـرى، منكـم جميعـا، مـن فضلكـم فقـط ثقـوا بي قليـلا مـن الوقـت. سـيكون ريـد بخـير تمامـا."

يقـول د. ويلسـون: "ماركـوس، إذا كانـت لديـك أي نيـة في إعـادة إحيـاء مسـتر كينـج، فأقـترح أن تخـبر أطبـائي بإخراجـه مـن الحجـرة فـورا. حتـى لـو جعلنـا قلبـه يبـدأ النبـض مـن جديـد، إذا كانـت وظائفـه المعرفيـة ضاعـت، لـن يكـون ذا جـدوي بالنسـبة لـك."

"لن نخرجه من الحوض."

ينهض سيرجي ويتوجه نحو باب الخروج.

تغـادر هيلينـا مقعدهـا، وتسـير خلفـه مباشرة.يقـول سـليد: "البـاب موصـد مـن الخـارج. وحتـى لـو خرجتـما عـبره، فريـق الأمـن الخـاص بي ينتظـر في القاعـة. آسـف. كان لـديّ إحسـاس أنكـما سـتفقدان أعصابكـما عندمـا نصـل إلى هـذه اللحظـة."

يقـول الطبيـب في ميكروفونـه: "دانـا، آرون، أخرجـا مسـتر كينـج مـن الحـوض وابـدآ الإنعـاش فـورا."

تحـدق هيلينـا عـبر الحائـط الزجاجـي. الطبيبـان الواقفـان إلى جـوار عربـة الإنعـاش لا يتحـركان.

"آرون! دانا!"

يقـول سـليد: "لا يمكنهـما سـماعك، لقـد أسـكتُّ نظـام الاتصـال الداخلي في قاعـة الاختبـار مبـاشرة بعـد أن بـدأتَ سلسـلة العقاقير."

ينقض سيرجي على الباب، ويضرب المعدن بكتفه.

"أتريديـن تغيـير العـالم؟" يسـأل سـليد. "هـذا مـا يتطلبـه الأمـر. هـذا هـو مـا يبـدو عليـه. لحظـات مـن العـزم الفـولاذي الثابـت."

في بــث الرؤيــة الليليــة مــن داخــل الحــوض، لا يحــرك ريــد عضلــة واحــدة.

الماء ساكن تماما.

تنظـر هيلينـا إلى شاشـة الطبيـب. **الوقـت منـذ مـوت القلـب: *304* ثانيـة.**

تقـول لـد. ويلسـون: "لقـد تجاوزنـا علامـة الخمـس دقائـق، هـل هنـاك أمل؟"

"لا أعرف."

تندفـع هيلينـا إلى مقعـد فـارغ وترفعـه عـن الأرض، يـدرك جـي-وون وسـليد مـا سـتفعله متأخريـن نصـف ثانيـة، فيندفـع كلاهـما مـن مقعديهـما ليوقفاهـا.

ترفع المقعد إلى وراء كتفها وتقذفه نحو النافذة أحادية الرؤية.

لكنه لا يصل أبدا إلى الزجاج.

باري

6 نوفمبر 2018

عيناه مفتوحتان، لكنه لا يرى شيئا. لقد ضاع إحساسه بالوقت. لعل سنوات قد مضت. أو ثوان. يرمش بعينيه، لكن لا شيء يتغير. يتساءل: **هل أنا ميت؟** يسحب نفسا، يتمدد صدره، ثم يطلقه. عندما يرفع ذراعه، يسمع ماء يتحرك ويشعر بشيء ينزلق على سطح جلده.

يدرك أنه يطفو على ظهره، دون مجهود، في بركة ماء بنفس درجة حرارة بشرته. عندما يكون بلا حراك، لا يمكنه الشعور بها، وحتى عندما تسكن حركته مرة أخرى، يدهشه إحساسه بأن جسده بلا بداية ولا نهاية.

لا... هناك إحساس واحد. شيء ما قد ثُبت في ساعده الأيسر.

يمـد يـده اليمنـى، ويلمـس مـا يبـدو أشـبه بكيـس بلاسـتيكي صلـب. عرضـه بوصـة، وطولـه ربمـا أربـع بوصـات. يحـاول أن يجذبـه، لكنـه إمـا جـرى لصقـه إلى جلـده أو غرسـه فيـه.

"بـاري." إنـه صـوت الرجـل إيـاه. الرجـل الـذي كان جالسـا عـلى المقعد الصغـير جاعـلا إيـاه يتكلـم عـن ميجـان بينـما كان بـاري مربوطـا بذلـك الكـرسي.

"أين أنا؟ ماذا يحدث؟"

"أحتاج منك أن تهدأ. فقط تنفس."

"هل أنا ميت؟"

"وهـل كنـت سـأطلب منـك أن تتنفـس لـو كنـتَ ميتـا؟ لسـتَ ميتـا، وسـؤال أيـن تكـون ليـس مناسـبا في هـذه اللحظـة."

يرفـع بـاري يـدا إلى أعـلى مبـاشرة مخرجـا إياهـا مـن المـاء، فتلمـس أصابعـه سـطحا عـلى بعـد قدمـين مـن وجهـه. يبحـث عـن مقبـض، زر، أي شيء ليفتـح أيـا كان مـا هـو موضـوع بداخلـه، لكـن الجـدران ملسـاء وبـلا مفاصـل.

يشـعر بذبذبـة خفيفـة في الجهـاز المثبـت بسـاعده، يمـد يـده ليلمسـه ثانيـةً، لكـن لا شيء يحـدث. لم يعـد ذراعـه الأيمـن يتحـرك.

يحاول أن يرفع يسراه - لا شيء.

ثم ساقاه، رأسه، أصابعه.

لا يمكنه حتى أن يرمش، وعندما يحاول الكلام، ترفض شفتاه أن تنفرجا.

"مـا تشـعر بـه الآن بسـبب عامـل مسـبب للشـلل.." يقـول الرجـل مـن مـكان مـا في الظـلام أعـلاه. "كان هـذا هـو الذبذبـة التـي شـعرت بهـا للتـو

- الجهاز وهو يحقن العقار. للأسف، نحتاج إلى أن نبقيك واعيا. لن أكذب عليك يا باري. اللحظات القليلة القادمة ستكون مزعجة جدا."

يبتلعه الرعب - أشد خوف عرفه في حياته. عيناه مفتوحتان منغلقتان، وهو مستمر في محاولة الحركة - ذراعاه، ساقاه، أصابعه، أي شيء - لكن لا شيء يستجيب. أحرى به أن يحاول التحكم في خصلة شعر واحدة. وكل هذا قبل أن يضربه الرعب الحقيقي: هو ليس قادرا على قبض حجابه الحاجز.

وهو ما يعني أنه لا يستطيع أن يأخذ نفَسه.

تجتاحه دوامة من الذعر، وأخيرا الألم، كل شيء يتقطر في تصاعد تدريجي لاحتياج يائس لاستنشاق الأكسجين. لكنه محروم من الوصول إلى نقاط التحكم في جسده نفسه. لا يستطيع الصراخ أو التلويح أو التوسل للإبقاء على حياته، وهو مستعد لأن يفعل هذا وأكثر فقط لو أمكنه الكلام.

"لعلك أدركت قبل قليل أنك لم تعد تملك القدرة على التنفس. هذه ليست سادية يا باري. أعدك بهذا. سينتهي كل هذا بعد قليل."

كل ما يمكنه فعله هو الرقاد في هذا الظلام التام، منصتا إلى صراخ عقله وتيار الأفكار المتدافعة بينما الصوت الوحيد هو الضربات الهادرة لقلبه وهو ينبض أسرع وأسرع.

يصدر الجهاز المثبت في ساعده ذبذبة مرة أخرى.

والآن يسري ألم حارق في أوردته، وتستجيب كسَّارة الصخور الهادرة تلك التي في قلبه على الفور لأي كان ما انفجر في مجرى دمه للتو.

تتباطأ.

تتباطأ.

تتباطأ.

وبعد ذلك لا يسمع أو يشعر بقلبه ينبض على الإطلاق.

ويصبح صمت المكان الذي هو فيه أيا كان صمتا تاما.

في هذه اللحظة، يعرف أن الدم لم يعد يدور في جسده.

لا يمكنني التنفس وقلبي توقف عن النبض. أنا ميت. ميت إكلينيكيا. إذًا كيف مازلت أفكر؟ كيف مازلت واعيا؟ لكم سيدوم هذا؟ إلى أي درجة من السوء سيصل الألم؟ هل هذه حقًا نهايتي؟

"لقد أوقفت قلبك للتو يا باري. من فضلك اسمع. عليك أن تبقي تركيزك خلال اللحظات القليلة التالية، وإلا سنفقدك. إذا نجحت في العبور إلى الجانب الآخر، تذكر ما فعلته من أجلك. لا تجعل الأمر يحدث هذه المرة. يمكنك تغييره."

تتفجر دفقات من الألوان في مخ باري المحروم من الأكسجين والدم - استعراض أضواء من أجل رجل ميت، وكل ومضة ضوء أقرب وأكثر سطوعا من سابقتها.

حتى يغدو كل ما يراه بياضا يعمي الأبصار لكنه يبدأ بالفعل في الخفوت عبر ظلال من الرمادي مستحيلا إلى اللون الأسود، وهو يعرف ما يكمن في نهاية ذلك الطيف - العدم. لكن ربما يكون ذلك نهاية للألم. لهذا التعطش الوحشي للهواء. هو مستعد لهذا. مستعد لأي شيء يوقف هذا.

وعندئذ يشم شيئا. شيء غريب؛ لأنه يستدعي استجابة عاطفية لا يستطيع تسميتها بدقة، لكنها تحمل وجع الحنين إلى الماضي. يستغرق الأمر لحظة، لكنه يدرك أنها الرائحة التي اعتاد بيته أن يكون عليها بعد أن ينتهي هو وجوليا وميجان من العشاء. بالتحديد رغيف لحم جوليا وجزراتها وبطاطسها المحمرة. بعد ذلك يلتقط رائحة الخميرة

والشـعير المنقـوع. بـيرة، لكنهـا ليسـت أي بـيرة. (روليـنـج روكـس) التـي اعتـاد أن يشربهـا مـن تلـك الزجاجـات الخـضراء.

تنبثـق روائـح أخـرى وتندمـج في شـذا أكـثر تعقيـدا مـن أي نبيـذ. إنـه شـذا كان ليميـزه في أي مـكان - البيـت في مدينـة جـيرسي الـذي عـاش فيـه يومـا مـع زوجتـه السـابقة وابنتـه الميتـة.

رائحة البيت.

فجـأة يتـذوق البـيرة والحضـور الدائـم في فمـه للسـجائر التـي اعتـاد تدخينهـا.

يطلـق مخـه صـورة تختـرق بيـاض العاصفـة المميـت - مشوشـة وغائمـة عنـد أطرافهـا، لكنهـا سرعـان مـا تنجـلي بحـدة في بـؤرة التركيـز. تلفـاز. وعـلى الشاشـة، مبـاراة بيسـبول. الصـور في عـين عقلـه واضحـة كالرؤيـة، في تـدرج رمـادي أولا، لكـن بعـد ذلـك تتدفـق الألـوان في كل شيء يـراه.

ملعب فينواي بارك.

العشب الأخضر تحت وهج أضواء الاستاد.

الجماهير المحتشدة.

اللاعبون.

الطـين الأحمـر لأكمـة الرامـي وكـيرت شـيلينج واقـف هنـاك ويـده في قفـازه، يحـدق في تـود هيلتـون عنـد موضـع الضـارب.

وكأن الذكـرى تُبنـى أمامـه. في البدايـة الأسـاس مـن الرائحـة والمـذاق. ثـم السـقالة مـن المرئيـات. وبعـد ذلـك يـأتي الغطـاء مـن اللمـس؛ حيـث يحـس، بالفعـل **يحـس**، بالنعومـة البـاردة للمقعـد الجلـدي الـذي يجلـس فيـه، وقدمـاه مسـتندتان عـلى مسـند القدمـين المفـرود، ورأسـه تلتفـت، وثمـة يـد - **يـده** - تمتـد إلى زجاجـة (روليـنـج روكـس) المسـتقرة عـلى طبـق صغـير مسـطح فـوق المنضـدة إلى جـوار مقعـده.

عندما يلمس الزجاجة، يمكنه الشعور بالبلل البارد المتكثف على الزجاج الأخضر، وعندما يضعها على شفتيه ويميلها إلى الوراء، يجتاحه الطعم والرائحة بقوة الأمر الواقع. ليست مجرد ذكرى، بل واقعة تحدث **الآن**.

وهو واع تماما، ليس فقط بالذكرى ذاتها، بل بمنظوره للذكرى. إنه لا يشبه أي تذكُّر مر به من قبل، لأنه حاضر **فيه**، يطل عبر عينيّ ذاته الأصغر سنا ويشاهد فيلم حياته القديمة يتكشف أمامه كمراقب منخرط تماما.

يصبح ألم الاحتضار نجما خافتا ونائيا، ويبدأ هو الآن في سماع الأصوات، فقط كضربات فرشاة في البداية، مكتومة وغير واضحة، لكنها تكتسب ببطء علوًا ووضوحا، كما لو أن شخصا يدير القرص على مهل.

المذيعون في التلفاز.

هاتف يرن في بيتهم.

وقع أقدام تتحرك على الأرضية الخشبية الصلبة للرواق.

وبعد ذلك ميجان واقفة أمامه. يرفع عينيه محدقا في وجهها، وفمها يتحرك، ويسمع صوتها - خافتا للغاية، نائيا للغاية حتى أنه لا يميز أي كلمات محددة، فقط يسمع تلك النبرة المألوفة التي كانت تخبو بهدوء في ذاكرته طوال أحد عشر عاما.

جميلة. حية. واقفة أمام التلفاز، تسد الشاشة، وحقيبة ظهرها معلقة على كتف واحد، بنطال من الجينز، وسويتر تركوازي اللون، وشعرها مشدود إلى الوراء في ذيل حصان.

هذا أكثر حدة من المحتمل. أسوأ من عذاب الاختناق وفقدانه للتحكم في جسده؛ لأن هذه ليست ذكرى يستعيدها بمحض إرادته.

إنها بطريقة ما تُعرض من أجله، ضد إرادته، ويفكر أنه ربما يوجد سبب لبقاء ذكرياتنا ضبابية ومشوشة. ربما يعمل إبهامها كمخدر، مَصَدّ يحمينا من عذابات الوقت وكل ما يسرق ويمحو.

يريد الخروج من هذه الذكرى، لكنه لا يستطيع المغادرة. كل حواسه منخرطة بالكامل. كل شيء واضح وحي كأنه موجود. فيما عدا أنه لا يستطيع التحكم في شيء. لا يمكنه أن يفعل شيئا غير التحديق عبر عينيّ ذاته الأصغر بأحد عشر عاما والاستماع إلى آخر محادثة أجراها على الإطلاق مع ابنته، شاعرا باهتزاز حنجرته، وبعد ذلك بحركة فمه وشفتيه أثناء تشكيل الكلمات.

"هل تكلمت مع أمك في هذا؟" صوته لا يبدو غريبا على الإطلاق. يبدو بالضبط مثلما يكون عندما يتحدث.

"لا، جئت إليك."

"هل انتهيت من واجباتك؟"

"لا، لهذا أريد الذهاب."

يشعر باري بذاته الأصغر سنا تميل كي تنظر من وراء ميجان بينما يحصل تود هيلتون على جزء من الرمية التالية. يحرز عدَّاء القاعدة الثالثة نقطة، لكنها تُحسب لهيلتون.

"بابا، أنت حتى لا تسمعني."

"أنا أسمعك."

والآن ينظر إليها مرة أخرى.

"ميندي هي شريكتي في المعمل، ولدينا هذا الشيء الذي يجب تسليمه يوم الأربعاء القادم."

"من أجل ماذا؟"

"البيولوجيا."

"من أيضا سيكون هناك؟"

"آه يا إلهي، أنا وميندي وربما جاكوب، وبالتأكيد كيفين وسارة."

والآن يشاهد نفسه وهو يرفع ذراعه الأيسر ويلقي نظرة على ساعته - الساعة التي سيفقدها عندما ينتقل من هذا البيت بعد عشرة أشهر من الآن في أعقاب موت ميجان وتحطم زواجه.

الساعة تجاوزت بالكاد الثامنة والنصف.

"إذًا هل يمكنني الذهاب؟"

قل لا.

يشاهد باري الأصغر سنا لاعب الروكيز التالي وهو يسير نحو موضع الضارب.

قل لا.

"لن تتأخرى عن العاشرة؟"

"الحادية عشر."

"الحادية عشر لعطلات نهاية الأسبوع، أنتِ تعلمين هذا."

"العاشرة والنصف."

"طيب، انسي الموضوع."

"طيب، العاشرة والربع."

"هل تمزحين معي هكذا؟"

"يستغرق الأمر عشر دقائق للسير حتى هناك. إلا إذا كنت تريد أن توصلني بالسيارة." ياه! لقد كبت هذه اللحظة لأنها مؤلمة أكثر

مـما يحتمـل. لقـد اقترحـت عليـه أن يوصلهـا بالسـيارة، وهـو رفـض. لـو قـام بتوصيلهـا، لكانـت حيـة مازالـت.

نعم! وصلها بالسيارة! وصلها بالسيارة أيها الأحمق!

"حبيبتي، أنا أشاهد المباراة."

"إذًا العاشرة والنصف؟"

يشـعر بشـفتيه تلتويـان في ابتسـامة، يتذكـر تمامـا ذلـك الشـعور المفقـود منـذ زمـن بخسـارته مسـاومة مـع ابنتـه. الانزعـاج، لكـن أيضـا الفخـر بأنـه يـربي امـرأة ذات عـزم، مصممـة عـلى أهدافهـا وتحـارب مـن أجـل مـا تريـد مـن أشـياء. تذكـر أملـه في أن تحمـل تلـك النـار معهـا في حياتهـا كبالغـة.

"طيـب." تنطلـق ميجـان نحـو البـاب. "لكـن ولا دقيقـة بعـد ذلـك. وعـد؟"

أوقفها.

أوقفها!

"وعد يا بابا." كلماتها الأخيرة. الآن يتذكر. **وعد يا بابا.**

ذات بـاري الأصغـر سـنا تحـدق الآن في التلفـاز مـن جديـد، تشـاهد بـراد هـوب يقـذف كـرة مبـاشرة أعـلى المنتصـف. يمكنـه سـماع وقـع خطـوات ميجـان وهـي تبتعـد عنـه، وهـو يـصرخ في داخلـه، لكـن لا شيء يحـدث. وكأنـه يسـكن جسـدا لا يملـك أي سـيطرة عليـه.

بـاري الأصغـر سـنا لا يراقـب حتـى ميجـان وهـي تتحـرك نحـو البـاب. فقـط يهتـم بالمبـاراة، ولا يعـرف أنـه نظـر للتـو في عينـيّ ابنتـه للمـرة الأخـيرة، أنـه بمقـدوره منـع هـذا مـن الحـدوث بكلمـة واحـدة.

يسمع الباب الأمامي ينفتح وينغلق مصفوقا.

ثـم ترحـل، تسـير بعيـدا عـن بيتهـا، عنـه، إلى حتفهـا. وهـو جالـس عـلى مقعـد وثير يشـاهد مبـاراة بيسـبول.

لقــد غــادره ألم عــدم قدرتــه عــلى التنفــس. وليــس لديــه إحســاس بالطفـو في المـاء الدافـئ أو بقلبـه يسـكن هاجعـا في صـدره. لا شيء يهـم إلا هـذه الذكـرى الموجعـة التـي هـو مجـبر عـلى تحملهـا لأسـباب تتجـاوز قدرتـه عـلى الفهـم، وحقيقـة أن ابنتـه قـد غـادرت للتـو بيتـه لآخـر...

يتحرك خنصره الأيسر.

أو بالأحرى، يعي أنه قد حركه. بالفعل كنتيجة لقصده.

يحاول مرة أخرى. تتحرك اليد بأكملها.

يفرد ذراعا، ثم الآخر.

يرمش بعينيه. يأخذ نفسا.

يفتـح فمـه ويصـدر صوتـا أشـبه بنخـرة - صـادرة مـن حلقـه ولا معنـى لهـا - لكنـه **فعلهـا**.

مــاذا يعنــي هــذا؟ قبــل هــذا، كان يمــر بالذكــرى كمراقــب يطالــع ملفـا للقـراءة فقـط. كأنـه يشـاهد فيلـما. والآن يمكنـه التحـرك وإصـدار الأصـوات والتفاعـل مـع محيطـه، ومـع كل ثانيـة تمـر، يشـعر بتحكـم أكـبر في جســده.

يمـد يـده لأسـفل، ويخفـض مسـند المقعـد. ثـم يقـف، وينظـر في أرجـاء هـذا البيـت الـذي عـاش فيـه منـذ أكـثر مـن عِقـد ويتعجـب كـم يبـدو حقيقيـا عـلى نحـو رائـع.

يتحـرك عـبر حجـرة المعيشـة، ويقـف أمـام المـرآة بجـوار البـاب الأمامي ويفحـص انعكاسـه في الزجـاج. شـعره أكـثر كثافـة وعـاد إلى لونـه الرمـلي، خاليـا مـن الفـضي، الـذي كان طـوال السـنوات القليلـة الماضيـة يطالـب

بالمزيد والمزيد من المساحة كملكية خاصة به على رأسه الذي يخف شعره رويدا رويدا.

عظم فكه حاد. لا وجود للُغد متدلٍ. لا أكياس منتفخة أسفل عينيه أو انتفاخات إدمان شرب الجين على جانب أنفه، ويدرك أنه ترك جسده يستحيل إلى نفاية تامة منذ موت ميجان.

ينظر إلى الباب. الباب الذي خرجت ابنته للتو منه.

ماذا يحدث بحق الجحيم؟ كان في فندق في مانهاتن، يُقتل في نوع ما من أحواض العزل.

هل هذا حقيقي؟

هل هذا يحدث؟

لا يمكن، ومع ذلك يبدو الأمر بالضبط مثل أن تعيشه.

لو لم يكن هذا حقيقيا، فهو تعذيب من أسوأ نوع ممكن. لكن ماذا لو أن ما قاله له الرجل حقيقي؟ **أنا على وشك أن أمنحك أعظم هدية في حياتك. أعظم هدية يمكن لشخص أن يتمنى الحصول عليها على الإطلاق.**

يعود باري بنهم إلى اللحظة الحاضرة. تلك أسئلة لوقت لاحق. هو الآن واقف في الشرفة الأمامية لمنزله، ينصت إلى حفيف أوراق شجرة البلوط في حديقته الأمامية وهي ترتعش في النسيم العليل الذي يحرك أيضا أرجوحة الحبال. بكل المظاهر، هذا هو، على نحو مستحيل، يوم 25 أكتوبر 2007؛ الليلة التي قُتلت فيها ابنته بعد أن صدمتها سيارة وفرَّت. لم تصل أبدا إلى (ديري كوين) لتلتقي أصدقاءها، وهو ما يعني أن هذه المأساة ستحدث خلال العشر دقائق التالية.

وهي قد انطلقت بالفعل منذ دقيقتين.

هو لا يرتدي حذاء، لكنه أهدر بالفعل ما يكفي من الوقت.

يسـحب البـاب الأمامـي المـؤدي إلى بيتـه ليغلقـه، ويخطـو هابطـا إلى الحديقـة، وأوراق الشـجر تتكـسر تحـت قدميـه الحافيتـين، وينطلـق مبتعـدا في جـوف الليـل.

هيلينا

20 يونيو 2009

اليوم 598

شخص ما يطرق بابها. تتحسس طريقها في الظلام، تضيء المصباح وتهبط من الفراش مرتدية بنطلون بيجاما وفانلة سوداء بدون أكمام. يخبرها المنبه الموضوع على مكتبها أن الساعة 9:50 صباحا.

وبينما تنتقل إلى حجرة المعيشة وتتجه نحو الباب، ضاغطة على الزر الموجود على الحائط ليرفع الستائر المعتمة، يتملكها إحساس قوي أنها عاشت هذا من قبل.

سليد واقف في الممر مرتديا بنطالا من الجينز وفانلة بغطاء رأس، ممسكا بزجاجة شامبانيا، وكأسين، وقرص فيديو رقمي. أول مرة تقع عيناها عليه منذ أسابيع.

يقول: "اللعنة، أيقظتك."

تنظـر إليـه بعينـين نصـف مغمضتـين تحـت وهـج ألـواح الضـوء في السـقف.

يسألها: "هل تمانعين في دخولي؟"

"هل لديّ اختيار؟"

"من فضلك يا هيلينا."

تتراجـع خطـوة وتسـمح لـه بالدخـول، وتسـير وراءه في المدخـل القصير، إلى جـوار حجـرة التواليت، وإلى مسـاحة المعيشـة الأساسـية.

تسأله: "ماذا تريد؟"

يتخـذ مجلسـه عـلى مسـند مقعـد ضخـم، إلى جـوار النوافـذ التـي تطـل عـلى عـالم مـن بحـر لانهـائي.

يقـول: "يخبروننـي أنـك لا تأكلـين ولا تمارسـين الرياضـة. أنـك لم تتحـدثي مـع أحـد أو تخرجـي منـذ أيـام."

"لماذا لا تدعني أكلم والديّ؟ لماذا لا تدعني أرحل؟"

"أنـت لسـت بخير يـا هيلينـا. لسـت في حالـة ذهنيـة تسـمح بحمايـة سريـة هـذا المـكان."

"قلـت لـك إني أريـد الخـروج. أمـي في مركـز رعايـة. لا أعـرف كيـف حالهـا. أبي لم يسـمع صـوتي منـذ شـهر. أنـا متأكـدة أنـه قلـق.."

"أعلم أنك لا يمكنك فهم هذا الآن، لكني أنقذك من نفسك."

"آه، عليك اللعنة."

"تراجعتِ لأنك رفضتِ الاتجاه الذي كنت آخذ هذا المشروع إليه. وكل ما كنت أفعله هو أن أعطيك الوقت لتعيدي التفكير قبل أن تلقي بكل شيء بعيدا."

"كان مشروعي أنا."

"هو مالي أنا."

ترتعد يداها. من الخوف. من الغضب.

تقول: "لا أريد أن أفعل هذا بعد الآن. لقد دمرت حلمي. لقد منعتني من محاولة مساعدة أمي والآخرين. أريد العودة إلى البيت. هل ستستمر في إبقائي هنا ضد رغبتي؟"

"بالطبع لا."

"إذًا يمكنني المغادرة؟"

""هل تذكرين ما سألتك إياه في أول يوم وصلت فيه إلى هنا؟"

تهز رأسها، والدموع تطفر من عينيها.

"سألتك إن كنت تريدين تغيير العالم معي. نحن واقفون على أكتاف كل ما أنجزتيه من عمل رائع، ولقد جئت هنا هذا الصباح لأخبرك أننا قد فعلناها."

تحدق فيه من وراء منضدة القهوة، والدموع تنسال على وجنتيها.

"عم تتحدث؟"

"اليوم أكبر يوم في حياتي وحياتك. إنه كل شيء كنا نعمل في اتجاهه. لذا جئت إلى هنا لأحتفل معك."

يبدأ سليد في فك السلك المحيط بغطاء زجاجة (دومبيرينيون). وعندما ينتزعه، يلقي بالقفص السلكي على منضدة القهوة. ثم يقبض

علـى الزجاجـة بـين سـاقيه، ويفرقـع السـدادة بحـرص. تراقبـه هيلينـا وهـو يصـب الشـامبانيا في الكأسـين، ويمـلأ بحـرص كل كأس إلى حافتـه.

تقول: "لقد فقدت عقلك.."

"لا يمكننـا شرب هذيـن الكأسـين بعـد. علينـا الانتظـار حتـى..." ينظر إلى سـاعته. "العـاشرة والربـع، بعدهـا أو قبلهـا بقليـل. وبينـما ننتظـر، أريـد أن أريـكِ شـيئا حـدث بالأمـس."

يتنـاول سـليد قـرص الفيديـو الرقمـي مـن فـوق منضـدة القهـوة إلى وحـدة الترفيـه. يضعـه في المشـغل ويرفـع الصـوت.

علـى الشاشـة: رجـل طويـل نحيـل لم تـره أبـدا مـن قبـل يضطجـع علـى مقعـد الذاكـرة. يميـل جـي-وون عليـه، ويرسـم وشـما بحـروف - م ي ر ا ن - علـى كتفـه الأيـسر. يرفـع الرجـل النحيـل ذراعـه ويقـول: "**توقـف.**"

سليد يدخل في الكادر. "**ما الأمر يا ريد؟**"

"**لقد عدت. أنا هنا. آه يا إلهي.**"

"**عم تتحدث؟**"

"**نجحت التجربة.**"

"**اثبت هذا لي.**"

"**أمـك اسـمها سـوزان. طلبـت منـي أن أخـبرك بهـذا قبـل أن أدخـل البيضـة مبـاشرة.**"

علـى الشاشـة، ابتسـامة كبـيرة ترتسـم علـى وجـه سـليد. يسـأله: "**متـى فعلنـا التجربـة غـدا؟**"

"**العاشرة صباحا.**"

يطفئ سليد التلفاز وينظر إلى هيلينا.

تقول: "هل كان مفترضا بهذا أن يحمل أي معنى بالنسبة لي؟"

"أظن أننا سنعرف خلال دقيقة."

يجلسان في صمت محرج، وهيلينا ترقب فقاعات الشمبانيا وهي تفور.

تقول: "أريد العودة إلى البيت.."

"يمكنك المغادرة اليوم إذا أردت."

تنظر إلى ساعة الحائط – 10:10 صباحا. الجو هادئ جدا في شقتها، يمكنها سماع هسهسة الغاز وهو يفر من الكأسين. تحدق في البحر، مفكرة أنه أيا كان هذا الأمر، فقد انتهت منه. ستغادر المنصة، وأبحاثها، وكل شيء. فليصادر مالها وأرباح مشاركتها، لأنه لا حلم ولا طموح يستحقان ما فعله سليد بها. ستعود إلى الديار في كولورادو وتساعد في العناية بأمها. لم تستطع حفظ ذكرياتها المتلاشية أو إيقاف المرض، لكن على الأقل يمكنها أن تكون معها طوال ما تبقى لها من وقت مهما كان قدره.

تأتي العاشرة والربع وتذهب.

يظل سليد ينظر إلى ساعته، وبعض القلق يزحف الآن داخل عينيه.

تقول هيلينا: "انظر، أيا كان من المفترض بهذا أن يكون، أنا مستعدة بالنسبة لك للرحيل. متى يمكن للهليكوبتر أن تعيدني إلى كاليفورنيا؟"

يسيل الدم من أنف سليد.

والآن هي تشعر بطعم الصدأ، وتدرك أن الدم يقطر أيضا من أنفها. ترفع يدها، وتحاول أن تمسك به في يدها، لكنه يتسرب عبر أصابعها وينزل على قميصها. تندفع إلى الحمام، وتسحب منشفتين من الدرج، وتضع واحدة على أنفها بينما تحمل الأخرى عائدة إلى سليد.

وبينـما تناولهـا لـه، تشـعر بوخـز الألم خلـف عينيهـا، كأسـوأ صـداع آيـس كريـم[1] أحسـت بـه في حياتهـا، ويمكنهـا أن تـرى مـن منظـر وجهـه أن سـليد يعـاني مـن نفـس الإحسـاس.

يبتسـم الآن، والـدم بـين أسـنانه. ينهـض عـن المسـند، يمسـح أنفـه ويلقـي بالمنشـفة بعيـدا.

يسألها: "هل تشعرين بقدومها؟"

في البدايـة، تظنـه يتكلـم عـن الآلام، لكـن الأمـر ليـس كذلـك. تعـي فجـأة بذكـرى جديـدة تمامـا للنصـف سـاعة الأخـيرة. ذكـرى رماديـة مسـكونة بالأشـباح. فيهـا، لم يـأت سـليد إلى هنـا بزجاجـة شـمبانيا. بـل دعاهـا إلى النـزول إلى قاعـة الاختبـار معـه. تتذكـر الجلـوس في غرفـة التحكـم ومشـاهدة مدمـن هيرويـن يصعـد داخـلا حـوض العـزل. أطلقـوا ذكـرى لـه وهـو يحصـل عـلى وشـم، وبعـد ذلـك قتلـوه. كانـت تحـاول أن تلقـي مقعـدا عـبر النافـذة بـين غرفـة التحكـم وقاعـة الاختبـار عندمـا، فجـأة، وجـدت نفسـها هنـا بـدلا مـن ذلـك - واقفـة في شـقتها بأنـف دامٍ وصـداع قاتـل.

تقول: "لا أفهم. ماذا حدث للتو؟"

يرفع سليد كأسه من الشمبانيا، ويقرعه بكأسها، ويأخذ رشفة طويلة.

"هيلينـا، أنـت لم تـبنِ فقـط كرسـيا يسـاعد النـاس عـلى عيـش ذكرياتهم مـن جديـد. لقـد صنعـت شـيئا يمكنـه إعادتهـم إلى الماضي."

(1) معـروف أيضـا بتجمـد المخ، وهـو نوبـة صـداع يعـاني منهـا البعـض عنـد تناولهـم لطعـام أو شراب بـارد بسرعـة، ويكـون الألم عـادة في الجبهـة أو الصدغـين، ولا يـدوم عـادة أكـثر مـن خمـس دقائـق.

باري

25 أكتوبر 2007

تبـدو نوافـذ البيـوت المجـاورة وكأنهـا تومـض بنـور شاشـات التلفـاز في الداخـل، ولا أحـد في الخـارج غـير بـاري، الـذي يعـدو في منتصـف الشـارع الخـالي والمغطـى بـالأوراق السـاقطة مـن أشـجار البلـوط التـي تصطـف عـلى جانـب المربـع السـكني. يشـعر أنـه أقـوى مـما كان طـوال سـنين. لا ألم هنـاك في ركبتـه اليـسرى نتيجـة انزلاقـة متهـورة عـبر القاعـدة النهائيـة خـلال مبـاراة سـوفتبول في منتـزه سـنترال بـارك لـن تحـدث طـوال خمـس سـنوات أخـرى. وهـو أخـف بكثـير عـلى قدميـه، بثلاثـين رطـلا عـلى الأقـل.

عـلى بعـد نصـف ميـل، يـرى وهـج لافتـات المطاعـم والنُـزُل الصغـيرة، ومـن بينهـا ديـري كويـن. يتبـين شـيئا مـا في الجيـب الأمامـي الأيـسر في بنطالـه الجينـز. يبطـئ حركتـه إلى مشـية سريعـة، ويدخـل يـده في جيبـه

ليخرج جهاز آيفون من الجيل الأول، حافظة شاشته صورة لميجان وهي تعبر خط النهاية في سباق اختراق ريفي.

يستغرق منه الأمر أربع محاولات لفتح قفله، وبعد ذلك يتصفح جهات الاتصال سريعا حتى يجد ميجان، يتصل بها بينما يبدأ الهرولة من جديد.

يرن هاتفها مرة واحدة.

بريد صوتي.

مكتبة
t.me/t_pdf

يتصل مرة أخرى.

بريد صوتي من جديد.

وهو يجري قاطعا الرصيف المكسور مارا بمجموعة من المباني القديمة التي ستحل محلها مساحة علوية ومقهى ومعمل تقطير في العِقد القادم. لكن حاليا تلوح مظلمة ومهجورة.

على بُعد عدة مئات من الياردات، يرى خيال شخص يبرز من ظلام هذه المنطقة التي لم يمسها التطوير بعد، ويلج الحافة الخارجية جيدة الإضاءة لحي المال والأعمال.

سويتر بلون التركواز. ذيل حصان.

يهتف باسم ابنته. لا تنظر خلفها، وهو يعدو الآن، يركض بقوة كما لم يركض من قبل في حياته، صارخا باسمها ما بين شهقات الهواء، حتى وهو يتعجب...

هل ثمة شيء حقيقي في هذا؟ كم مرة تخيل أوهاما حول هذه اللحظة؟ أن يُمنح فرصة لمنع موتها...

"ميجان!" هي أمامه على مبعدة خمسين ياردة، وهو قريب بما يكفي كي يرى أنها تتحدث في هاتفها، غافلة.

تصرخ إطارات سيارة بحدة في مكان ما خلفه. يلقي نظرة خلفه على مصابيح أمامية تقترب بسرعة ويميز زمجرة محرك متسارع. المطعم الذي لم تصله ميجان أبدا يلوح على البُعد، في الجانب الآخر من الشارع، وهي الآن تخطو في الطريق لتعبره.

"ميجان! ميجان! **ميجان!**"

بعد أن تقطع ثلاثة أقدام في الشارع، تتوقف وتنظر خلفها في اتجاه باري، والهاتف مازال على أذنها. هو قريب بما يكفي الآن كي يرى الحيرة الخالصة على وجهها، وضجة السيارة المقتربة في أعقابه مباشرة.

تمر إلى جواره كالبرق سيارة موستانج سوداء بسرعة ستين ميلا في الساعة، مندفعة كلمح البصر في منتصف الشارع وتتمايل في نهر الطريق.

وبعد ذلك تختفي في طريقها.

ميجان مازالت قرب الرصيف.

يصل باري إليها، منقطع الأنفاس، وساقاه مشتعلتان من العدو لنصف ميل.

تخفض هاتفها. "بابا؟ ماذا تفعل؟"

ينظر في الطريق يمنة ويسرة. هما الاثنان فقط واقفان في الضوء الأصفر لعمود نور تدلى مصباحه فوقهما، ليس هناك من سيارات قادمة، وثمة هدوء كاف لسماع أوراق الشجر الميتة وهي تحف بالرصيف.

هل كانت تلك الموستانج هي السيارة لتي صدمتها منذ أحد عشر عاما، وفي تلك الليلة، على نحو مستحيل، أيضا؟ هل منع هذا من الحدوث لتوّه؟

تقول ميجان: "أنت لا ترتدي حذاء."

يحتضنها بجنون، وهو مازال يلهث طلبا للهواء، لكن ثمة شهقات بكاء تختلط بلهاثه الآن، ولا يمكنه منعها. الأمر أكبر مما يحتمل. رائحتها. صوتها. حضورها التام.

سألته ميجان: "ماذا حدث؟ لماذا أنت هنا؟ لماذا تبكي؟"

"تلك السيارة... كانت سوف..."

"يا إلهي، بابا، أنا بخير."

إذا لم يكن هذا حقيقيا، فهو أقسى شيء يمكن لشخص أن يفعله به؛ لأن هذا لا يبدو مثل خبرة واقع افتراضي أو أي شيء آخر أخضعه له هذا الرجل. هذا يبدو **حقيقيا**. هذا حي. لا يمكنك أن تعود أدراجك من هذا.

ينظر إليها، يلمس وجهها، بكل حيويته وكماله في ضوء الشارع.

يسألها: "هل أنتِ حقيقية؟"

تسأله: "هل أنت سكران؟"

"لا، كنت..."

"ماذا؟"

"كنت قلقا عليكِ."

"لماذا؟"

"لأن، لأن هذا ما يفعله الآباء. يقلقون على بناتهم."

"طيب، ها أنا ذا." تبتسم غير مرتاحة، متسائلة بوضوح وعن حق حول قواه العقلية في هذه اللحظة. "بخير وأمان."

يتذكـر الليلـة التـي وجدهـا فيهـا، ليـس ببعيـد عـن المـكان الواقفـين فيـه. كان قـد اتصـل بهـا طـوال سـاعة، وظـل هاتفهـا يـرن فقـط قبـل إحالتـه إلى البريـد الصـوتي. وبينـما كان يسـير في هـذا الشـارع رأى شاشـة هاتفهـا المتشـققة مضـاءة حيـث سـقطت في منتصـف الطريـق. وبعـد ذلـك وجـد جسـدها، مكسـورا وممـددا في الظـلال بعـد الرصيـف، وأثـر الصدمـة يشـير إلى أنهـا انقذفـت مسـافة كبـيرة بعـد خبطهـا بمركبـة تسـير بسرعـة عاليـة.

إنهـا ذكـرى لـن تبارحـه أبـدا، لكنهـا الآن تملـك سـمة رماديـة وشـاحبة، بالضبـط مثـل الذكـرى الزائفـة التـي أصابتـه في عربـة الطعـام تلـك في مونتـوك. هـل قـام بطريقـة مـا بتغيـير مـا حـدث؟ لا يمكـن لهـذا أن يكـون.

تتطلـع ميجـان إليـه للحظـة طويلـة. لم تعـد منزعجـة عـلى الإطـلاق. عطوفـة. قلقـة. يظـل يمسـح عينيـه، محـاولا ألا يبـكي، وهـي تبـدو في الوقـت ذاتـه مفزوعـة ومتأثـرة.

تقول: "لا بأس لو بكيت. أبو سارة يتأثر عاطفيا تجاه كل شيء."

"أنا فخور جدا بكِ."

"أعرف." وبعد ذلك: "بابا، أصدقائي ينتظرونني."

"طيب."

تسأله: "لكني سأراك لاحقا؟"

"بالقطع."

"سنذهب إلى السينما ليلة عطلة نهاية الأسبوع؟ على موعدنا؟"

"نعـم، بالطبـع." لا يريدهـا أن تذهـب. يمكنـه أن يحتضنهـا بـين ذراعيـه لأسـبوع كامـل ولـن يكـون كافيـا. لكنـه يقـول: "مـن فضلـك كـوني حـذرة الليلة."

تستدير مبتعدة وتستمر في السير قاطعة الشارع. ينادي اسمها. تنظر إلى الخلف.

"أحبك يا ميجان."

"أحبك أيضا يا أبي."

ويقف هناك مرتعشا ومحاولا أن يفهم ما حدث للتو، مراقبا إياها وهي تبتعد عنه ثم تعبر الشارع، ثم تدخل ديري كوين، حيث تنضم إلى أصدقائها على مائدة قرب النافذة.

تقترب خطوات من خلفه.

يلتفت باري، ويرى رجلا يرتدي السواد قادما نحوه. حتى من على البُعد، يبدو مألوفا على نحو غامض، وعندما يقترب، يتعرف عليه بشكل تام. إنه الرجل الذي كان في عربة الطعام، ڤينس، الذي رافقه إلى الحجرة بعد تخديره في بار الفندق. الرجل صاحب وشم الرقبة، غير أنه لم يعد يحمله على الإطلاق. أو لم يكن قد حمله بعد. فهو الآن يملك رأسا مليئا بالشعر، وبنية أصغر. ويبدو أصغر **عشر سنوات**.

يجفل باري متراجعا على نحو غريزي، لكن ڤينس يرفع يديه في إشارة سلام.

يواجه أحدهما الآخر على الرصيف الخالي تحت عمود النور.

يسأله باري: "ماذا يحدث لي؟"

"أعلم أنك مرتبك ومشتت، لكن هذا لن يدوم. أنا هنا لأنجز الجزء الأخير من عقد عملي. هل فهمت الأمر بعد؟"

"فهمت ماذا؟"

"ما فعله رئيسي من أجلك."

"هذا حقيقي؟"

"هذا حقيقي."

"كيف؟"

"أنت مع ابنتك من جديد، وهي حية. هل يهم كيف؟ لن تراني بعد الليلة، لكن عليّ أن أخبرك بشيء. هناك قواعد أساسية، وهي بسيطة. لا تحاول أن تلاعب النظام الأكبر بمعرفتك لما سيحدث. فقط عش حياتك مرة أخرى. عشها أفضل قليلا. ولا تخبر أحدا. لا زوجتك، ولا ابنتك. **لا أحد.**"

"وماذا لو أني أريد العودة؟"

"إن التكنولوجيا التي أتت بك إلى هنا لم تُخترع بعد حتى."

يستدير ڤينس ليمضي.

"كيف أشكره على هذا؟" يسأله باري وعيناه ممتلئتان بالدموع مرة أخرى.

"حاليا، في عام 2018، هو يرقبك أنت وأسرتك. والأمل أن يراك وقد استغللت هذه الفرصة أفضل استغلال. أنك سعيد. أن ابنتك بخير. والأهم، أنك أبقيت فمك مغلقا ولعبت وفقا للقواعد التي شرحتها لك للتو. هكذا يمكنك أن تشكره."

"ماذا تقصد بـ 'حاليا في عام 2018'؟"

يهز كتفيه. "الوقت وهم، بناء مشيد من الذاكرة البشرية. لا يوجد شيء اسمه الماضي أو الحاضر أو المستقبل. كل هذا يحدث الآن."

يحاول باري أن يستوعب هذا، لكنه أكبر مما يمكنه التعامل معه. "أنت أيضا عدت إلى الوراء، هه؟"

"أكـثر قليـلا منـك. أنـا أعيـش حيـاتي مـن جديـد منـذ ثـلاث سـنوات بالفعـل."

"لماذا؟"

"أفسـدت الأمـر عندمـا كنـت شرطيـا. اشـتغلت مـع النـاس السـيئين. والآن أمتلـك محـلا لبيـع أدوات صيـد السـمك، والحيـاة جميلـة. حظـا طيبـا مـع فرصتـك الثانيـة."

يستدير ڤينس مبتعدا ويسير راحلا في جوف الليل.

السِفر الثاني

أكثر ما نشعر بالحنين إلى أماكن لم نعرفها قط.

كارسون ماكولرز

هيلينا

20 يونيو 2009

اليوم 598

تجلس هيلينا على الأريكة في شقتها، محاولة استيعاب ضخامة الثلاثين دقيقة الأخيرة من حياتها. معنى رد فعلها المتمثل في هزة ركبتها يعني أنه لا يمكن أن يكون هذا صحيحا، أنها خدعة أو وهم ما. لكنها تظل ترى الوشم المكتمل بكلمة **ميراندا** على كتف مدمن الهيروين، والوشم غير المكتمل في الفيديو الذي عرضه سليد للتو عليها. وهي تعرف أنه بطريقة ما، وبالرغم من أن لديها ذكرى ثرية وتفصيلية بتلك الخبرة التي حدثت هذا الصباح - وحتى إلقاء المقعد في اتجاه النافذة - لا شيء من هذا قد حدث. هو موجود كفرع ميت من الذاكرة في الهيكل العصبي لمخها. الشيء الوحيد الذي يمكنها أن تقارنه به هو تذكُّر حلم مفصل جدا.

يقول سليد: "أخبريني بما يدور في عقلك الآن.."

تثبت نظرتها عليه: "هل يمكن لهذا الإجراء - الموت في حوض العزل بينما تنشط ذكرى ما من جديد - أن يغير الماضي بالفعل؟"

"لا يوجد ماضٍ."

"هذا جنون."

"ماذا؟ يمكنك أن تكون لك نظرياتك، لكن لا يمكن أن تكون لي نظرياتي؟"

"اشرح."

"قلتيها بنفسك. 'الآن' مجرد وهم، حادث يتعلق بالكيفية التي تعالج بها أمخاخنا الواقع."

"ذلك مجرد... هراء فلسفة مبتدئين."

"عاش أسلافنا في المحيطات. وبسبب الطريقة التي كان ينتقل فيها الضوء عبر الماء في مقابل الهواء، كان حجمهم الحسيّ - أي المجال الذي كان بمقدورهم مسحه بحثا عن فريسة - محدودا بحجم قوة حركتهم - أي المجال الذي كان بمقدورهم الوصول إليه بالفعل والتفاعل معه. ماذا برأيك كان يمكن أن يكون نتيجة لهذا؟"

تفكر في السؤال: "كان بمقدورهم التفاعل فقط مع المحفزات المباشرة."

"حسنٌ. والآن ماذا برأيك قد حدث عندما زحفت هذه الأسماك أخيرا خارجة من المحيط منذ أربعمائة مليون سنة؟"

"زاد حجمهم الحسيّ؛ لأن الضوء ينتقل في الهواء لمسافة أبعد مما يفعل في مياه البحر."

"يعتقـد بعـض علـماء البيولوجيـا التطوريـة أن هـذا التبايـن الأرضي بـين حجـم قـوة الحركـة والحجـم الحسـي هـو الـذي هيـأ المسرح لتطـور الوعـي. إذا كان بمقدورنـا أن ننظـر إلى الأمـام، فيمكننـا التفكـير إلى الأمـام؛ يمكننـا التخطيـط. وإذًا يمكننـا تصـور المسـتقبل، حتـى لـو أنه غـير موجود."

"إذًا ما الذي ترمي إليه؟"

"الوعـي نتـاج للبيئـة. ومعرفتنـا - فكرتنـا عـن الواقـع - تتشـكل بمـا يمكننـا إدراكـه، بحـدود حواسـنا. نحـن نعتقـد أننـا نـرى العـالم كـما هـو في الحقيقـة، لكنـك مـن بـين جميـع النـاس تعلمـين... كل هـذا مجـرد ظـلال عـلى جـدار الكهـف. نحـن في العـماء مثلنـا مثـل أسـلافنا سـاكني المـاء، وحـدود أمخاخنـا هـي بنفـس القـدر مجـرد صدفـة تطـور. ومثلهـم، بالتعريـف، لا يمكننـا أن نـرى مـا يفوتنـا. أو... لم يمكننـا، حتـى الآن."

تتذكـر هيلينـا ابتسـامة سـليد الغامضـة تلـك الليلـة عـلى العشـاء، منـذ شـهور كثـيرة جـدا. تقـول: "اخـتراق حجـاب الإدراك.."

"بالضبـط. بالنسـبة لكائنـات ثنائيـة البعـد، السـفر عـبر بُعـد ثالـث لـن يكـون مسـتحيلا فقـط، بـل سـيكون شـيئا لا يمكنهـم تصـوره. بالضبـط كـما تخذلنـا أمخاخنـا هنـا. تخيـلي لـو أمكنـك رؤيـة العـالم عـبر عيـون كائنـات أكـثر تقدمـا - بأربعـة أبعـاد. يمكنـك معاينـة أحـداث في حياتـك بـأي ترتيـب. أن تعيـشي أي ذكـرى تريدينهـا مـن جديـد."

"لكن هذا... إنه... سخيف. وهو يخرق قاعدة السبب والنتيجة."

يبتسـم سـليد تلـك الابتسـامة المتعاليـة مـرة أخـرى. مازالـت هنـاك خطـوة إلى الأمـام. "أخـشى أن فيزيـاء الكـم تقـف في صفـي هنـا. نعـرف بالفعـل أنـه عـلى مسـتوى الجسـيم، سـهم الزمـن ليـس بسـيطا كـما يعتقـد البـشر."

"أتؤمن حقا أن الوقت وهم؟"

"الأدق أن مفهومنا عنه معيب تماما حتى أنه قد يكون وهمًا هو أيضا. كل لحظة بالمقابل حقيقية وتحدث الآن، لكن طبيعة وعينا لا تمنحنا إلا مدخلا إلى شريحة واحدة في كل مرة. فكري في حياتنا ككتاب. كل صفحة لحظة مميزة. لكن بنفس الطريقة التي نقرأ بها الكتاب، لا يمكننا إلا إدراك لحظة واحدة، صفحة واحدة، في كل مرة. مفهومنا المعيب يغلق باب الوصول إلى الصفحات الأخرى. حتى الآن."

"لكن كيف؟"

"أخبرتيني ذات مرة أن الذاكرة هي مدخلنا الصحيح الوحيد للواقع. أعتقد أنك كنتِ على حق. لحظة أخرى ما، ذكرى قديمة، هي آنية بنفس القدر الذي عليه هذه الجملة التي أقولها، سهلة المنال بالضبط مثلها مثل دخول الحجرة المجاورة. كنا فقط بحاجة إلى طريقة لإقناع عقولنا بهذا. للالتفاف في دورة قصيرة حول حدودنا التطورية وتوسيع وعينا بما يتجاوز حجمنا الحسي."

رأسها تدور.

تسأله: "هل كنت تعرف؟"

"ماذا كنت أعرف؟"

"ما كنا نعمل في اتجاهه بالفعل من البداية. أنه كان أكبر بكثير من الذاكرة ثلاثية الأبعاد."

ينظر سليد إلى الأرضية، ثم يرفع عينيه إليها مرة أخرى. "أنا أحترمك بشكل أكبر من أكذب عليكِ."

"إذًا... نعم."

"قبل أن نصل إلى ما قمت به، هل يمكننا فقط أن نأخذ لحظة لنستمتع بما قد حققناه؟ أنت الآن أعظم عالمة ومخترعة عاشت على الإطلاق. أنت مسؤولة عن أهم تقدم معرفي في زماننا. في أي زمان."

"والأخطر."

"في الأيدي الخطأ، بالتأكيد."

"يا إلهي، أنت مغرور. في أي أيدٍ. كيف عرفت ما يمكن للكرسي أن يفعله؟"

يضع سليد كأسه من الشمبانيا على منضدة القهوة، وينهض، ويتحرك نحو النافذة. على مبعدة عدة أميال في البحر، تتجمع سحب العاصفة في اتجاه المنصة.

يقول: "في المرة الأولى التي تقابلنا فيها، كنتِ ترأسين فريق بحث وتطوير لصالح شركة في سان فرانسيسكو تُدعى (إيون)."

"ماذا تقصد 'بالمرة الأولى'؟ أنا لم أعمل قط..."

"فقط دعيني أكمل. تعاقدتِ معي كمساعد بحث. كنت أكتب التقارير بناء على إملائك، وأتتبع المقالات التي كنتِ تريدين قراءتها. أدير أجندة مواعيدك وأسفارك. أبقي قهوتك ساخنة ومكتبك نظيفا. أو على الأقل صالحا للاستخدام." يبتسم بشيء يشبه الحنين. "أعتقد أن لقبي الرسمي كان هو عاهرة المعمل. لكنك كنتِ طيبة معي. جعلتيني أشعر أني ضمن فريق البحث، كأني جزء حقيقي من فريقك. قبل أن نلتقي، كنت في حالة سيئة بسبب المخدرات. لعلك أنقذتِ حياتي.

بنيتِ ميكروسكوب (ميج) هائلا وشبكة تنشيط كهرومغناطيسية لائقة. كان لديك معالجة كمية أعلى بكثير مما نستخدمها هنا، لأن تكنولوجيا الكيوبِت كانت متقدمة بشكل أكبر بكثير. توصلتِ إلى فكرة حوض العزل وكيفية تشغيل جهاز إعادة التنشيط في الداخل. لكنك لم تكوني راضية. كانت نظريتك منذ البداية أن الحوض سيضع موضوع الاختبار في حالة حادة من العزل الحسي، وعندما نحفز

الإحداثيـات العصبيـة لذكـرى مـا؛ سـتتصاعد الخـبرة إلى هـذه الواقعـة الفائقـة والغامـرة كليـةً."

"انتظر، متى حدث كل هذا إذاً؟"

"في خط الزمن الأصلي."

يستغرق الأمر لحظة كي يصلها هول ما يقوله.

تسأله: "هل كنت أتابع تطبيقي لكبسولة زمن خاصة بالألزهايمر؟"

"لا أعتقـد هـذا. كانـت شركـة (إيـون) مهتمـة بمتابعـة التطبيـق الترفيهـي للكـرسي، وهـذا مـا كنـا نعمـل عليـه. لكـن مثلـما اكتشـفنا هنـا، كل مـا كان بمقـدورك فعلـه هـو إعطـاء شـخص مـا خـبرة لذكـرى أكـثر حيويـة قليـلا، دون أن يضطـر لاسـتعادتها بنفسـه. لقـد أُنفقـت عـشرات الملايـين، وهـذه التكنولوجيـا التـي راهنـتِ بمسـتقبلك الوظيفـي عليهـا لم تتخـذ شـكلا ماديـا." يبتعـد سـليد عـن الزجـاج وينظـر إليهـا. "حتـى الثـاني مـن نوفمـبر 2018."

"عام 2018؟"

"نعم."

"أي بعد.. تسع سنوات في المستقبل."

"صحيـح. في ذاك الصبـاح، حـدث شيء مأسـاوي وعـرضي ومدهـش. كنـتِ تجريـن إعـادة تنشـيط ذكـرى عـلى موضـوع اختبـار جديـد اسـمه جـون جـوردان. كانـت الواقعـة المسـتعادة حادثـة سـيارة فقـد فيهـا زوجتـه. كان كل شيء يسـير عـلى مـا يـرام، وبعـد ذلـك توقـف قلبـه داخـل حـوض العـزل. كانـت سـكتة قلبيـة ثقيلـة. وعندمـا اندفـع الفريـق الطبـي لإخراجـه، حـدث شيء غـير طبيعـي. قبـل أن يتمكنـوا مـن فتـح الحـوض، كان كل مـن في المختـبر واقفـا فجـأة في وضـع مختلـف قليـلا. كانـت أنوفنـا كلنـا تنـزف، وبعضنـا أصيـب بنوبـات صـداع حـادة، وبـدلا مـن جـون

جـوردان في الحـوض، كنـتِ تجريـن تجربـة عـلى شـخص اسـمه مايـكل ديلـمان. كل هـذا حـدث في رمشـة عـين، وكأن شـخصا مـا قـد نقـر زر تحويـل.

لم يفهـم أحـد مـا حـدث. لم تكـن لدينـا تسـجيلات لجـوردان وهـو يضع قدمـا في مختبرنـا. كنـا مشوشـين، نحـاول أن نجـد منطقـا لأي مـما حـدث. سَـمِّها فضـولا مضلـلا، لكنـي لم أسـتطع أن أجعـل هـذا يمـر. حاولـت أن أجـد جـوردان، أن أرى مـا حـدث لـه، أيـن ذهـب، وكان هـذا أغـرب شيء - ذكـرى حادثـة السـيارة تلـك التـي كنـا نعيـد تنشـيطها؟ تبـين أنـه مـات بالفعـل في ذلـك الحطـام مـع زوجتـه، قبلهـا بخمسـة عـشر عامـا."

يبـدأ المطـر في ضرب الزجـاج بصـوت نقـر مسـموع بالـكاد مـن داخـل شـقة هيلينـا.

يعود سليد إلى المسند.

"أعتقـد أني كنـت أول مـن أدرك مـا قـد حـدث، أول مـن فهـم أنـك بطريقـة مـا قـد أرسـلتِ وعـي جـون جـوردان إلى الـوراء داخـل الذكـرى. بالطبـع، لـن نعـرف أبـدا، لكنـي أظـن أن تشـويش العـودة إلى ذاتـه الأصغر سـنا غـير نتيجـة الحـادث ليقتلـه هـو وامرأتـه معـا."

ترفـع هيلينـا عينيهـا عـن رقعـة السـجاد التـي كانـت تحـدق فيهـا بينـما كانـت تتأهـب لمواجهـة هـول هـذا الكشـف.

"ماذا فعلتَ يا ماركوس؟"

"كنـت في السادسـة والأربعـين مـن عمـري. مدمـن. كنـت قـد بـددت عمـري. وخفـت أن تدمـري الكـرسي إذا اكتشـفت مـا كان قـادرا عـلى فعلـه."

"ماذا فعلت؟"

"بعد ثلاثة أيام، في ليلة الخامس من نوفمبر 2018، ذهبت إلى المختبر وأعدت تحميل واحدة من ذكرياتي في المحفزات. ثم صعدت إلى الحوض وحقنت جرعة مميتة من كلوريد البوتاسيوم في مجرى دمي. ياللمسيح! اشتعل كحريق في أوردتي. أسوأ ألم مررت به في حياتي. توقف قلبي، وعندما اشتغل الدي إم تي، عاد وعيي كالطلقة إلى ذكرى مررت بها عندما كنت في العشرين من عمري. وكانت هذه بداية خط زمني جديد تفرع عن الأصل في عام 1992."

"للعالم بأكمله؟"

"على ما يبدو."

مكتبة
t.me/t_pdf

"وهذا هو العالم الذي نعيشه؟"

"نعم."

"ماذا حدث للأصلي؟"

"لا أعرف. عندما أفكر فيه، تكون هذه الذكريات رمادية وشبحية. وكأن الحياة قد امتُصت منها."

"إذًا مازلت تتذكر الخط الزمني الأصلي، حيث كنت مساعدي في المعمل وفي السادسة والأربعين من عمرك."

"نعم. هذه الذكريات سافرت معي."

"ولماذا لا أحملها؟"

"فكري في تجربتنا الآن للتو. أنا وأنت لم تكن لدينا أي ذكرى لها حتى وصلنا إلى اللحظة الدقيقة عندما مات ريد في البيضة وسافر عائدا إلى ذكرى وشمه. فقط عندئذ انزلقت ذكرياتك ووعيك من هذا الخط الزمني الماضي، حيث حاولت إلقاء مقعد عبر الزجاج، إلى داخل هذا الخط الزمني."

"إذًا خلال تسع سنوات، في ليلة 5 نوفمبر 2018، سأتذكر هذه الحياة الأخرى بأكملها؟"

"أعتقد هذا. سيندمج وعيك وذكرياتك من هذا الخط الزمني الأصلي في داخل هذا الخط. ستكون لديك مجموعتان من الذكريات - واحدة حية، وواحدة ميتة."

المطر ينهمر سائلا على الزجاج، مغبشا العالم من ورائه.

تقول هيلينا: "احتجتني كي أصنع الكرسي مرة أخرى."

"هذا صحيح."

"وبمعرفتك بالمستقبل، بنيت إمبراطورية في هذا الخط الزمني، وأغويتني بوعد التمويل غير المحدود بمجرد أن قمت بأول إنجازاتي في ستانفورد."

يومئ برأسه.

"وكنت بالأساس تراقبني منذ بدأتَ هذا الخط الزمني الثاني."

"أعتقد أن كلمة 'المراقبة' مغالية قليلا."

"آسفة، هل نحن على منصة بترول خارج الخدمة في منتصف المحيط الهادئ بنيتها فقط من أجلي، أم أنه فاتني شيء ما؟"

يرفع سليد كأسه من الشمبانيا ويجرع ما بقي فيه.

"أنت سرقت هذه الحياة الأخرى مني."

"هيلينا..."

"هل كنت متزوجة؟ هل كان لديّ أطفال؟"

"أتريدين أن تعرفي بالفعل؟ لا يهم الآن. لم يحدث قط."

"أنت وحش."

تنهض، وتذهب إلى النافذة، وتحدق عبر الزجاج في ألف ظل من ظلال اللون الرمادي - المحيط قريبا والمحيط بعيدا، طبقات متراصفة من السحاب، عاصفية ثلجية قادمة. طوال العام الماضي، بدت هذه الشقة مثل السجن على نحو متزايد، لكنها لم تكن أقرب إليه أبدا مما هي الآن. ويخطر ببالها بينما تجري دموع حارة غاضبة على وجنتيها أن طموحها المدمر للذات هو الذي حملها إلى هذه اللحظة، وربما إلى تلك اللحظة في عام 2018.

للإدراك المتأخر أيضا تأثير كاشف لسلوك سليد؛ خاصةً فيما يتعلق بعرضه الأخير منذ عدة شهور بأن يبدأوا قتل موضوعات الاختبار لتقوية خبرة إعادة تنشيط الذاكرة. في ذلك الوقت، اعتقدت أن هذا تهور من جانبه. وقد نتج عنه الخروج الجماعي لكل من كانوا على المنصة تقريبا. والآن ترى الأمر على حقيقته - محسوب بدقة. كان يعرف أنهم في المرحلة الأخيرة ولم يرد شيئا غير طاقم أساسي مخلص يشهد الوظيفة الحقيقية للكرسي. والآن إذ تفكر في هذا، هي ليست حتى متأكدة من أن بقية زملائها قد عادوا إلى البر سالمين.

حتى الآن، كانت تشك في أن حياتها قد تكون في خطر.

أما الآن فهي واثقة من هذا.

"تكلمي معي يا هيلينا. لا تغوصي داخلك مرة أخرى."

ربما ستكون استجابتها لمكاشفة سليد هي العامل المحدد فيما سيقرر أن يفعله معها.

تقول: "أنا غاضبة."

"هذا حقك. كنت لأشعر نفس الشعور."

قبل هذه اللحظة، كانت تفترض أن سليد يمتلك ذكاء حادا، أنه متلاعب خبير بالناس، كما يميل كل القادة الصناعيين لأن يفعلوا. ربما

مـازال هـذا صحيحـا، لكـن نصيـب الأسـد مـن نجاحـه وثروتـه يعـود ببسـاطة إلى معرفتـه بالأحـداث المسـتقبلية. وذكائهـا **هـي**.

لا يمكـن أن يتعلـق اخـتراع الكـرسي فقـط بالمـال بالنسـبة لـه. فلديـه بالفعـل مـال وشـهرة وسـلطة أكـثر مـما لـدى الـرب.

تقول: "الآن وقد حصلت على كرسيك، ماذا تخطط لأن تفعل به؟"

"لا أعرف بعد. كنت أفكر في أنه يمكننا تصور هذا معا."

هـراء. أنـت تعـرف. كان لديـك سـتة وعـشرون عامـا تـؤدي إلى هـذه اللحظـة كي تبنـي تصـورك.

يقـول: "سـاعديني في ترشـيد اسـتخدام الكـرسي. سـاعديني في اختبـاره بأمـان. لم أسـتطع أن أخـبرك مـا أقصـده في المـرة الأولى، أو حتـى في المـرة الثانيـة عندمـا طرحـتُ هـذا السـؤال، لكنـك الآن تعرفـين الحقيقـة، لـذا أسـأل الآن للمـرة الثالثـة، وآمـل أن تكـون الإجابـة نعـم."

"أي سؤال؟"

يدنـو منهـا ويمسـك يديهـا، مقتربـا بمـا يكفـي الآن حتـى أنهـا تسـتطيع أن تشـم الشـمبانيا في أنفاسـه.

"هيلينا، هل تريدين أن تغيري العالم معي؟"

باري

25 – 26 أكتوبر 2007

يدخل بيته ويغلق الباب الأمامي، متوقفا مرة أخرى أمام المرآة المجاورة لمشجب المعاطف ليحدق في انعكاس ذاته الأصغر سنا.

هذا ليس حقيقيا.

هذا لا يمكن أن يكون حقيقيا.

تهتف جوليا باسمه من غرفة النوم. يمر بجوار التلفاز، حيث نهائيات كأس العالم مازالت تدور، وينعطف قاطعا الرواق، والأرضية تئن تحت قدميه العاريتين في كل الأماكن المألوفة. يمر إلى جوار حجرة ميجان، وبعد ذلك حجرة الضيوف التي تُستخدم أيضا كمكتب منزلي، حتى يقف على عتبة حجرته هو وجوليا.

زوجتـه السـابقة تجلـس في الفـراش بكتـاب مفتـوح موضـوع عـلى حِجرهـا وفنجـان مـن الشـاي يتصاعـد منـه البخـار عـلى منضدتهـا بجـوار السريـر.

تسأله: "هل سمعتك تخرج؟"

تبدو مختلفة جدا.

"نعم."

"أين ميجان؟"

"ذهبت إلى ديري كوين."

"لديها يوم دراسي غدا!"

"ستعود قبل العاشرة والنصف."

"عرفت من تطلب منه، أليس كذلك؟"

تبتسـم جوليـا وتربـت عـلى غطـاء السريـر إلى جوارهـا، ويدخـل بـاري غرفتهـما، وعينـاه تجريـان عـلى صـور الزفـاف، وصـورة بالأبيـض والأسـود لجوليـا تحمـل ميجـان ليلـة ميلادهـا، وأخـيرا مستنسـخ فـوق السريـر للوحـة فـان جـوخ **ليلـة النجـوم**، اشـترياها مـن (متحـف الفـن الحديـث) منـذ عـشرة أعـوام بعـد أن شـاهدا اللوحـة الأصليـة. يصعـد السريـر ويجلـس مسـتندا إلى لوحـه الخلفـي إلى جـوار جوليـا. عـن قـرب، تبـدو نـضرة، بشرتهـا ناعمـة للغايـة، بادئـة فقـط في الإشـارة إلى التجاعيـد التـي رآهـا في وجبـة الإفطـار المتأخـر منـذ يومـين.

تسـأله: "لمـاذا لا تشـاهد مباراتـك؟" كانـت المـرة الأخـيرة التـي جلسـا فيهـا عـلى هـذا السريـر معـا في الليلـة التـي تركتـه فيهـا. حدقـت في عينيـه وقالـت: آسـفة، **لكـن لا يمكننـي أن أفصلـك عـن كل هـذا الألم.** "حبيبـي. مـا المشـكلة؟ تبـدو وكأن أحـدا مـات لـك."

لم يسمعها تدعوه **حبيبي** منذ زمن، لا... هو لا يحس وكأن أحدا مات. هو يحس... بإحساس حاد من التشوش والتفكك. وكأن جسده صورة رمزية مازال يُكوِّن إحساسا بوظائفها.

"أنا بخير."

"ياه! تريد أن تجرب هذا مرة أخرى، لكن أكثر إقناعا هذه المرة؟"

أمن الممكن أن تكون الخسارة التي حملها منذ موت ميجان مازالت تنزف من روحه عبر عينيه وحتى هذه اللحظة المستحيلة؟ أنه على تردد ما أقل، تشعر جوليا بهذا التحول فيه؟ لأن غياب المأساة يحمل تأثيرا نسبيا معكوسا على ما يراه عندما ينظر في عينيها. عيناها تدهشانه. لامعتان وحاضرتان وصافيتان. عينا المرأة التي وقع في حبها. وتجتاحه كله مرة أخرى تلك القوة المدمرة للأسى.

تمرر جوليا أصابعها أسفل قفاه، فتسري رعدة في عموده الفقري ويحس بالقشعريرة. لم تلمسه زوجته منذ عِقد.

"ما الأمر؟ شيء يحدث في العمل؟"

تقنيا، شمل يومه الأخير في العمل قتله في حوض عزل، وإعادته إلى هذا أيا يكون، لذا...

"نعم، في الحقيقة."

الخبرة الحسية للموضوع هي ما تقتله. رائحة حجرتهما. نعومة يديّ جوليا. كل الأشياء التي قد نسيها. كل شيء فقده.

تسأله: "هل تريد أن تتحدث عنه؟"

"هل تمانعين إن رقدت هنا فقط بينما تقرأين؟"

"بالطبع لا."

وهكـذا يريـح رأسـه عـلى حِجرهـا. لقـد تخيـل هـذا ألـف مـرة، عـادة في الثالثـة صباحـا، وهـو راقـد في سريـره في شـقته بواشـنطن هايتـس، عالقـا في تلـك المراوحـة المرهقـة بـين السُـكْر ودوار مـا بعـد السُـكر، متسـائلا...

مـاذا لـو عاشـت ابنتـه؟ مـاذا لـو عـاش زواجـه؟ مـاذا لـو لم يخـرج كل شيء عـن مسـاره؟ مـاذا لـو...

هذا ليس حقيقيا.

هذا لا يمكن أن يكون حقيقيا.

الصـوت الوحيـد في الغرفـة هـو الحفيـف الناعـم لتقليـب جوليـا الصفحـات كل دقيقـة أو نحـو ذلـك. عينـاه مغلقتـان، هـو فقـط يتنفـس الآن، وهـي تمـرر أصابعهـا في شـعره بالطريقـة التـي اعتـادت أن تفعلهـا فيـما مـضى، ينقلـب عـلى جانبـه ليخفـي الدمـوع في عينيـه.

في داخلـه، ترتـج كومـة مـن البروتوبلازمـا، ويتطلـب الأمـر منـه مجهـودا هرقليـا كي يحافـظ عـلى رباطـة جأشـه الذهنيـة. الإحسـاس الصـافي يترنـح، لكـن لا يبـدو أن جوليـا تلاحـظ تلـك الحفنـة مـن المـرات التـي يرتفـع وينخفـض فيهـا ظهـره في عـبرة بـكاء مكبوتـة بالـكاد.

لقد التقى للتو مرة أخرى **بطفلته الميتة.**

رآها، سمع صوتها، احتضنها.

والآن هـو بطريقـة مـا في غرفـة نومـه القديمـة مـن جديـد مـع جوليـا، وهـذا أكـبر بكثـير مـما يحتمـل.

تتسلل إليه فكرة مرعبة - **ماذا لو أن هذا مجرد انفصال ذهاني؟**

ماذا لو يتبدد كل هذا؟

ماذا لو فقدت ميجان مرة أخرى؟

يلهث بشدة -

ماذا لو -

"باري، أأنت بخير؟"

كُفّ عن التفكير.

تنفس.

"نعم."

فقط تنفس.

"متأكد؟"

"نعم."

اخلد للنوم.

لا تحلم.

وانظر إن كان كل هذا سيظل موجودا في الصباح.

يصحو مبكرا على الضوء القادم عبر الستائر. يجد نفسه راقدا إلى جوار جوليا، مازال يرتدي ملابسه منذ الليلة الماضية. يهبط من فوق السرير دون إزعاجها ويمشي على أطراف أصابعه قاطعا الرواق إلى حجرة ميجان. الباب مغلق. يفتحه قليلا، ويطل بالداخل. تنام ابنته تحت كومة من البطاطين، والجو هادئ في البيت بما يكفي في هذه الساعة كي يسمع تنفسها.

هي حية. هي بأمان. هي موجودة هناك.

كان ينبغي أن يكون هو وجوليا في حالة من الأسى والصدمة، عائدين للتو إلى بيتهما بعد قضاء الليلة كلها في المشرحة. صورة جسد ميجان على مائدة التشريح - بجذعها المحطم مغطى بكدمة سوداء - لم تفارقه أبدا، رغم أن ذكراه لها قد اتخذت نفس المظهر الشبحي للذكريات الزائفة الأخرى.

لكـن هـا هـي ذا، وهـا هـو ذا، يشـعر بالتأقلـم مع هـذا الجسـد مع كل ثانيـة تمـر. وهـذا الخـط المقصـوص مـن ذكريـات حياتـه الأخـرى ينحـسر، كـما لـو أنـه أفـاق للتـو مـن أطـول وأفـزع كابـوس. كابـوس طولـه أحـد عـشر عامـا.

هـذا هـو الأمـر بالضبـط، يفكـر - **كابـوس**. لأن مـا حولـه يبـدو وكأنـه هـو واقعـه أكـثر وأكـثر الآن.

ينسـل إلى داخـل حجـرة ميجـان ويقـف إلى جـوار السريـر، مراقبـا لهـا أثنـاء نومهـا. لـو أنـه شـهد تشـكيل الكـون لم يكـن مـن الممكـن أن يشـعر بإحسـاس أعمـق مـن هـذا الإحسـاس بالدهشـة والبهجـة والامتنـان الكاسـح لأيٍ كانـت القـوة التـي أعـادت صنـع العـالم مـن أجـل ميجـان ومـن أجلـه.

لكـن رعبـا بـاردا يتنفـس أيضـا أسـفل رقبتـه مـن فكـرة أن هـذا قـد يكـون وهـما.

قطعة من الكمال غير القابل للتفسير ينتظر أن تُختطف منه بعيدا.

يتجـول عـبر البيـت مثـل شـبح يتجـول عـبر حيـاة ماضيـة، معيـدا اكتشـاف مسـاحات وأشـياء كلهـا ضائعـة في ذاكرتـه. التجويـف في حجـرة المعيشـة الـذي كانـوا يضعـون فيـه الشـجرة كل كريسـماس. المنضـدة الصغـيرة إلى جـوار البـاب الأمامـي حيـث كان يدخـر متعلقاتـه الشـخصية. قـدح قهـوة كان يفضلـه. منضـدة الكتابـة ذات السـطح القابـل للطـي في حجـرة الضيـوف حيـث كان يدفـع الفواتـير. المقعـد في غرفـة المعيشـة حيـث كان يقـرأ كل أحـد الواشـنطن بوسـت والنيويـورك تايمـز مـن الغلاف إلى الغـلاف.

إنه متحف للذكريات.

قلبه يدق أسرع من المعتاد، متوافقا في إيقاعه مع صداع ضغط منخفض خلف عينيه. يريد سيجارة. ليس نفسيا - فقد أقلع أخيرا منذ خمس سنوات بعد محاولات عديدة فاشلة - لكن من الواضح أن جسده البالغ من العمر تسعة وثلاثين عاما يحتاج ماديا إلى جرعة من النيكوتين.

يدخل المطبخ ويملأ كوبا بماء من الصنبور. يقف عند الحوض، مشاهدا ضربات فرشاة الضوء المبكر وهي تخلق الساحة الخلفية من العدم.

يفتح الخزانة التي على يمين الحوض، ويُخرج القهوة التي اعتاد أن يشربها. يصنع قدرا منها ويضع ما يمكنه من أطباق الأمس داخل غسالة الأطباق، ثم يشرع في العمل مكملا المهمة التي كانت عليه طوال فترة زواجهما - غسل بقية الأطباق بيده في الحوض.

عندما ينتهي، تكون السجائر مازالت تلح عليه. يمضي إلى المنضدة المجاورة للباب الأمامي ويُخرج علبة سجائر (كميل) ويلقي بها في صفيحة الزبالة بالخارج. ثم يجلس في الشرفة الأمامية يشرب قهوته في البرد، آملا أن يصفو ذهنه ومتسائلا إن كان الرجل المسؤول عن إرساله إلى هنا يراقبه الآن. ربما من مستوى ما أعلى من الوجود؟ من خلف الزمن؟ يعود الخوف. هل سيُنتزع فجأة من هذه اللحظة ويُلقى به من جديد في حياته القديمة؟ أم أن هذا سيدوم؟

يكتم الذعر المتصاعد. يقول لنفسه إنه لم يتخيل متلازمة الذاكرة الزائفة والمستقبل. هذا أعقد بكثير، حتى على ذهنه كمحقق، مما يمكن أن يحلم به.

هذا حقيقي.

هذا يحدث الآن.

هذا **يحدث**.

ميجان حية، ولا شيء سيأخذها منه مرة أخرى.

يقـول بصـوت عـال، أقـرب شيء فعلـه في حياتـه كصـلاة: "**إذا كان يمكنـك أن تسـمعني الآن، مـن فضلـك لا تنتزعنـي مـن هـذا. سـأفعل أي شيء.**"

ليس هناك من رد في صمت الفجر.

يأخـذ رشـفة أخـرى مـن القهـوة ويراقـب ضـوء الشـمس وهـو يتدفـق عـبر غصـون شـجرة البلـوط، ضاربـا العشـب المتجمـد، الـذي يبـدأ في إخـراج البخـار.

هيلينا

5 يوليو 2009

اليوم 613

بينما تهبط السلم نحو المستوى الثالث للبناء العلوي، يكون والداها - خاصة أمها - في بالها.

ليلة أمس، حلمت بصوت أمها.

الخنة الغربية الخفيفة.

النعومة الجزلة.

كانتا تجلسان في حقل مجاور للبيت الريفي القديم الذي نشأت فيه. يوم خريفي. الهواء منعش وكل شيء مخضب بالضوء الذهبي للأصيل بينما الشمس تنزلق وراء الجبل. كانت دوروثي شابة، وشعرها مازال كستنائيا يتراقص مع الرياح. ورغم أن شفتيها لم تتحركا، كان صوتها

واضحا وقويا. لا تستطيع هيلينا أن تتذكر كلمة واحدة مما قالته، فقط الإحساس الذي استحضره صوت أمها بداخلها - حب صافٍ وغير مشروط مقترن بلسعة من حنين حاد جعلت قلبها يوجعها.

هي تكاد تموت لهفة على الحديث إليهما، لكن منذ اكتشافها منذ أسبوعين أنها وسليد قد صنعا شيئا أقوى بكثير من جهاز ذاكرة ثلاثي الأبعاد، لم تشعر بالراحة حيال التطرق لموضوع الاتصال بأمها وأبيها مرة أخرى. ستفعل عندما يأتي الأوان، لكن كل شيء مازال طازجا ونيئا للغاية.

إنها تمر بوقت صعب في السيطرة على ما تراه حيال اختراعها العرضي، وكيف تلاعب بها سليد، وما يكمن أمامها.

لكنها تعمل في المختبر من جديد.

تمارس التدريبات الرياضية.

تضع قناعا طيبا على وجهها.

تحاول أن تكون مفيدة.

وبينما تغادر الدَرج في اتجاه المختبر، تندفع جرعة من الأدرينالين عبر دمها. إنهم يجرون الاختبار رقم تسعة على ريد كينج اليوم، اختبار جديد. ستمر بتبديل الواقع تحت قدميها مرة أخرى، ولا سبيل لإنكار الإثارة.

عندما تقترب من قاعة الاختبار، يظهر سليد بغتة من وراء الركن.

تقول: "صباح الخير."

"تعالي معي."

"ما المشكلة؟"

"تغيير في الخطة."

يبـدو متوتـرا ومنزعجـا، ويقودهـا إلى داخـل حجـرة الاجتماعـات ويغلـق البـاب. ريـد جالـس بالفعـل إلى المائـدة، يرتـدي بنطـال جينـز ممزقـا وكنـزة مـن التريكـو، ويـداه تقبضـان عـلى فنجـان قهـوة يتصاعـد منـه البخـار. يبـدو أن الوقـت الـذي قضـاه عـلى المنصـة قـد كسـا عظامـه ببعـض اللحـم ومحـا مـن عينيـه نظـرة المدمنـين الجوفـاء.

"التجربة انتهت.." يقول سليد، متخذا مجلسه على رأس المائدة.

يقـول ريـد: "كنـت سـأحصل عـلى خمسـين ألفـا مـن أجـل هـذه التجربـة."

"ستحصل على مالك أيضا. الموضوع هو أننا أدينا التجربة بالفعل."

تتساءل هيلينا: "عم تتحدث؟"

ينظـر سـليد إلى سـاعته: "أجرينـا التجربـة منـذ خمـس دقائـق." وينظـر إلى ريـد: "أنـت مـت."

"ألم يكن هذا ما هو مفترض أن يحدث؟" يتساءل ريد.

"أنـت مـت في الحـوض، لكـن لم يحـدث أي تحـول في الواقـع.." يقـول سـليد. "أنـت مـت فقـط في الواقـع."

تسأل هيلينا: "كيف تعرف كل هذا؟"

"بعـد أن مـات ريـد، جلـس في الكـرسي وسـجلت ذكـرى سـابقة لجـرح نفـسي أثنـاء الحلاقـة هـذا الصبـاح." يرفـع سـليد رأسـه، ويلمـس شريحـة قـذرة عـلى عنقـه. "أخرجنـا ريـد مـن الحـوض، ثـم دخلـت، وعـدت للحظـة حلاقتـي حتـى أتمكـن مـن المجـيء إلى هنـا وإيقـاف التجربـة مـن الحـدوث."

تتساءل: "لماذا لم تنجح؟ ألم يكن عدد المشبكيات العصبية كبيرا..."

"عدد المشبكيات العصبية كان جيدا ووصل إلى اللون الأخضر."

"وماذا كانت الذكرى؟"

"منـذ خمسـة عـشر يومـا. العـشرون مـن يونيـو. أول مـرة دخـل فيهـا ريـد الحـوض، بوسـم **ميرانـدا** كامـلا عـلى ذراعـه."

وكأن شيئا انفجر بغتة للتو في عقل هيلينا.

تقول: "لا عجب أنه مات، تلك ليست ذكرى حقيقية."

"ماذا تقصدين؟"

"هـذه النسـخة مـن الأحـداث لم تحـدث قـط. لم يحصـل ريـد عـلى وشـم قـط. لقـد غـير هـذه الذكـرى عندمـا مـات في الحـوض." والآن بينـما تنظـر إلى ريـد، تبـدأ في لضـم القطـع معـا. "مـا يعنـي أنـه لم يكـن هنـاك شيء بالنسـبة لـك كي تعـود إليـه."

يقول ريد: "لكني أذكر هذا.."

تسـأله: "كيـف تبـدو في عـين عقلـك؟ مظلمـة؟ جامـدة؟ ظـلال مـن الرمـادي؟"

"كأن الوقت قد تجمد."

"إذًا هـي ليسـت ذكـرى حقيقيـة. إنهـا... لا أعـرف مـا أدعوهـا بـه. مـزورة. زائفـة."

"ميتة.." يقول سليد، وهو يلقي نظرة على ساعته مرة أخرى.

"إذًا لم تكـن هـذه صدفـة." تحـدق بغضـب في سـليد مـن وراء المائـدة. "كنـت تعـرف."

"الذكريات الميتة تفتنني."

"لماذا؟"

"هي تمثل... بُعدا آخر للحركة."

"لا أعرف ما يعنيه هذا الهراء، لكننا اتفقنا بالأمس على أنك لن تحاول رسم خريطة..."

"في كل مرة يموت في الحوض، يُيتم خيطا من الذكريات التي تغدو ميتة في عقولنا بعد أن نتحول. لكن ماذا يحدث بالفعل لهذه الخطوط الزمنية؟ هل جرى تدميرها حقا، أم أنها مازالت هناك في مكان ما، بعيدا عن متناولنا؟" ينظر سليد إلى ساعته مرة أخرى. "أتذكر كل شيء من التجربة التي أجريناها هذا الصباح، وستستعيدا أنتما الاثنان تلك الذكريات الميتة في أي لحظة الآن."

يجلسون في صمت إلى المائدة، وثمة برودة تحيط بهيلينا.

نحن نلهو بأشياء لا ينبغي اللهو بها.

تشعر بالألم يأتي وراء عينيها. تمد يدها إلى الأمام وتقبض على بضعة مناديل ورقية من علبة الكلينيكس لتوقف نزيف الأنف.

تأتي الذكرى الميتة لاختبارهم الفاشل على نحو ساحق.

توقف قلب ريد في الحوض.

ميت لمدة خمس دقائق.

عشر دقائق.

خمس عشرة.

صراخها في سليد كي يفعل شيئا.

الاندفاع داخل قاعة الاختبار، فتح باب حوض العزل بعنف.

ريد يطفو بالداخل في سلام.

ساكن سكون الموت. إخراجه مع سليد ووضعه وهو يقطر ماء على الأرضية.

قيامها بإجراء الإنعاش القلبي الرئوي بينما د. ويلسون يقول في جهاز الاتصال الداخلي: "لا جدوى يا هيلينا. لقد رحل منذ وقت أطول من اللازم."

تستمر على أي حال، والعرق يسيل داخلا عينيها بينما يسرع سليد عبر القاعة إلى حجرة الكرسي.

كانت قد يئست من إنقاذ ريد قبل أن يدخل سليد من جديد - جالسة في الركن ومحاولة التعامل مع حقيقة أنهم قتلوا رجلا بالفعل. ليس مجرد رجل. لقد كان مسؤوليتها. جاء إلى هنا بسبب شيء صنعته.

يبدأ سليد في ربط الأحزمة.

تسأل: "ماذا تفعل؟"

"أصلح هذا." ثم ينظر نحو الزجاج أحادي الرؤية بين قاعة الاختبار وغرفة التحكم. "هل سيخرجها أحد من هنا من فضلكم؟"

يندفع رجال سليد داخلين بينما يصعد إلى الحوض عاريا.

"من فضلك تعالي معنا يا د. سميث."

تنهض ببطء وتسير بإرادتها إلى غرفة التحكم، حيث تجلس خلف سيرجي ود. ويلسون بينما يعيدان تنشيط ذكرى جرح حلاقة سليد.

تفكر طوال الوقت: هذا خطأ، هذا خطأ، هذا خطأ، حتى...

تجد نفسها فجأة جالسة هنا، في حجرة الاجتماعات تلك، تحبس الدم بالكلينيكس.

تنظر هيلينا إلى سليد.

هو يراقب ريد، الذي يحدق بنوع من الابتسام المنتشي في اللاشيء.

"ريد؟" يهتف سليد.

لا يجيب الرجل.

"ريد، هل يمكنك أن تسمعني؟"

يدير ريد رأسه ببطء إلى أن يحدق في سليد، والدم يسيل على شفتيه، ويقطر على المائدة.

يقول ريد: "أنا مت."

"أعرف. عدت إلى ذكرى سابقة كي أنقذ..."

"وكان هذا أجمل شيء رأيته على الإطلاق."

يسأله سِليد: "ماذا رأيت؟"

رأيت..." يجاهد كي يصيغها في كلمات. "كل شيء."

"لا أعرف ما يعني هذا يا ريد."

"كل لحظة من حياتي. كنت مندفعا عبر ذلك النفق المليء بهم، وكان هذا شيئا جميلا جدا. وجدت واحدة نسيتها. ذكرى رائعة. أعتقد أنها الأولى لي."

تسأله هيلينا: "عمَّ؟"

"كنت في الثانية من عمري، ربما في الثالثة. كنت جالسا على حِجر شخص ما على شاطئ، ولم أستطع أن ألتفت كي أرى وجهه، لكني عرفت أنه أبي. كنا في (كيب ماي) على ساحل جيرسي، حيث اعتدنا أن نقضي الأجازات. لم يكن بمقدوري رؤيتها، لكني عرفت أن أمي كانت خلفي أيضا، وأخي، ويل، كان واقفا على البُعد وسط الزبد، تاركا الأمواج تضربه. امتلأ الجو برائحة المحيط والكريم الواقي من الشمس والزلابية التي كان شخص ما يبيعها خلفنا على الممشى الخشبي." تجري الدموع على وجهه الآن. "لم أشعر أبدا بمثل هذا الحب في حياتي كلها. كل شيء طيب. آمن. كانت لحظة مثالية قبل..."

"ماذا؟" يسأله سليد.

"قبل أن أصبح أنا." يمسح عينيه، وينظر إلى سليد. "لم يكن ينبغي عليك أن تنقذني. لم يكن ينبغي عليك أن تعيدني."

"عم تتحدث؟"

"كان يمكن أن أظل في تلك اللحظة إلى الأبد."

باري

نوفمبر 2007

كل يـوم اكتشـاف، كل لحظـة هديـة. مجـرد الجلـوس عـلى مائـدة العشـاء أمـام ابنتـه والاسـتماع إلى حديثهـا عـن يومهـا يبـدو أقـرب لاعتذار. كيـف كان بمسـتطاعه أبـدا أن يأخـذ حتـى ثانيـة واحـدة مـن هـذا كأمـر مسـلَّم بـه؟

يتـشرب كل لحظـة - الطريقـة التـي تـزوغ بهـا عينـا ميجـان عندمـا يسـألها عـن الفتيـان، الطريقـة التـي تضيئـان بهـا عندمـا يتكلمـوا عـن الكليـات التـي تريـد أن تذهـب إليهـا. يبـكي بطريقـة عفويـة في حضورهـا، لكـن مـن السـهل أن يلقـي باللـوم عـلى إقلاعـه عـن السـجائر، أو مشـاهدة ابنتـه الصغـيرة تصبـح امـرأة.

ترتفع قرون استشعار جوليا. في هذه اللحظات، يلاحظها تراقبه بالطريقة التي قد يتفحص بها أحد ما لوحة ليست معلقة بشكل مستقيم تماما.

كل صباح، عندما يعود إليه الوعي أولاً، يرقد في الفراش خائفا أن يفتح عينيه، خائفا أن يجد نفسه في شقته المكونة من حجرة نوم واحدة في واشنطن هايتس، بينما تتلاشى فرصته الثانية في طيّ النسيان.

لكنه دائما إلى جوار جوليا، دائما يرقب الضوء القادم عبر الستائر، وصلته الوحيدة بتلك الحياة الأخرى توجد في الذكريات الزائفة، التي يحب أن ينساها.

هيلينا

5 يوليو 2009

اليوم 613

بعـد العشـاء، بينـما تغسـل هيلينـا وجههـا وتسـتعد للذهـاب إلى الفـراش، تسـمع طرقـة عـلى بابهـا، وتجـد سـليد واقفـا في الطرقـة، بعينـين مظلمتـين ومنزعجتـين.

تسأله: "ماذا حدث؟"

"شنق ريد نفسه في حجرته."

"آه يا ربي. بسبب الذكرى الميتة؟"

"دعينـا لا نقـوم بـأي افتراضـات. مـخ المدمـن مضبـوط بطريقـة مختلفة عـن أمخاخنـا. مـن يعـرف مـاذا رأى في الحقيقـة عندمـا مـات. عـلى أي حـال، ظننـت فقـط أنـه ينبغـي أن تعـرفي. لكـن لا تقلقـي. سـأعيده غـدا."

"تعيده؟"

"بالكرسي. سأكون أمينا معك، أنا لا أتطلع إلى موت مرة أخرى. كما يمكنك أن تتخيلي، هو أمر غير سار تماما."

"لقد اختار أن ينهي حياته.." تقول هيلينا، محاولة أن تكبح جماح مشاعرها. "أعتقد أننا ينبغي أن نحترم هذا."

"ليس وهو مازال يعمل تحت إمرتي."

راقدة في السرير، بعد ساعات، تنتفض وتتقلب.

تمزق الأفكار رأسها، ولا يمكنها إخراسها.

لقد كذب سليد عليها.

تلاعب بها.

منعها عن الاتصال بأبويها.

سرق حياة منها.

ورغم أنه لا شيء قد فتنها عقليا أكثر من القوة الغامضة للكرسي، إلا أنها لا تثق به مع سليد. لقد بدَّلوا الذكريات. غيروا الواقع. أعادوا رجلا من الموت. ومع ذلك مازال يدفع الحدود بعزم مهووس يجعلها تتساءل عن غايته الحقيقية من كل هذا.

تهبط من الفراش وتسير نحو النافذة، وتزيح ستائر الإظلام التام.

القمر عال ومكتمل ويسطع بنوره على البحر، الذي يلتمع سطحه، بلونه الكحلي، ساكنا كلحظة متجمدة.

لن يأتي يوم أبدا تجلب أمها بالطائرة فيه إلى هنا وتضعها في الكرسي لتمسح خريطة ما بقي في ذهنها أيا كان.

ما كان هـذا ليحـدث أبـدا. حـان الوقـت لـترك الحلـم يمـوت والهـروب مـن هـذا الخـراء.

لكنهـا لا تسـتطيع. حتـى لـو تمكنـت مـن الهـروب عـلى واحـدة مـن سـفن الإمـدادات، في اللحظـة التـي سـيدرك فيهـا سـليد أنهـا رحلـت، سـيعود ببسـاطة إلى ذكـرى مـا قبـل هروبهـا ويمنعهـا.

يمكنـه أن يمنعـك قبل حتـى أن تحـاولي الهـروب. قبـل حتـى أن تخطـر الفكـرة عـلى بالـك. قبـل هـذه اللحظة.

كل هـذا يعنـي - أن هنـاك طريقـة واحـدة فقـط للهـروب مـن المنصـة الآن.

باري

ديسمبر 2007

هو أفضل في عمله، جزئيا لأنه يتذكر بعض القضايا والمشبوهين، لكن في الأساس لأنه مهتم. لطالما حاولت السلطات الأعلى ترقيته إلى وظيفة مكتبية إشرافية بأجر أفضل لكنه رفض. فهو يريد أن يكون محققا عظيما، لا مزيد.

يظل مبتعدا عن السجائر، يشرب قدحا في عطلات نهاية الأسبوع، يجري ثلاث مرات في الأسبوع، ويخرج مع جوليا ليلة كل جمعة. ليس الأمر مثاليا تماما بينهما. هي لا تحمل أثر صدمة موت ميجان ودمار زواجهما، لكن بالنسبة له لا مهرب من الطريقة التي أدت بها هذه الحوادث إلى تآكل علاقتهما. في حياته السابقة، استغرق الأمر منه زمنا طويلا كي يتوقف عن كونه واقعا في حب جوليا، ورغم أنه عاد إلى ما

قبل انهيار كل شيء، إلا أن الأمر ليس مجرد زر إضاءة يمكنه أن يديره من جديد.

يشاهد الأخبار كل صباح، ويقرأ الجرائد كل أحد، وبينما يتذكر اللحظات الكبيرة - المرشح الذي سيصبح رئيسا، هزات الركود الاقتصادي الأولى - إلا أن أغلبيتها مليئة بالتفاصيل وتافهة بما يكفي لأن تبدو جديدة مرة أخرى

يزور أمه كل أسبوع الآن. هي في الخامسة والستين من عمرها الآن وخلال خمس سنوات ستظهر عليها أول أعراض الورم الأرومي الدبقي لسرطان المخ الذي سيقتلها. وخلال ست سنوات، لن تتعرف عليه أو تكون قادرة على إجراء محادثة، وستموت في دار لرعاية المسنين بعدها بقليل، وقد تحولت إلى قشرة تالفة من ذاتها. سيمسك يدها النحيلة البارزة العظام في لحظاتها الأخيرة، متسائلا إن كانت حتى قادرة على تمييز الإحساس باللمسة الإنسانية في أرض مخها المطموسة.

الغريب أنه لا يجد حزنا ولا يأسا من معرفته بكيف ومتى ستنتهي حياتها. تبدو تلك الأيام الأخيرة نائية بعيدة المنال بينما يجلس في شقتها بحي كوينز قبل أسبوع من الكريسماس. في الواقع، هو يعتبر المعرفة المسبقة هدية. مات أبوه عندما كان باري في الخامسة عشر من تمدد الأوعية الدموية في الشريان الأبهر، على نحو مفاجئ وغير متوقع. أما مع أمه، فلديه سنوات كي يودعها، كي يتأكد من معرفتها أنه يحبها، كي يقول كل الأشياء التي في القلب، وثمة راحة لا حد لها في ذلك. كان قد تساءل مؤخرا إن كان هذا هو العيش كله في الواقع - وداع طويل لمن نحب.

كان قد أحضر ميجان معه اليوم، وها هي ابنته وأمه تلعبان الشطرنج بينما يجلس قرب النافذة، أمه تغني بذلك الصوت العالي

المستعار الذي دائما ما يحرك شيئا ما في أعماقه، وانتباهه منقسم بين مباراتهما والمارة في الشارع أسفله.

بالرغم من التكنولوجيا القديمة في كل مكان حوله وعناوين الأخبار المألوفة من وقت لآخر، إلا أنه لا يحس أنه يعيش في الماضي. يحس أن هذه اللحظة أشبه ما تكون **بالآن**. للخبرة تأثير فلسفي على إدراكه للوقت. ربما كان ڤينس على حق. ربما كل شيء يحدث في نفس الوقت.

"باري؟"

"نعم يا أمي؟"

"متى أصبحت متأملا في ذاتك هكذا؟"

يبتسم. "لا أعرف. ربما بلوغ الأربعين فعلها بي."

تنظر إليه للحظة، ثم تحول انتباهها عائدة إلى رقعة الشطرنج فقط عندما تقوم ميجان بنقلتها التالية.

يعيش نهاراته وينام لياليه.

يذهب إلى حفلات ذهب إليها بالفعل، يشاهد مباريات رآها من قبل، يحل قضايا حلها سابقا.

يجعله هذا يتساءل متعجبا عن حالة الإحساس بعيش نفس اللحظة من قبل الذي طالما طارده في حياته السابقة - الإحساس الدائم أنه كان يفعل أو يرى شيئا رآه بالفعل من قبل.

ويتساءل - هل حالة الإحساس بعيش اللحظة من قبل هي في الحقيقة طيف الخطوط الزمنية الزائفة التي لم تحدث أبدا لكنها حدثت، تلقي بظلالها على الواقع؟

هيلينا

22 أكتوبر 2007

تجلس إلى مكتبها القديم مرة أخرى في الأعماق العفنة لمبنى علم الأعصاب في (بالو آلتو)، عالقة في مرحلة انتقالية بين الذاكرة والواقع.

ألم الموت في الحوض مازال طازجا - الحرقان في رئتيها الجائعتين للأكسجين، الثقل الموجع لقلبها المشلول، الذعر والخوف، متسائلة إن كانت خطتها ستنجح. وبعد ذلك، عندما اشتغل أخيرا برنامج إعادة تنشيط الذاكرة وانطلقت المحفزات - الابتهاج الصافي والارتياح. كان سليد على حق. في غياب ثنائي ميثان التريبتامين، لم تكن خبرة إعادة تنشيط الذكرى أكثر من مشاهدة فيلم رأيناه بالفعل ألف مرة من قبل. هذا أشبه بعيشه.

جي-وون جالس أمامها، وجهه يتخذ سمت التركيز الشديد، وهي تتساءل إن كان يلاحظ أي شيء غريب فيها؛ حيث لا تملك التحكم

في جسدها بعد. لكنها تلتقط كلمات من هنا وهناك - أجزاء من محادثة مألوفة.

"... مأخوذ جدا بمقال فن تصوير الذاكرة الذي نشرتيه في مجلة (نيورون)."

يبدأ تحكمها العضلي في أطراف أصابع يديها وقدميها، ثم يعمل داخليا، صاعدا إلى ذراعيها وساقيها، حتى تتمكن من التحكم في قدرتها على أن ترمش بعينيها وتبتلع ريقها. فجأة، تحس بجسدها كشيء ينتمي لها، ويغمرها التحكم، مع بهجة الملكية التامة، عائدة بالكامل مرة أخرى داخل ذاتها الأصغر سنا.

تنظر حول مكتبها، الجدران مغطاة بصور عالية الدقة لذكريات الفئران. منذ لحظة، كانت على بعد 173 ميل من ساحل كاليفورنيا الشمالي، بعد عامين تقريبا في المستقبل، تموت في حوض عزل بالطابق الثالث من منصة نفط سليد.

"هل كل شيء على ما يرام؟" يتساءل جي-وون.

نجحت. يا إلهي، نجحت.

"نعم. آسفة. ماذا كنت تقول؟"

"صاحب عملي معجب جدا بمقال فن تصوير الذاكرة الذي نشرتيه في مجلة (نيورون)."

"هل لدى صاحب عملك اسم؟"

"حسنا، هذا يعتمد..."

"على...؟"

"الطريقة التي تسير بها هذه المحادثة."

يبدو إجراء هذه المحادثة لمرة ثانية عاديا تماما وفي نفس الوقت سرياليا على نحو يحير العقل. إنها، دون شك، أغرب لحظة في وجودها كله، وعليها أن تجبر نفسها على التركيز.

تنظر إلى جي-وون وتقول: "ولماذا حتى أجري محادثة مع شخص بينما لا أعرف من يتكلم بالنيابة عنهم؟"

"لأن أموال منحتك من جامعة ستانفورد ستنفد في غضون ستة أسابيع." يمد جي-وون يده داخل حقيبته الجلدية، ويُخرج وثيقة في غلاف أزرق - مقترحها.

وبينما يغويها جي-وون كي تأتي لتعمل من أجل رئيسه مقابل تمويل غير محدود، تحدق في مقترح المنحة، مفكرة: **فعلتها، صنعت كرسيًا، وهو أقوى بكثير مما تخيلت على الإطلاق أنه قد يكون.**

" تحتاجين فريقا من المبرمجين لمساعدتك في تصميم خوارزمية من أجل فهرسة وعرض الذاكرة المعقدة. البنية التحتية للتجارب على البشر."

منصة ثلاثية الأبعاد لعرض الذكريات طويلة الأمد والواضحة والمسلسلة.

شيدتها. ونجحت.

"هيلينا؟" يحدق فيها جي-وون الآن من وراء منطقة الكوارث التي هي مكتبها.

"نعم؟"

"هل تريدين أن تأتي لتعملي مع ماركوس سليد؟"

في الليلة التي قتل فيها ريد نفسه، هبطت متسللة إلى المختبر، وباستخدام مدخل خلفي إلى النظام أقنعت راج بوضعه قبل أن يغادر، رسمت خريطة ذكرى هذه اللحظة - ظهور جي-وون في مختبرها

بستانفورد. كانت هذه اللحظة قد تركت بصمة عصبية قوية بما يكفي لتكون حية من أجل العودة إليها. ثم برمجت تسلسل إعادة تنشيط الذكرى، وكوكتيل العقاقير، وصعدت إلى الحوض في الساعة الثالثة والنصف صباحا.

يقول جي-وون: "هيلينا؟ ماذا تقولين؟"

"أحب أن أعمل مع مستر سليد."

يسحب وثيقة أخرى من حقيبته ويناولها لها.

"ما هذا؟" تسأل، رغم أنها تعلم بالفعل. كانت قد وقّعته فيما يُعتبر الآن ذكرى ميتة.

"عقد توظيف واتفاق سري. غير قابل للتفاوض. أعتقد أنك ستجدين البنود المالية سخية جدا."

باري

يناير 2008 – مايو 2010

وعندئـذ تبـدو الحيـاة كحيـاة مـرة أخـرى، تجـري الأيام سـويا بإحسـاس مـن التشـابه والتسـارع، وتمـر أيـام أكـثر وأكـثر دون أن يفكـر قـط في حقيقـة أنـه يعيـش حياتـه كلهـا مـرة أخـرى مـن جديـد.

هيلينا

22 أكتوبر 2007 – أغسطس 2010

رائحة كولونيا جي-وون مازالت باقية في المصعد بينما تستقله هيلينا إلى الطابق الأول من مبنى علم الأعصاب. لقد مضى ما يقرب من عامين منذ آخر مرة وضعت فيها قدما في حرم جامعة ستانفورد. منذ وضعت قدما على البرّ. تكاد خضرة الأشجار والعشب تدفعها إلى البكاء. الطريقة التي يتخلل بها نور الشمس تلك الأوراق المرتعشة. رائحة الزهور. صوت الطيور التي لا تعيش في البحر.

النهار الخريفي ساطع ودافئ، وتظل تنظر إلى شاشة هاتفها القابل للطيّ، محدقة في تاريخ اليوم لأن جزءا منها مازال لا يصدق أنه الثاني والعشرون من أكتوبر عام 2007.

سيارتها الجيب تنتظرها في موقف صف السيارات الخاص بالكلية. تصعد إلى المقعد الذي أدفأته الشمس وتبحث عن المفتاح في حقيبة ظهرها حتى تُخرجه.

بعد قليل، ستصليها الشمس نارا حامية على الطريق السريع، والرياح تصرخ فوق قضبان موازنة الجيب. تبدو منصة النفط أشبه بحلم رمادي باهت، وأكثر منها رمادية وبهتانا الكرسي والحوض وسليد والعامان الأخيران، تلك التي، بسبب شيء أنشأته **هي**، لم تحدث بعد.

في بيتها في سان خوسيه، تملأ حقيبة سفر بالملابس، وصورة مؤطرة لوالديها، وستة كتب تعني العالم بالنسبة لها: (بنية جسم الإنسان) لأندرياس ڤيزاليوس، (الطبيعة) لأرسطو، (المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية) لإسحق نيوتن، وكتاب داروين (عن أصل الأنواع)، وروايتان - (الغريب) لكامو، ورواية جابرييل جارثيا ماركيز (مائة عام من العزلة).

في البنك، تغلق حساباتها الادخارية والجارية - أقل بقليل من 50.000 دولار. تسحب 10.000 دولار نقدا، وتضع الأربعين ألفا الباقية في حساب تداول أوراق مالية، ثم تخرج سائرة في شمس الظهيرة بمظروف أبيض يبدو نحيلا بشكل يُرثى له.

قرب الطريق السريع رقم 1، تتوقف عند محل بقالة جانبي لتملأ سيارتها الجيب بالغاز. وعندما تنتهي العملية، تلقي بطاقتها الائتمانية في الزبالة، وتنزل غطاء السيارة الناعم، وتصعد خلف عجلة القيادة. لا تعرف إلى أين هي ذاهبة. هذا هو أقصى ما خططت له ليلة الأمس على المنصة، وعقلها الآن يعمل بسرعة مع مزيج من الابتهاج والرعب.

ثمة قطعة بعشرة سنتات في واحد من حاملي الأكواب. تَرِفُّها في الهواء وتلتقطها على ظهر كفها الأيسر.

لو كان الوجه، ستذهب جنوبا.

لو كان الظهر، ستذهب شمالا.

يـدور الطريـق عـلى طـول خـط السـاحل المـليء بالجـروف المنحـدرة، والبحـر يفغـر فـاه متثاءبـا وراء ضبـاب رمـادي أسـفل الطريـق ببضـع مئـات مـن الأقـدام.

تسرع عبر غابات الأَرز.

عبر مساحات جرداء كنستها الرياح.

عبر مدن تحمل بالكاد اسما - بؤر استيطانية على حافة العالم.

ليلتهـا الأولى، تتوقـف عـلى مبعـدة نحـو سـاعتين من سـان فرانسيسـكو في نُـزُل صغـير مرمـم حديثـا عـلى جانـب الطريـق اسـمه (تيمـبر كـوف)، يجثـم عـلى جـرف يطـل عـلى البحـر.

تجلـس وحيـدة قـرب موقـد نـار مـع كأس مـن النبيـذ مـن زجاجـة صُنعـت عـلى بعـد عشريـن ميـلا فقـط عـلى الـبر، ترقـب الشـمس وهـي تسـقط وتفكـر فيـما آلـت إليـه حياتهـا.

تُخرج هاتفها لتتصل بوالديها لكنها تتردد.

في هـذه اللحظـة، ينتظـر ماركـوس سـليد وصولهـا الوشـيك إلى منصـة نفطـه الخارجـة مـن الخدمـة لتبـدأ العمـل عـلى الكـرسي، مؤمنـا بـلا شـك أن معرفـة قدرتـه الحقيقيـة العاصفـة بالعقـل تكمـن لديـه فقـط. وعندمـا تخيـب أملـه في الظهـور، لـن يتشـكك فقـط فيـما فعلتـه، بـل سـيقلب العـالم رأسـا عـلى عقـب بحثـا عنهـا؛ لأنـه مـن غيرهـا لا يملـك سر بنـاء - أو بمعنـى مـا إعـادة بنـاء - الكـرسي.

قد يستخدم حتى أبويها من أجل الوصول إليها.

تضع الهاتف على الأرض وتسحقه تحت كعب حذائها عالي الرقبة.

تندفـع شـمالا في الطريـق السريـع رقـم 1، متخـذة مسـارا قصـيرا إلى مـكان أرادت دائمـا أن تـراه عـلى سـاحل (لوسـت كوسـت) - **شـاطئ الرمـال السـوداء** في شـيلتر كـوف.

ثـم تتابـع السـير شـمالا عـبر غيضـات الخشـب الأحمـر والبلـدات السـاحلية الهادئـة وإلى إقليـم الشـمال الغـربي الهـادئ.

بعـد نحـو يومـين، تكـون في ڤانكـوڤر، متوجهـة شـمال سـاحل مقاطعـة كولومبيـا البريطانيـة، مـن حـاضرة إلى مدينـة إلى قريـة إلى بعـضٍ مـن أجمـل مناطـق الريـف المعزولـة التـي رأتهـا عيناهـا عـلى الإطـلاق.

بعـد ثلاثـة أسـابيع، أثنـاء التجـول عـبر بـراري شـمالي كنـدا، تلحـق بهـا عاصفـة بينـما الليـل يرخـي سـدوله.

تتوقـف عنـد حانـة عـلى جانـب الطريـق عـلى أطـراف قريـة بمثابـة أثر بـاق مـن أيـام (حمـى الذهـب)، وتسـتقر عـلى مقعـد مسـتدير عنـد بـار مكسـو بالخشـب، وتـشرب البـيرة وتثرثـر مـع أبنـاء القريـة بينـما تشـتعل النـار في موقـد حجـري ضخـم وتتسـاقط أول ثلـوج الموسـم ضاربـة زجـاج النافـذة.

مـن نـواحٍ مـا، تبـدو قريـة (هاينـز جانكشـن) في مقاطعـة (يوكـون) نائيـة تمامـا مثـل منصـة نفـط سـليد - هـذه القريـة الصغـيرة في أقـصى امتـدادت كنـدا، مطويـة داخـل غابـة دائمـة الخـضرة عنـد سـفح سلسـلة جبـال جليديـة. بالنسـبة لـكل مـن في القريـة، اسـمها هـو مـاري إيـدن - الاسـم الأول مـن وحـي أول امـرأة فـازت بجائـزة نوبـل والتـي أدى عملهـا إلى اكتشـاف النشـاط الإشـعاعي، والاسـم الثـاني مـن واحـد مـن كتـاب أدب الإثـارة المفضلـين لديهـا.

تعيـش في حجـرة فـوق الحانـة وتتلقـى أجـرا (مـن تحـت الطاولـة) لتعتنـي بالبـار في عطـلات نهايـة الأسـبوع. هـي لا تحتـاج المـال. فمعرفتهـا بأسـواق المسـتقبل سـتحول اسـتثماراتها إلى ملايـين في الأعـوام القادمـة.

لكن من الجيد أن تظل مشغولة، وقد يثير الأمر تساؤلات إن لم يكن لديها مصدر واضح للدخل.

ليس بحجرتها الكثير: سرير، وخزانة، ونافذة واحدة تطل على أكثر ما رأته في حياتها من الطرق السريعة خلاءً. لكن الآن على الأقل، هو كل ما تحتاج إليه. تتعرف على أشخاص، لكن لا أصدقاء، ويمر ما يكفي من العابرين على البار والمدينة ليقدموا السلوى العاطفية للقلب الوحيد أربعة وعشرين ساعة في اليوم من وقت لآخر.

وهي وحيدة، لكن يبدو أن هذا الشعور هو القاعدة هنا. لا يستغرق الأمر منها وقتا طويلا كي تميز هاينز جانكشن كمأوى لطبقة مميزة من الأشخاص.

هؤلاء الباحثون عن السلام.

هؤلاء الباحثون عن المخبأ.

مكتبة
t.me/t_pdf

وبالطبع هؤلاء الباحثون عن الاثنين.

تفتقد الحافز الذهني لعملها. تفتقد كونها في مختبر. تفتقد أن يكون لها هدف. يأكلها القلق والتساؤل عما سيفعله أبواها حيال اختفائها. وتشعر بالذنب كل ساعة من كل يوم لأنها لا تصنع كرسي الذاكرة الذي يمكنه حفظ الذكريات الأساسية لأشخاص مثل أمها.

خطر ببالها أن الحل لكل هذا يمكن أن يكون هو قتل سليد. سيكون من السهل الاقتراب منه - يمكنها أن تتصل بجي-وون، وتقول إنها أعادت التفكير في العرض. لكنها لا تجد في نفسها القدرة على ذلك. وعلى أي حال، هي ببساطة ليست ذلك الشخص..

لذا تريح نفسها بمعرفة أن كل يوم تظل فيه داخل هذا الركن المعزول من العالم، دون أن يكتشفها سليد، هو يوم يبقي العالم آمنا مما لديها القدرة على خلقه.

بعد عامين، تحصل على شهادات ووثائق هوية مزورة من شبكة الإنترنت السوداء وتنتقل إلى مدينة أنكوريج بألاسكا، حيث تتطوع كباحثة مساعدة لعالم أعصاب في الجامعة - رجل طيب ليست لديه فكرة أن واحدة من تلاميذه هي أبرز باحثة علمية في العالم. تقضي أيامها في مقابلات شخصية مع مرضى الألزهايمر مسجلة ذكرياتهم المتدهورة طوال أسابيع وشهور بينما المرض يتقدم عبر مراحله القاسية المذلة. عمل ليس فيه إبداع كبير، لكنها على الأقل تعير عقلها لمجال بحث تحمل شغفا تجاهه. فما اتسم به وقتها في يوكون من ملل ولاغائية كان قد دفعاها إلى حافة الإحباط والاكتئاب.

هناك أيام تريد فيها بشدة أن تبدأ بناء ميكروسكوب (ميج) وجهاز إعادة التنشيط كوسيلة لتسجيل وحفظ ذكريات الأشخاص الذين تجري معهم المقابلات، الذين يفقدون ببطء أنفسهم والذكريات التي تحدد هويتهم. لكن المخاطرة أكبر من اللازم. قد تنبه سليد إلى عملها، أو ربما يتمكن أحدهم - مثلما فعلت على ما يبدو - من صنع الطفرة بالصدفة من إعادة تنشيط الذاكرة إلى السفر في الذاكرة. لا يمكن الثقة في البشر مع تكنولوجيا بهذه القوة - فمع انشطار الذرة جاءت القنبلة الذرية. والقدرة على تغيير الذاكرة، وبالتالي الواقع، ستكون على الأقل بنفس الخطورة؛ جزئيا لأنها ستكون مغوية جدا. ألم تكن هي نفسها تغير الماضي الآن، ولدى أول فرصة حانت لها؟

لكن الكرسي لم يُصنع، لقد اختفت، ولا يوجد تهديد للذاكرة والوقت غير المعرفة الموجودة في عقلها، والتي ستأخذها معها إلى القبر.

خطرت لها فكرة قتل نفسها في أكثر من مناسبة. ستكون هذه بوليصة التأمين الأخيرة ضد أن يجدها سليد ويجبرها على التعاون.

وقد ذهبت إلى حد صنع أقراص من كلوريد البوتاسيوم تحسبا لأن يجيء هذا اليوم.

تحتفظ معها بهذه الأقراص طوال الوقت، في قلادة من الفضة حول عنقها.

تصفُّ هيلينا سيارتها في مساحة مخصصة للزوار قرب المدخل وتخرج إلى حرارة أغسطس القائظة. تحظى الأراضي برعاية جيدة. ثمة برجولات ونوافير ومساحات للنزهات الخلوية. تتساءل كيف لوالدها أن يتحمل كلفة هذا المكان.

تسجل دخولها عند المكتب الرئيسي ويكون عليها أن تكتب اسمها في استمارة تسجيل الزائرين. وبينما يقوم المشرف بتصوير نسخة من رخصتها للقيادة، تنظر هيلينا حولها، في توتر.

لقد مضت عليها ثلاثة أعوام في هذا الخط الزمني الجديد. ومن المفترض أن ذكريات سليد الزائفة عن وقتهما معا في منصته للنفط ستجده في الصباح الباكر من يوم 6 يوليو 2009، في نفس اللحظة (في الخط الزمني السابق) التي ماتت فيها هي في حوض العزل وعادت إلى ذكرى قدوم جي-وون إلى مختبرها في ستانفورد.

لو لم يكن سليد يبحث عنها قبل ذلك، سيكون الآن. وفي جميع الاحتمالات، قد دفع لشخص ما هنا ليبلغه إذا ظهرت هيلينا في أي وقت.

وهو ما فعلته للتو.

لكنها لم تأت هنا جاهلة بالمخاطرة.

لو أن سليد أو أحد رجاله يتتبعها، فهي مستعدة للتعامل مع الأمر.

ترفع يدها وتقبض على القلادة المتدلية من عنقها.

"تفضلي حضرتك." يسلم المشرف شارة الزائرة لهيلينا. "دوروثي في الحجرة رقم 117، في نهاية القاعة. سأدخلك إليها."

تنتظر هيلينا بينما تنفتح الأبواب المؤدية إلى (رعاية الذاكرة) ببطء على الجانبين.

روائح مواد التنظيف والبول وطعام الكافيتريا تختلط لتستدعي ذكرى المرة الأخيرة التي خطت فيها داخل مؤسسة لرعاية الكبار - منذ عشرين عاما، خلال الشهور الأخيرة من حياة جدها.

تمر بمساحة مشتركة، حيث يجلس النزلاء في خدر نتيجة الأدوية الثقيلة حول تلفاز يعرض برنامجا عن الطبيعة.

الباب المؤدي إلى الحجرة 117 موارب، وتدفعه قليلا لتفتحه.

بحسابات هيلينا، مرت خمسة أعوام منذ رأت أمها لآخر مرة.

دوروثي جالسة في مقعد متحرك وعلى ساقيها بطانية، تحدق خارج النافذة نحو سفوح جبال روكي. لا بد أنها قد رأت هيلينا في محيط رؤيتها؛ لأنها تدير رأسها ببطء نحو المدخل.

تبتسم هيلينا.

"أهلا."

تحدق أمها فيها، دون أن ترمش.

لا أثر للتعرف عليها.

"هل من الممكن أن أدخل؟"

تخفض أمها رأسها في إيماءة تأخذها هيلينا كإشارة موافقة. تقول هيلينا: "تعجبني حجرتك كثيرا.." ثمة تلفاز مكتوم الصوت يعرض قناة إخبارية. صور فوتوفراغية **في كل مكان**. لوالديها في أوقات أكثر شبابا وأفضل حالا. لها كرضيعة، كطفلة، كمراهقة أتمت للتو السادسة

عشر من عمرها جالسة خلف عجلة قيادة سيارتهم العائلية ماركة (تشيڤي سيلڤرادو) يوم حصولها على رخصتها للقيادة.

وفقا لصفحة (كيرينجبريدج)[1] التي أنشأها أبوها، نقلوا دوروثي إلى مركز رعاية الذاكرة في الكريسماس الماضي، عندما تركت الموقد مشتعلا وكادت تشعل النار في المطبخ.

تجلس هيلينا إلى جوار أمها إلى المائدة الصغيرة المستديرة قرب النافذة. ثمة باقة من الزهور قديمة بما يكفي لأن تُسقط بساطا من الأوراق والبتلات حول المزهرية.

لأمها هشاشة تشبه العصافير، وضوء الصباح المتأخر يسقط على وجهها ليجعله يبدو رفيعا كالورق. رغم أنها في الخامسة والستين فقط، إلا أنها تبدو أكبر بكثير. شعرها الفضي يخف. وبقع الشيخوخة تغطي يديها، اللتين مازالتا تبدوان أنثويتين ورشيقتين على نحو ملفت.

"أنا هيلينا. ابنتك."

تنظر أمها إليها في ارتياب.

"لديك منظر لطيف فعلا للجبال."

"هل رأيتِ نانسي؟" تسألها أمها. لا يبدو صوتها على سابق عهده إطلاقا - كلماتها تخرج ببطء، وبمجهود كبير. كانت نانسي أخت دوروثي الأكبر. وماتت في طفولتها منذ أكثر من أربعين عاما، قبل أن تولد هيلينا.

تقول هيلينا: "لم أرها، لقد رحلت منذ فترة."

(1) CaringBridge: موقع تواصل اجتماعي أنشأته منظمة خيرية غير ربحية تحمل اسمه عام 1997 لتساعد الأشخاص الذين يواجهون ظروفا طبية مختلفة وأسرهم وأصدقاءهم على التواصل.

تنظر أمها من النافذة إلى الخارج. رغم أن الجو صحو فوق السهول وسفح الجبل، إلا أنه على بعد أكبر بدأت سحب سوداء في التجمع حول القمم العالية. تفكر هيلينا - هذا المرض شكل سادي شيزوفريني من السفر في الذاكرة، يلقي بضحاياه عبر امتداد حياتهم، متحايلا عليهم كي يظنوا أنهم يعيشون في الماضي. يفصلهم ضائعين في الزمن.

تقول هيلينا: "آسفة لأني لم أكن بالقرب منك لأراكِ، ليس لأني لم أرغب في هذا - أفكر فيكِ وفي أبي كل يوم. لكن هذه السنوات القليلة الماضية كانت... صعبة فعلا. أنت الشخص الوحيد في العالم الذي يمكنني أن أخبره بهذا، لكني مُنحت فرصة لصنع كرسيّ الذاكرة. حكيت لك عنه ذات مرة، كما أظن. كنت السبب في صنعي له. أردت أن أنقذ ذكرياتك. ظننت أني سأغير العالم. ظننت أني حصلت على كل ما حلمت به. لكني فشلت. خذلتك. وخذلت كل الأشخاص الذين مثلك، الذين كان يمكن أن يستخدموا كرسيّ لإنقاذ جزء من أنفسهم من هذا... المرض اللعين." تمسح هيلينا عينيها. لا يمكنها أن تجزم إن كانت أمها تنصت إليها. ربما لا يهم. "لقد جلبت شيئا فظيعا إلى العالم يا ماما. لم أقصد، لكني فعلتها، وعليّ الآن أن أقضي بقية حياتي مختبئة. لم يكن ينبغي أن آتي إلى هنا، لكن... احتجت أن أراك مرة أخيرة. أحتاجك كي تسمعيني أقول إني..."

"ستهب عاصفة في الجبال اليوم.." تقول دوروثي، وهي مازالت ترقب السحب السوداء.

تُطلق هيلينا تنهيدة عميقة مرتعدة. "يبدو هذا، أليس كذلك؟"

"اعتدت أن أتمشى في هذه الجبال مع عائلتي إلى مكان يُدعى (لوست ليك)."

"أذكر هذا. ذهبت إلى هناك معك يا ماما."

"كنـا نسـبح في المـاء المتجمـد، وبعـد ذلـك نتمـدد عـلى الصخـور الدافئـة. كانـت السـماء زرقـاء للغايـة حتـى أنهـا كانـت أرجوانيـة تقريبـا. كانـت هنـاك زهـور بريـة في المـروج. لا يبـدو أن هـذا كان منـذ زمـن طويـل."

تجلسان في صمت.

يلمس البرق قمة (لونجس بيك).

المسافة أبعد من أن تسمعا الرعد.

تتسـاءل هيلينـا كـم يـأتي والدهـا عـادةً للزيـارة. تتسـاءل كـم لا بـد وأن هـذا صعـب بالنسـبة لـه. سـتتنازل عـن أي شيء كي تـراه مـرة أخـرى.

تُحـضر هيلينـا كل الصـور مـن الحائـط وتأخـذ وقتهـا في عـرض كل صـورة عـلى أمهـا، مشـيرة إلى الوجـوه، ناطقـة بالأسـماء، مسـتدعية لحظات مـن ذاكرتهـا. تبـدأ في انتقـاء ذكريـات تظـن أن أمهـا ستحسـبها أهـم وأكـثر ذكرياتهـا خصوصيـة، ثـم تـدرك أنـه اختيـار أكـثر حميميـة مـن أن تقـوم بـه لشـخص غـيرك. يمكنهـا فقـط أن تشـاركها ذكرياتهـا هـي.

وعندئذ يحدث أغرب شيء على الإطلاق.

تنظـر دوروثي إليهـا، وللحظـة، تغـدو عيناهـا واضحتـين وصافيتـين ومتقدتـين - كـما لـو أن المـرأة التـي عرفتهـا هيلينـا دومـا قـد صارعـت بطريقـة مـا شـاقة طريقهـا عـبر أحبولـة الخـرف ودروب الأعصـاب المدمـرة لـترى ابنتهـا للحظـة عابـرة.

تقول أمها: "كنت دائما فخورة بك.."

"صحيح؟"

"أنت أفضل شيء فعلته في حياتي."

تلف هيلينا ذراعيها حول أمها، والدموع تنسال.

"آسفة لأني لم أستطع أن أنقذك يا أمي."

لكن عندما تستوي جالسة، تكون لحظة الصفاء قد مرت.

وهي تحدق في عيني امرأة غريبة.

باري

يونيو 2010 – 6 نوفمبر 2018

ذات صباح، يصحو على حفل تخرج ميجان من المدرسة الثانوية.

هي الطالبة المكلفة بإلقاء خطبة الوداع، وتلقي خطبة عظيمة.

يبكي.

وبعد ذلك يأتي خريف يكون فيه هو وجوليا وبيت هادئ جدا فقط.

ذات ليلة في الفراش، تلتفت إليه وتقول: "هل هذه هي الطريقة التي تريد أن تقضي بها بقية حياتك؟"

لا يعرف ماذا يقول لها. انسَ هذا. هو يعرف. كان دائما ما يلقي باللوم على موت ميجان كسبب لنهاية علاقته هو وجوليا. كانت

أسرتهـم - **ثلاثتهـم** - هـي مـا تربطـه بجوليـا. عندمـا ماتـت جوليـا، انفكـت هـذه الرابطـة في غضـون عـام.

فقـط الآن بمقـدوره أن يعـترف أنـه كان مقـدرا لهـما دائمـا أن يفترقـا. فقـط شـهدت رحلتـه الثانيـة مـع زواجهـما موتـا أبطـأ وأقـل دراماتيكيـة، جلبـه نضـج ميجـان وانسـحابها مـن حياتهـما وقيامهـا بشـق طريقهـا الخـاص في الحيـاة.

إذًا نعم، هو يعرف. هو فقط لا يريد أن يقولها.

كان مقدرا لهذه العلاقة أن تدوم لوقت محدد، ولا مزيد.

تموت أمه بالطريقة التي يتذكرها بالضبط.

ميجـان بالفعـل في البـار عندمـا يصـل، ترتشـف كأسـا مـن المارتينـي وتكتـب رسـالة نصيـة لشـخص مـا. للحظـة، لا يراهـا، لأنهـا مجـرد امـرأة جميلـة أخـرى في أحـد بـارات مانهاتـن المليئـة بالشـابات الجميـلات، تتنـاول كوكتيـلا مسـائيا مبكـرا.

"أهلا ميجز."

تضـع هاتفهـا مقلوبـا عـلى وجهـه وتنزلـق مـن فـوق المقعـد المسـتدير، وتحتضنـه بطريقـة أقـوى مـن المعتـاد، جاذبـة إليـه قريبـا منهـا، دون أن تفلتـه.

تسأله: "كيف حالك؟"

"أنا بخير، أنا بخير."

"هل أنت متأكد؟"

"نعم."

تتفحصه بارتياب بينما هو يتخذ مجلسه إلى البار ويطلب زجاجة مياه معدنية (سان بيليجرينو) وطبقا صغيرا من الليمون.

يسألها: "كيف حال العمل؟" هي في عامها الأول كمنظِمة اجتماعية لمؤسسة غير ربحية.

"مشغولة بشكل مجنون والعمل رائع، لكني لا أريد الحديث عن العمل."

"تعلمين أني فخور بك، أليس كذلك؟"

"نعم، تخبرني بهذا في كل مرة تراني فيها. اسمع، أحتاج إلى سؤالك عن شيء ما."

"طيب." يرتشف ماءه المعدني مع الليمون.

"منذ متى وأنت غير سعيد؟"

"لا أعرف. منذ فترة. ربما سنوات."

"هل ظللتما أنت وماما متزوجين بسببي؟"

"لا."

"أتقسم؟"

"أقسم. أردت أن ينجح الأمر. وأعرف أن أمك أيضا كانت تريد هذا. أحيانا يستغرق الأمر فترة فقط كي تتوقفي عن شيء ما أخيرا. ربما تكوني قد أسهمتِ في عدم ملاحظتنا كم كنا تعيسين، لكنك لم تكوني **قط** سبب بقائنا معا."

"هل كنت تبكي؟"

"لا."

"هراء."

هـي طيبـة. لقـد وقَّـع اتفـاق الانفصـال في مكتـب محاميـه منـذ سـاعة، وإذا لم يحـدث أمـر مـا غـير متوقـع، سـيوقع القـاضي مرسـوم الطـلاق خلال شهر.

لقـد سـار طويـلا إلى هنـا، ونعـم كان يبـكي أغلـب مسـيرته. وهـذا مـن أعظـم الأشـياء في نيويـورك - لا أحـد يهتـم بحالتـك العاطفيـة طالمـا أن الأمـر ليـس فيـه دم. والبـكاء عـلى الرصيـف في منتصـف النهـار لا يقـل خصوصيـة عـن البـكاء في حجـرة نومـك في منتصـف الليـل. ربمـا لأنـه لا أحـد يبـالي. وربمـا لأنهـا مدينـة وحشـية، وكلهـم عانـوا مـن هـذا في وقـت أو آخـر.

يسألها باري: "كيف حال ماكس؟"

"وداعا ماكس."

"ماذا حدث؟"

"رأى الكتابة على الحائط."

"أي كتابة تلك؟"

"'ميجان مدمنة لعملها.'"

يطلب باري زجاجة مياه معدنية أخرى.

"تبدو بخير فعلا يا بابا."

"أتظنين هذا؟"

"بـلى. لا أطيـق الانتظـار إلى أن أبـدأ في سـماع حكايـات مواعداتـك الفظيعـة."

"وأنا لا أطيق الانتظار حتى أبدأ خوضها."

تضحك ميجان، وشيء ما في الطريقة التي يتحرك بها فمها يجعله يرى الفتاة الصغيرة في وجهها مرة أخرى، رغم أن هذا يحدث فقط للحظة عابرة.

يقول باري: "عيد ميلادك يوم الأحد."

"أعرف."

"مازلت أنا وماما نريد أن نصطحبك لإفطار متأخر."

"هل أنت واثق أن هذا لن يكون غريبا؟"

"أوه، سيكون غريبا، لكننا نريد أن نفعل هذا على أي حال إذا كان عندك استعداد. نريد أن نكون بخير مرة أخرى."

تقول ميجان: "أنا مستعدة."

"صحيح؟"

"صحيح. أريد أن أكون بخير أيضا."

بعد الشرب مع ميجان، يتناول لقمة في محله المفضل للبيتزا بالمدينة - وهو جحر بالجانب الغربي الشمالي لمانهاتن ليس بعيدا عن منطقته. مكان من نوعية أماكن منتصف الليل: معتد بنفسه، سيء الإضاءة، وبلا مقاعد - مجرد بار يمتد بمحيط المطعم، والجميع واقفون ممسكون بأطباق ورقية تنز دهنا تحمل شرائح كبيرة وأكوابا عملاقة من المشروبات الغازية محلاة بطريقة مفرطة.

إنها ليلة الجمعة، بضجتها واكتمالها.

يفكر في تناول كأس من الشراب، لكنه يقرر أن الشرب وحيدا بعد توقيع أوراق الطلاق أمر بائس للغاية، ويتوجه إلى سيارته بدلا من ذلك. يقودها في شوارع مدينته شاعرا بالسعادة والانفعال وقد غمره تماما اللغز الخالص لكونه حيا. يتمنى أن تكون جوليا بخير. كان قد

أرسل إليها رسالة نصية بعد أن وقَّع الأوراق. كتب أنه سعيد لأنهما سيكونان صديقين، وأنه سيكون دائمًا موجودا من أجلها.

وبينما هو جالس في السيارة أثناء توقف مروري، يراجع هاتفه مرة أخرى ليرى إن كانت قد ردت.

والآن ثمة رسالة نصية منها:

هنا من أجلك دائمًا. لن يتغير هذا أبدا.

قلبه ملآن بطريقة لم يعهدها فيه بقدر ما يستطيع أن يتذكر.

يتطلع عبر الزجاج الأمامي للسيارة. مازال المرور لا يتحرك، رغم أن الإشارة أمامه خضراء. ورجال الشرطة يحولون مسار السيارات بعيدا عن الشارع أمامه.

يُنزل زجاج نافذته ويهتف بأقرب شرطي: "ماذا يجري؟"

يشير إليه الرجل كي يتحرك قُدُما.

يشعل باري أضواء مقدمة سيارته ويطلق سارينتها. يجذب هذا انتباه شرطي الدورية الشاب. يأتي إليه مهرولا، وهو يعتذر بكل ما فيه. "آسف، أمرونا بإغلاق الشارع القادم. حالة من الفوضى الكاملة."

"ماذا حدث؟"

"سيدة قفزت من فوق مبنى في المربع السكني التالي."

"أي مبنى؟"

"ناطحة السحاب تلك التي هناك."

يتطلع باري إلى برج أبيض على طراز (الآرت ديكو) له تاج من الزجاج والفولاذ، وهو يشعر بغصة تنعقد في قرارة جوفه.

يسأل: "أي طابق؟"

"معذرة؟"

"من أي طابق قفزت؟"

تمر سيارة إسعاف صارخة، تدوي بأضوائها وصفارات إنذارها بينما تنطلق مسرعة عبر التقاطع التالي مباشرة.

"الحادي والأربعون. يبدو الأمر وكأنه انتحار آخر نتيجة متلازمة الذاكرة الزائفة."

يميل باري بسيارته إلى الرصيف ويخرج منها. يهرول عبر الشارع، رافعا شارته بسرعة في وجه شرطيي الدورية المطوقين للمنطقة.

يبطئ من سرعته عندما يقترب من دائرة من رجال الشرطة، وفنيي طب الطوارئ، ورجال الإطفاء، كلهم تجمعوا حول سيارة لنكولن تاون سوداء تحطم سقفها بشكل مذهل.

قبل أن يسير إلى هناك كان قد أعد نفسه لرؤية الآثار البشعة لكسور سقوط من ارتفاع أربعمائة قدم على الجسد البشري، لكن آن ڤوس بيترز تبدو سليمة تقريبا. الدمار الخارجي الوحيد المرئي هو خيط صغير من الدماء من أذنيها وفمها. هبطت على ظهرها، وبطريقة يبدو بها السقف المحطم للسيارة التاون وكأنه يحملها برفق وحنو. ساقاها متقاطعتان عند كاحليها، وذراعها الأيسر يتقاطع فوق صدرها ويستقر على وجهها، وكأنها نائمة فقط.

ملاك ساقط من السماء.

لم يكن الأمر أنه قد نسي. كان تذكره لفندق الذاكرة، وموته في حوض العزل، وعودته إلى الليلة التي ماتت فيها ميجان، دائما هناك على حافة وعيه - حزمة من الذكريات المغبشة.

لكن كانت هناك أيضا سمة أشبه بالحلم بالنسبة للأحد عشر عاما الماضية. لقد غرق في تفاصيل الحياة، ومع عدم وجود أي صلة

ملموسة بالحياة التي انتُزع منها، كان من السهل للغاية أن يُنحّي ما قد حدث في أعمق خبايا الوعي والذاكرة.

لكن الآن، وهو جالس في مقهى على ضفاف نهر هدسون مع جوليا وميجان في صبيحة عيد ميلاد ابنته السادس والعشرين، ينتابه وعي مُغشٍ لكونه في هذه اللحظة للمرة الثانية. يعود كل هذا إليه في فورة ذاكرة صافية كالماء. جلس هو وجوليا إلى مائدة غير بعيدة عن هذا المكان، يتخيلان ما كان يمكن أن تفعله ميجان لو كانت حية اليوم. افترض هو أنها كان يمكن أن تكون محامية. ضحكا حول هذا وتذاكرا المرة التي قادت فيها سيارته محطمة باب الجراج، قبل أن يقارنا ذكرياتهما عن أجازة عائلية ذهبا فيها إلى منابع الهدسون.

والآن تجلس ابنته أمامه، ولأول مرة منذ وقت طويل، يشعر بالارتباك حيال حضورها. حيال حقيقة أنها موجودة. شعور قوي مثل الأيام الأولى لعودته إلى الذاكرة، عندما كانت كل لحظة تشرق كهدية.

يرتج باري عائدا إلى الوعي في الثالثة صباحا، صاحيا على صوت دق في شقته. يتدحرج هابطا من فراشه، خارجا ببطء من دثار النوم بينما يترنح خارجا من حجرته. وجيم-بوب، منقذه، ينبح بشراسة في اتجاه الباب.

نظرة سريعة عبر العين السحرية تعيده فجأة إلى كامل وعيه – جوليا واقفة في ضوء الرواق الغائم. يدير الترباس، ويلقي بالسلسلة جانبا، ويجذب الباب ليفتحه. عيناها متورمتان من البكاء، وشعرها في حالة كارثية، وترتدي معطفا واقيا من المطر على البيجامة، وكتفاها مغطيان بنثار الثلج.

تقول: "حاولت أن أتصل. كان هاتفك مغلقا."

"ماذا حدث؟"

"هل يمكن أن أدخل؟"

يتنحى إلى الوراء، وتدخل شقته، وفي عينيها حدة بها مس من الجنون. يأخذ برفق ذراعها، ويقودها إلى الأريكة.

"أنت ترعبينني يا جولز. ما الأمر؟"

تنظر إليه وهي ترتعد. "هل سمعت بمتلازمة الذاكرة الزائفة؟"

"نعم، لماذا؟"

"أعتقد أني مصابة بها."

تنقبض معدته. "ما الذي يجعلك تقولين هذا؟"

"منذ ساعة، صحوت مصابة بصداع فظيع ورأس مليء بذكريات تلك الحياة الأخرى. ذكريات رمادية فاترة." تمتلئ عيناها بالدموع. "ماتت ميجان في حادث صدمتها فيه سيارة وفرت بينما كانت في المدرسة الثانوية. بعد سنة حدث الطلاق بيننا. تزوجت رجلا اسمه أنتوني. كان كل شيء حقيقيا للغاية. كأني عشته بالفعل. تناولنا أنا وأنت وجبة الإفطار المتأخر بالأمس في نفس ذاك المقهى على النهر، فقط لم تكن ميجان هناك. كانت ميتة منذ أحد عشر عاما. صحوت الليلة، وحيدة في فراشي، بلا أنتوني، مدركة أنه، في الواقع، تناولنا أنا وأنت معها الغداء بالأمس. أنها حية." ترتعش يدا جوليا بعنف. "ما الحقيقي يا باري؟ أي حزمة من الذكريات هي الحقيقة؟" تنهار. "هل ابنتنا حية؟"

"نعم."

"لكني أتذكر الذهاب إلى المشرحة معك. رأيت جسدها المكسور. لقد رحلت. أتذكر ذلك وكأنه حدث بالأمس. كان عليهم أن يحملوني خارجا. كنت أصرخ. أنت تذكر، أليس كذلك؟ هل حدث هذا؟ هل تتذكر موتها؟"

يجلس باري على الأريكة مرتديا سرواله الداخلي، واصلا إلى إدراك أن كل هذا يخلق نوعا ما مرعبا من المعنى. قفزت آن ڤوس بيترز من فوق مبنى (بو) منذ ثلاث ليال. تناول وجبة الإفطار المتأخر مع ميجان وجوليا بالأمس. ما يعني أن الليلة هي الليلة التي أعيد فيها إلى ذكرى آخر مرة رأى فيها ابنته حية. لا بد أن اللحاق بهذه اللحظة قد أطلق سراح كل ذكريات جوليا عن هذا الخط الزمني الميت الذي ماتت فيه ميجان.

"باري، هل أفقد عقلي؟"

وعندئذ يخطر له على نحو صادم - إذا كانت جوليا تمتلك هذه الذكريات، فإن ميجان تمتلكها كذلك.

ينظر إلى جوليا. "علينا أن نذهب."

"لماذا؟"

يقف. "الآن فورا."

"باري..."

"أنصتي إليّ - أنت لا تفقدين عقلك، لست مجنونة."

"أنت تذكر موتها أيضا؟"

"نعم."

"كيف يمكن هذا؟"

"أعدك أن أفسر كل شيء، لكن الآن فورا علينا أن نذهب إلى ميجان."

"لماذا؟"

"لأنها تعاني من نفس الشيء الذي تعانين منه. إنها تتذكر موتها هي نفسها."

يأخـذ بـاري طريـق الجانـب الغـربي السريـع، متوجهـا جنوبـا عـبر عاصفـة ثلجيـة خارجـا مـن واشـنطن هايتـس والامتـدادات الشـمالية لمانهاتـن، والطريـق مهجـور في هـذا الوقـت مـن الليـل.

تمسك جوليا بهاتفها على أذنها وتقـول: "ميجـان، مـن فضلـك اتصـلي بي عندمـا تصلـك هـذه. أنـا قلقـة عليـك. أنـا وأبـوك قادمـان إليـك الآن حـالا." تنظـر عـبر لوحـة التحكـم إلى بـاري وتقـول: "ربمـا تكـون نائمـة فقـط. إنـه منتصـف الليـل."

ينطلقـان عـبر الشـوارع الخاليـة لجنـوبي مانهاتـن، قاطعـين الجزيـرة إلى (نوهـو)، وإطـارات السـيارة تنزلـق عـلى الإسـفلت الأملـس.

يتوقـف بـاري بالسـيارة أمـام مبنـى ميجـان، ويترجـلان وسـط الثلـج المنهمـر.

عنـد المدخـل، يضغـط جهـاز الطنـان الكهربـائي المـؤدي إلى شـقة ميجان خمـس مـرات، لكنهـا لا ترد.

يلتفت إلى جوليا. "هل لديك مفتاح؟"

"لا."

يبدأ في رن أجهزة الشقق الأخرى حتى يدخلهم أحدهم أخيرا.

مبنـى ميجـان مـن مبـاني مـا قبـل الحـرب، متـداعٍ وبـلا مصعـد. يندفـع هـو وجوليـا صاعديـن سـت طوابـق مـن سـلم كئيـب إلى الـدور العلـوي ويجريـان قاطعـين رواقـا بإضـاءة كابيـة. الشـقة J في نهايـة الـرواق – ودراجـة ميجـان مسـنودة عـلى نافـذة مخـرج الحريـق.

يدق على الباب بقبضته. ولا من مجيب. يأخذ خطوة إلى الوراء، يرفع ساقه اليمنى ويركل الباب. تنطلق شوكة من الألم صاعدة في ساقه، لكن الباب يرتج فقط.

يركله مرة أخرى، بقوة أكبر هذه المرة.

ينفتح بصوت مدوٍ، ويهرعان داخلين في الظلام.

"ميجان!" تتلمس يده الحائط حتى تصطدم بزر الإضاءة وتشعله، ويسقط الضوء على استديو صغير. ثمة كوة نوم على اليمين - فارغة. على اليسار مطبخ داخلي صغير. وثمة طرقة قصيرة تؤدي إلى الحمَّام.

يندفع نحوه، لكن جوليا تندفع متجاوزة إياه، وهي تصرخ باسم ابنتها.

عند نهاية الصالة، تسقط على ركبتيها، وهي تقول: "حبيبتي، يا إلهي، أنا هنا."

يصل باري إلى نهاية الصالة، ويسقط قلبه بين ضلوعه. ميجان راقدة على الأرضية المصنوعة من المشمع وجوليا على الأرض بجوارها، تمرر يدها عبر رأسها. عينا ميجان مفتوحتان، وللحظة موجعة، يظنها ميتة.

ترمش بعينيها.

يرفع باري بحرص ذراع ميجان اليمنى، متفحصا النبض في شريانها الكعبري. نبضها قوي، ربما أقوى من اللازم، وسريع إلى حد ما. يتساءل - هل تتذكر أثر اصطدامها بشيء يزن طُنين ويتحرك بسرعة ستين ميلا في الساعة؟ اللحظة التي توقف فيها وعيها؟ أيا كان ما جاء بعد ذلك؟ كيف يكون الحال عندما تتذكر موتك أنت نفسك؟ كيف يمكن لأحد حتى أن يتذكر حالة اللاوجود؟ كظلام؟ عدم؟ يذهله الأمر كاستحالة، مثل القسمة على صفر.

يقول برقة: "ميجان، هل يمكنك أن تسمعيني؟"

تتحرك، تحدق متطلعة إليه الآن، وعيناها تبدوان مكتملتين، كأنها تراه بالفعل.

"بابا؟"

"ماما وأنا هنا يا حبيبتي."

"أين أنا؟"

"في شقتك، على أرضية حمامك."

"هل أنا ميتة؟"

"لا، بالطبع لا."

"لديّ هذه الذكرى. لم تكن موجودة من قبل. كنت في الخامسة عشر، أسير إلى ديري كوين لأرى أصدقائي. كنت أتحدث في الهاتف، لم أكن أفكر، وبدأت أعبر الشارع. أذكر صوت محرك سيارة. التفتُّ وحدقتُّ في أضواء أمامية قادمة. أذكر السيارة وهي تصدمني وبعد ذلك الرقاد على ظهري، مفكرة كم كنت غبية. لم أتألم كثيرا إلى هذا الحد، لكنني لم أستطع الحركة، وكل شيء كان يتحول إلى الظلام. لم أستطع الرؤية، وعرفت ما هو آت. عرفت أن هذا معناه نهاية كل شيء. هل أنت متأكد أني لست ميتة؟"

"أنت هنا معي ومع أمك.." يقول باري. "أنت حية للغاية."

ترف عينا ميجان إلى الوراء وإلى الأمام، كحاسوب يعالج بيانات.

تقول: "لا أعرف ما هو حقيقي."

"أنت حقيقية. أنا حقيقي. هذه اللحظة حقيقية." لكن حتى وهو يقول هذا، هو ليس متأكدا. يتفحص باري زوجته السابقة،

مفكرا كم تبدو مثل جوليا القديمة، وقد عاد الثقل الأسود لموت ميجان إلى عينيها.

يسأل جوليا: "أي مجموعة من الذكريات تبدو أكثر حقيقية بالنسبة لك؟"

تقول: "ليست واحدة أكثر حقيقية من الأخرى. الأمر فقط أني أعيش في عالم يتماشى مع كون ابنتي حية. الحمد لله. لكني أشعر وكأني عشت العالمين. ماذا يحدث لنا؟"

يطلق باري زفرة طويلة ويميل بظهره مستندا على باب الدش.

"في الـ.. لا أعرف حتى ما أسميها به... الحياة الماضية حيث ماتت ميجان، كنت أحقق في قضية تتضمن متلازمة الذاكرة الزائفة. كانت هناك أشياء غير منطقية. ذات ليلة - تلك الليلة في الحقيقة - وجدت هذا الفندق الغريب. جرى تخديري، وعندما أفقت، كنت مربوطا في مقعد وأواجه رجلا هدد بقتلي إذا لم أتذكر ليلة موت ميجان."

"لماذا؟"

"ليس لديّ فكرة. لا أعرف حتى اسمه. لاحقا، وُضعت في غرفة عزل. شلّني، وبعد ذلك أوقف قلبي. وبينما كنت أموت، بدأت أمر بهذه الومضات الحادة من الذكرى التي كنت قد وصفتها له. لا أعرف كيف، لكن وعيي ذا الخمسين عاما كان... **عاد** إلى جسد ذاتي في التاسعة والثلاثين من العمر."

تتسع عينا جوليا ميلا بأكمله، وتنهض ميجان قائمة في جلستها.

يقول: "أعلم أن الأمر يبدو جنونيا، لكني عدت فجأة إلى الليلة التي ماتت فيها ميجان." ينظر إلى ابنته. "كنتِ قد خرجتِ للتوّ من الباب. اندفعتُ وراءك ولحقتُ بك قبل ثوان من عبورك الشارع وقيام السيارة الموستانج المسرعة بصدمك. أتذكرين هذا؟"

"أعتقد هذا. كنت منفعلا بشكل عجيب."

تقول جوليا: "أنقذتها.."

"ظللت أفكر أن هذا كله كان حلما، أو خبرة غريبة ما سأُنتزع منها في أي لحظة. لكن الأيام مرت. ثم الشهور. ثم الأعوام. وأنا فقط... سقطت في روتين حياتنا. بدا كل شيء طبيعيا للغاية، وبعد فترة، لم أعد أفكر بالفعل قط فيما قد حدث لي. حتى ثلاث ليال مضت."

تسأله ميجان: "ماذا حدث منذ ثلاث ليال؟"

"قفزت هذه المرأة من فوق مبنى في الجانب الغربي الشمالي، وهو الحادث الذي كان قد وضعني على طريق تلك القضية الخاصة بالذاكرة الزائفة التي بدأت بها. كان الأمر أشبه بالاستيقاظ من حلم طويل. عمر من حلم. والليلة كانت هي الليلة التي أُعدت فيها إلى تلك الحياة الأخرى."

لا يمكنه تحديد إن كان التعبير الذي على وجه جوليا عدم تصديق أم صدمة.

أما عينا ميجان فقد صارتا زجاجيتين. تقول: "ينبغي أن أكون ميتة."

يمشط شعرها بأصابعه إلى خلف أذنيها بالطريقة التي اعتاد أن يفعلها عندما كانت فتاة صغيرة.

"لا، أنت في المكان الصحيح الذي ينبغي أن تكوني فيه. أنت حية. هذا هو الشيء الحقيقي."

يُفوِّت العمل ذلك الصباح، ليس فقط لأنه لم يعد إلى شقته إلا في السابعة صباحا. هو يخشى أن تكون ذكريات زملائه عن موت ميجان

قـد انبثقـت كذلـك ليلـة الأمـس - امتـداد عمـره أحـد عـشر عامـا مـن الذكريـات الزائفـة حيـث لم تكـن ابنتـه حيـة فيهـا.

عندمـا يصحـو، يجـد هاتفـه يـكاد ينفجـر بالإشـعارات مـن نصـف قائمة اتصالاتـه - مكالمـات فائتـة ورسـائل في البريـد الصـوتي، رسـائل محمومـة عـن ميجـان. لا يـرد عـلى أي منهـا. يجـب أن يتكلـم مـع جوليـا وميجـان أولاً. ينبغـي أن يكونـوا عـلى نفـس الخـط فيـما يقولونـه للنـاس، رغـم أنـه لا يسـتطيع أن يتخيـل مـاذا قـد يبـدو عليـه ذلـك الخـط.

يدخـل بـار (نوهـو) بعـد ناصيـة شـقة ميجـان ليقابـل ابنتـه وزوجتـه السـابقة، ويجدهـما تنتظرانــه في مقصــورة بأحــد الأركان، قريبــة مــن المطبـخ المفتـوح بمـا يكفــي للشــعور بحــرارة الموقــد وســماع قعقعـة القــدور والطاســات وطشــيش الطعــام عــلى الشــواية.

ينزلق باري إلى جوار ميجان ويلقي معطفه عبر الدكة.

تبدو منهكة، حائرة، مصدومة.

وجوليا ليست في حال أفضل كثيرا.

"كيـف حالـك يـا ميجـز؟" يسـأل، لكـن ابنتـه تـرد فقـط بالتحديـق فيـه، ووجههـا أشـبه بحائـط مصمـت.

ينظر إلى جوليا. "هل تحدثتِ إلى أنتوني؟"

"حاولت أن أتصل به لكني لم أتمكن من الوصول إليه."

"أأنت بخير؟"

تهز رأسها، وعيناها تتلألئان. "لكن الأمر اليوم لا يتعلق بي."

يطلبون طعاما وجولة من المشروبات.

تسـأل جوليـا: "مـاذا نقـول للنـاس؟ لقـد جاءتنـي أكـثر مـن دسـتة مكالمـات اليـوم."

يقـول بـاري: "نفـس الأمـر معـي. أعتقـد علينـا حاليـا أن نلتـزم بفكـرة أن هــذه متلازمــة الذاكــرة الزائفــة. عــلى الأقــل هــذا شيء قــد يكونــوا سـمعوا بـه."

تسـأل جوليـا: "ألا ينبغـي أن نخـبر النـاس بمـا حـدث معـك يـا بـاري؟ عــن هــذا الفنــدق الغريــب والكــرسي وعيشــك هــذه الســنوات الإحــدى عـشرة مـرة ثانيـة؟"

يتذكـر بـاري التحذيـر الـذي وُجـه إليـه في الليلـة التـي عـاد فيهـا إلى ذكـرى مـوت ميجـان.

لا تخبر أحدا. لا زوجتك. ولا ابنتك. لا أحد.

يقـول: "هـذه المعرفـة التـي لدينـا خطـيرة بالفعـل. علينـا أن نحتفـظ بـكل هـذا لأنفسـنا حاليـا. فقـط نحـاول أن نعيـش حيـاة عاديـة مـرة أخـرى."

"كيـف؟" تسـأل ميجـان بصـوت مهـزوم. "أنـا حتـى لا أعـرف كيـف أفكـر في حيـاتي بعـد ذلـك."

يقـول بـاري: "سـتكون الأمـور غريبـة في البدايـة، لكننـا سـنعود مـن جديـد إلى مسـارات وجودنـا الروتينيـة. إذا لم يكـن هنـاك شيء آخـر يمكنـك بـه وصـف جنسـنا، فنحـن قابلـون للتكيـف، أليـس كذلـك؟"

بالجوار، يضع نادل صينية مشروبات.

تبدأ أنف ميجان في النزف.

يشـعر بـاري بومضـة ألم خلـف عينيـه، ومـن وراء المائـدة أمامـه، تعـاني جوليـا بوضـوح مـن شيء مشـابه.

يريـن الصمـت عـلى البـار، لا أحـد يتكلـم، يجلـس الجميـع مجمديـن إلى موائدهـم.

الصوت الوحيد هو الموسيقى الآتية عبر السماعات وطنين جهاز تلفاز.

يدا ميجان ترتعشان.

وكذلك يدا جوليا.

ويداه.

في التلفاز أعلى البار، يحدق مذيع الأخبار في الكاميرا، والدم يجري سائلا على وجهه بينما يبحث عن الكلمات: **"أنا، إممم... سأكون صادقا، لا أعرف بالضبط ما حدث للتو. لكن شيئا ما حدث بوضوح."**

تتغير الصورة إلى لقطة حية تطل على الحدود الجنوبية لسنترال بارك.

هناك مبنى في الشارع التاسع والخمسين الغربي لم يكن هناك منذ لحظة واحدة.

بارتفاع يزيد عن ألفي قدم، هو ببساطة أطول شيء في المدينة، ومكون من برجين، واحد في الشارع السادس، والآخر في السابع، ويتصلان عند قمتهما ليشكلا حرف *U* ممدودا مقلوبا.

تصدر ميجان صوتا أشبه بالنشيج.

يجذب باري معطفه، وينزلق خارجا من المقصورة.

تسأله جوليا: "إلى أين أنت ذاهب؟"

"فقط تعاليا معي."

يتحركون عبر المطعم المذهول ويعودان إلى الخارج، حيث يتكومون في سيارة باري الكراون ڤيك. يطلق السارينة وينطلق بسرعة شمالا في برودواي، ثم إلى الشارع السابع. لا يتمكن باري من الوصول بهم إلا قرب الشارع الثالث والخمسين الغربي قبل أن يغدو الشارع غير قابل للاجتياز مع تكدس المرور.

في كل مكان حولهم، يخرج الناس من سياراتهم.

يتركون سيارة باري العالية ويسيرون مع الحشد.

بعد عدة مربعات من المباني، يتوقفون أخيرا في منتصف الشارع ليروه بأعينهم. هناك آلاف من أهل نيويورك حولهم، بوجوه مرفوعة في اتجاه السماء، وكثير منهم يرفعون هواتفهم ليلتقطوا صورا ومقاطع فيديو لتلك الإضافة الجديدة لخط أفق مانهاتن - البرج المتخذ شكل حرف U والقائم عند الطرف الجنوبي لسنترال بارك.

تقول ميجان: "لم يكن هذا موجودا منذ لحظة. أليس كذلك؟"

يقول باري: "لا، لم يكن. لكن في نفس الوقت..."

تقول جوليا: "كان موجودا لسنوات.."

يحدقون في أعجوبة الهندسة المسماة (بيج بيند)، ويفكر باري أنه حتى هذه اللحظة كانت متلازمة الذاكرة الزائفة تطير إلى حد كبير دون أن يكشفها الرادار - مجرد قضايا معزولة تعيث فسادا في حياة الغرباء.

لكن هذا سيؤثر على كل من في المدينة، وكثيرين حول العالم.

سيغير هذا كل شيء.

زجاج وفولاذ البرج الغربي للمبنى يمسكان بأشعة متفرقة من الشمس الغاربة، وذكريات وجود باري مع هذا المبنى في المدينة تتدفق.

"لقد صعدت إلى قمته.." تقول ميجان، والدموع تسيل على وجهها.

هذا صحيح.

"معك يا بابا. كانت أفضل وجبة في حياتي."

عندما حصلت على درجة البكالوريوس في العمل الاجتماعي، اصطحبها للعشاء في (كيرف)، المطعم الموجود في الأعلى ذو المنظر الرائع للمنتزه. ولم يكن المنظر فقط هو ما جذبهما؛ فقد كان لدى ميجان ولع طعامي بالطاهي، جوزيف هارت. يتذكر باري بوضوح ركوب مصعد كان ينتقل من صعود عمودي إلى طلوع بزاوية خمس وأربعين درجة عبر الزاوية الأولية للمنحنى إلى حركة جانبية أفقية عبر قمة البرج.

وكلما أطال في تحديقه فيه، كلما شعر أنه شيء يمثل جزءا من هذا الواقع.

واقعه.

أيا كان ما يعنيه هذا حتى بعد الآن.

"بابا؟"

"نعم؟" قلبه يدق بشدة؛ يشعر أنه ليس على ما يرام.

"هل هذه اللحظة حقيقية؟"

يخفض نظره إليها. "لا أعرف."

بعد ساعتين، يدخل باري إلى البار منخفض الإيجار قرب بيت جوين في هيلز كيتشن ويرتقي المقعد المستدير إلى جوارها.

تسأله جوين: "أأنت بخير؟"

"هل ثَمَّ من أحد بخير؟"

"حاولت أن أتصل بك هذا الصباح. صحوت بهذا التاريخ البديل لصداقتنا. تاريخ ماتت فيه ميجان في حادث سيارة صدمتها وفرت عندما كانت في الخامسة عشر. هي حية، صحيح؟"

"جئت للتو من جلسة معها."

"كيف حالها؟"

"بأمانة؟ لا أعرف. تذكرتْ موتها ليلة الأمس."

"كيف يمكن هذا؟"

ينتظر حتى تأتي مشروباتهما، وبعد ذلك يخبرها بكل شيء، بما في ذلك خبرته الاستثنائية في الكرسي.

"عدتَ داخل ذكرى؟" تهمس وهي تميل مقتربة منه.

تفوح بمزيج من ويسكي (وايلد تِركي)، وأيا كان نوع الشامبو الذي تستخدمه، والبارود. يتساءل باري إن كانت قد أتت مباشرة إلى هنا من ميدان الرماية، حيث تكون متعة للنظر. هو لم ير قط أي أحد يطلق النار مثل جوين.

"نعم، وبعد ذلك بدأت أعيشها، لكن وميجان حية هذه المرة. حتى هذه اللحظة."

تسأله: "أتعتقد أن هذا هو ما تكون متلازمة الذاكرة الزائفة بالفعل؟ تغيير الذكريات لتغيير الواقع؟"

"أنا أعلم أنها كذلك."

في التليفزيون المكتوم الصوت فوق البار، يرى باري صورة لرجل يعرفه من مكان ما. في البداية، لا يمكنه ربط التعرف بذكرى معينة.

يقرأ باري الترجمة النصية لتقرير مذيع الأخبار.

[آمور تooيلز، المعماري الشهير مصمم بيج بيند، عُثر عليه مقتولا في شقته منذ ساعة عندما...]

تسأله جوين: "هل مبنى بيج بيند هذا نتاج للكرسي؟"

"نعـم. عندمـا كنـت في ذلـك الفنـدق العجيـب، كان هنـاك ذلـك الشـخص، الجنتلـمان الأكـبر سـنا. أعتقـد أنـه كان يحتـضر. سـمعت مصادفـة هـذه المحادثـة حيـث قـال إنـه كان معماريـا، وعندمـا سـيعود إلى ذاكرتـه، سـيتابع العمـل عـلى مبنـى كان ينـدم دائمـا عـلى عـدم متابعـة العمـل عليـه. في الحقيقـة، كان مرتبـا أن يذهـب إلى الكـرسي اليـوم، وهـو الموعـد الـذي تغير فيـه الواقـع بالنسـبة لنـا جميعـا. أعتقـد أنهـم قتلـوه لمخالفتـه القواعـد."

"أي قواعد؟"

"أخـبروني أنـه مـن المفـترض بي فقـط أن أعيـش حيـاتي بشـكل أفضـل قليـلا. ممنـوع التلاعـب بالنظـام. ممنـوع التغيـيرات الهائلـة."

"هـل تعـرف لمـاذا يـترك النـاس يعيشـون حياتهـم مـن جديـد؟ ذلـك الرجـل الـذي صنـع الكـرسي؟"

يعب باري بقية بيرته. "لا فكرة لديّ."

ترتشـف جويـن كأسـها مـن الويسـكي. لقـد أُغلـق صنـدوق الموسـيقى، والآن يرفـع السـاقي صـوت التليفزيـون ويتنقـل بـين القنـوات. كانـت كل الشـبكات تبـث تغطيـات دون توقـف منـذ ظهـر المبنـى هـذا المسـاء. عـلى قنـاة سي إن إن، ثمـة "خبـيرة" في متلازمـة الذاكـرة الزائفـة جـيء بهـا مـن مـكان مـا لتلغـو حـول مـا يسـمونه "عطـل الذاكـرة" في مانهاتـن. تقـول: **"إذا كانـت الذاكـرة غـير موثـوق بهـا، إذا كان يمكـن ببسـاطة تغيـير المـاضي والحـاضر دون إنـذار، فسـتتوقف الحقائـق والوقائـع عـن الوجـود. كيـف نعيـش في عـالم كهـذا؟ لهـذا نـرى وبـاء مـن حـالات الانتحـار."**

تسأله جوين: "أتعرف أين يكون هذا الفندق؟"

"لقد مرت إحدى عشرة سنة - على الأقل في ذهني - لكن ربما يمكنني أن أجده مرة أخرى. أعرف أنه في وسط المدينة، بافتراض أنه مازال موجودا."

تقول جوين: "لم تُبنَ عقولنا كي تتعامل مع واقع يغير ذكرياتنا باستمرار ويبدل حاضرنا. ماذا لو كانت هذه هي البداية فقط؟"

يهتز هاتف باري في جيبه باعثا ذبذباته في ساقه.

"آسف لهذا."

يُخرجه ويقرأ رسالة نصية من ميجان:

بابا. لا يمكنني تحمل الأمر

أكثر من هذا.لا أعرف من أكون.

لا أعرف.

لا أعرف أي شيء غير أني لا

أنتمي إلى هنا. آسفة جدا.

أحبك دائما.

ينزلق هابطا من فوق المقعد المستدير.

تسأله جوين: "ما الخطب؟"

يبدأ الجري نحو الباب.

يظل الاتصال بميجان يقوده مباشرة إلى البريد الصوتي، وفي أعقاب ظهور مبنى بيج بيند، مازالت شوارع المدينة مسدودة.

بينما يقود باري سيارته في اتجاه نوهو، يمسك بميكروفون جهاز اللاسلكي الخاص به ويتصل بقناة نيويورك وان ليطلب أن تمر وحدة من الوحدات الموجودة في جوار شقة ميجان للتأكد أنها بخير.

"نيويورك وان، *158*، هل تتحدث عن البلاغ رقم *904B* في شارع بوند؟ لدينا العديد من الوحدات وسيارات الإطفاء هناك بالفعل وسيارات الإسعاف في الطريق."

"عم تتحدث؟ أي مبنى؟"

"*12* شارع بوند."

"هذا مبنى ابنتي."

يسود صمت في موجات الأثير.

يلقي باري بميكروفون اليد، ويشعل أضواء سيارته، ويندفع صارخا عبر الزحام المروري، شاقا طريقه متعرجا ما بين السيارات، ملتفا حول الحافلات، منطلقا عبر التقاطعات.

وعندما ينعطف في شارع بوند بعد عدة دقائق، يترك سيارته عند حاجز الشرطة ويعدو نحو سيارات الإطفاء التي تصوب تيارات الماء نحو واجهة مبنى ميجان، حيث تتراقص ألسنة اللهب خارجة من نوافذ الطابق السادس. المشهد عبارة عن فوضى خالصة - صف من مصابيح الطوارئ ورجال الشرطة يرفعون شريطا لإبقاء سكان المباني المجاورة على مسافة آمنة بينما يتدفق ساكنو مبنى ميجان خارجين من المدخل الأمامي.

يحاول شرطي أن يوقفه، لكن باري ينتزع ذراعه مبتعدا، ويرفع شارته في سرعة البرق، ويندفع نحو سيارات الإطفاء ومدخل المبنى، وحرارة ألسنة اللهب تجعل وجهه يطفح بحبات العرق.

يتمايل رجل إطفاء خارجا من المدخل، الذي انتُزع بابه من مفصلاته. يحمل رجلا متقدما في السن، وقد اسودَّ وجهاهما.

ملازم إطفائي - عملاق ملتحٍ - يخطو في مواجهة باري، سادا طريقه. "عد وراء الشريط."

"أنا شرطي، وهذا مبنى سكن ابنتي!" يشير عاليا إلى ألسنة اللهب المندلعة من نافذة الطابق العلوي في الطرف القصيّ. "تلك هي شقتها التي تندلع النيران منها!"

تتهدل ملامح الملازم. يمسك بذراع باري ويجذبه بعيدا عن طريق طابور من رجال الإطفاء يحملون خرطوما نحو أقرب صنبور حريق.

"ماذا؟" يسأل باري. "قل لي فقط."

"بدأ الحريق في تلك الشقة في المطبخ. وهو ينتشر عبر الطابقين الخامس والسادس الآن."

"أين ابنتي؟"

يلتقط الرجل نفسا، ويلقي نظرة من وراء كتفه.

"أين ابنتي اللعينة؟"

"يقول الرجل: انظر إليّ.."

"هل أخرجتها؟"

"نعم. أنا آسف جدا لإبلاغك بهذا، لكنها ماتت."

يترنح باري إلى الوراء. "كيف؟"

"كانت هناك زجاجة فودكا وبعض الأقراص على سريرها. نعتقد أنها تناولتها وبعد ذلك حاولت أن تصنع شايا، لكنها فقدت الوعي بعد قليل. شيء ما على الطاولة كان أقرب مما ينبغي من الشعلة. كان الأمر عرضيا، لكن..."

"أين هي؟"

"هيا نجلس و..."

"أين هي؟"

"على الرصيف، على الجانب الآخر من هذه الشاحنة."

يندفـع بـاري نحوهـا، لكـن فجـأة تطوقـه ذراعـا الرجـل مـن ظهـره بقـوة.

"أواثق أنك تريد أن تفعل هذا يا أخي؟"

"ابتعد!"

يطلقـه الرجـل، ويقفـز بـاري مـن فـوق الخراطيـم، متحـركا أمـام الشـاحنة، مقتربـا أكـثر مـن النـار. تنسـحب الفـوضى بالتدريـج. كل مـا يـراه هـو قدمـا ميجـان الحافيتـان تـبرزان مـن أسـفل الملاءة البيضـاء التـي تغطيهـا، والتـي تنشـع بلـلا وتـكاد تبـدو شـفافة مـن أثـر رشـاش خراطيـم الحريـق.

تخذله ساقاه.

يسقط على الرصيف وينهار بينما يسقط الماء كالمطر فوقه.

يحـاول النـاس الـكلام معـه، أن يجعلـوه يقـوم ليذهـب معهـم، أن يتحـرك، لكنـه لا يسـمعهم. يحـدق مبـاشرة مـن خلالهـم.

في اللاشيء.

مفكرا - **لقد فقدتها مرتين الآن.**

مرت ساعتان منذ موت ميجان، ومازالت ثيابه رطبة.

يصـف سـيارته في محطـة بـن ويبـدأ السـير شـمالا مـن الشـارع الرابـع والثلاثـين، تمامـا مثلـما فعـل بعـد العـودة مـن مونتـوك في قطـار منتصـف الليـل، في الليلـة التـي تعـثر فيهـا بفنـدق الذاكـرة.

تلك الليلة، كانت تمطر ثلجا.

والآن تمطـر، والأبنيـة متسربلـة بالضبـاب أعـلى طوابقهـا الخمسـين، والهـواء بـارد بمـا يكفـي لتحويـل أنفاسـه إلى سـحاب.

تربض المدينة صامتة على نحو غريب.

سيارات قليلة على الطريق.

أشخاص أقل على الأرصفة.

الدموع باردة على وجهه.

يفتـح مظلتـه بعـد ثلاثـة مربعـات سـكنية. في ذهنـه، مـرت إحـدى عـشرة سـنة منـذ الليلـة التـي دخـل فيهـا فنـدق الذاكـرة. زمنيـا، حـدث هـذا اليـوم، فقـط في ذاكـرة زائفـة.

عندمـا يصـل بـاري إلى الشـارع الخمسـين الغـربي، تمطـر بشـكل أقـسى، وتنخفـض طبقـات السـحاب. هـو واثـق أن الفنـدق كان في الشـارع الخمسـين، وهـو متأكـد أنـه توجـه شرقـا.

يظـل يقبـض لمحـات مـن قاعـدتيّ بيـج بينـد، السـاطعتين في المطـر. أمـا قوسـه العلـوي فمختبـأ في الغيـوم بارتفـاع حـوالي ألفـيّ قـدم.

يحـاول ألا يفكـر في ميجـان في هـذه اللحظـة، لأنـه عندمـا يفكـر فيهـا، يتداعـى تمامـا مـرة أخـرى، وهـو بحاجـة لأن يكـون قويـا، بحاجـة إلى عقلـه واعيا.

بردانـا ومتعبـا للغايـة يبـدأ في التسـاؤل إن كان ربمـا قـد سـار غربـا تلـك الليلـة، بـدلا مـن السـير شرقـا، عندمـا تجـذب انتباهـه عـلى البُعـد لافتـة بضـوء النيـون الأحمـر.

مطعم ماكلاشلان

إفطار

غداء

عشاء

مفتوح سبعة أيام

24 ساعة

يتحرك باري نحو اللافتة حتى يقف تحتها، مراقبا المطر وهو يسقط عبر الإضاءة الحمراء.

يسرع من خطاه.

يمر إلى جوار محل البقالة اللاتيني الصغير، الذي يتذكره، وبعد ذلك متجر الخمور، ومحل ملابس السيدات، والبنك - كلها مغلقة - حتى، قرب نهاية كتلة المباني، يتوقف عند المدخل المؤدي إلى ممر السيارات المظلم، الذي ينحدر هابطا داخل مساحة تحت الأرض أسفل مبنى على الطراز القوطي الحديث، محشور بين ناطحتي سحاب اعلى.

لو سار هابطا ذلك الممر، سيصل إلى باب جراج مصنوع من الفولاذ المقوى.

هكذا دخل فندق الذاكرة منذ كل تلك الأعوام.

هو واثق تماما من هذا.

ثمة جزء منه يريد أن يعدو هابطا هناك، ويندفع مقتحما المكان، ويطلق النار على كل شخص لعين يراه داخل ذلك الفندق، نهايةً بالرجل الذي وضعه في الكرسي. لقد تحطم دماغ ميجان بسببه. هي ميتة بسببه. يجب أن ينتهي فندق الذاكرة.

لكن هذا في الأغلب لن يؤدي إلا إلى قتله.

لا، سيتصل بجوين بدلا من ذلك، ويعرض عليها القيام باقتحام دون ترخيص، عملية لا تلفت الانتباه مع حفنة من الزملاء في قوات التدخل السريع. وإذا أصرت، سيأخذ شهادة إلى أحد القضاة. سيقطعون

الكهرباء عن المبنى، ويدخلون بمعدات الرؤية الليلية، ويقومون بمسح المبنى طابقا طابقا.

من الواضح أن بعض العقول، مثل ميجان، لا تستطيع التعامل مع تغير واقعهم، والدمار الجانبي مأساوي أيضا - بالإضافة إلى ابنته، مات ثلاثة أشخاص في مبناها من الحريق، ومن خلال اللاسلكي في أثناء قيادته إلى محطة بن، سمع مزيدا من التقارير عن أشخاص - أفقدهم ظهور بيج بيند توازنهم - يعيثون فسادا في المدينة.

عقول سليمة تختل، وعقول مختلة يجري الدفع بها إلى الحافة.

يُخرج هاتفه، ويفتح قائمة الاتصالات، ويتصفحها هابطا إلى حرف ج.

وبينما يحوم إصبعه فوق اسم **جوين**، يهتف شخص ما باسمه.

يلقي نظرة عبر الشارع، ويرى شخصا يعدو تجاهه.

يصرخ صوت امرأة: "لا تُجر هذا الاتصال!"

يمد بالفعل يده داخل سترته، ويفك بإبهامه زر جراب المسدس المعلق إلى كتفه، ويضع قبضة قوية على مسدسه الجلوك الصغير، مفكرا أنها ربما تعمل لصالح من صنع الكرسي أيا كان، وهو ما يعني - **اللعنة!** - أنهم يعرفون أنه يستطلع المبنى.

"باري، لا تطلق النار من فضلك."

تبطئ حركتها وتسير، رافعة يديها.

مفتوحتان، خاليتان.

تقترب بحذر، طولها تقريبا خمسة أقدام، ترتدي حذاء طويلا وسترة جلدية سوداء مرصعة بحبات المطر. كومة من الشعر الأحمر تصل إلى ذقنها، لكنها مبتلة. كانت تنتظره في المطر. الشيء الذي

يجـرده مــن ســلاحه هــو الطيبــة في عينيهــا الخضراوتــين، وشيء آخــر، يفاجئــه - بشــكل غريــب - ألا وهــو الألفــة.

تقـول: "أعلـم أنـك أُعـدت إلى أسـوأ ذكـرى في حياتـك. الرجـل الـذي فعل هـذا هـو ماركـوس سـليد. يملـك هـذا المبنـى. وأعلـم ما حـدث للتـوّ لميجان. أنـا آسـفة جـدا يـا بـاري. أعلـم أنـك تريـد أن تفعـل شـيئا حيـال هـذا."

"تعملين لصالحهم؟"

"لا."

"هل أنت قارئة أفكار؟"

"لا."

"إذًا كيف أمكنك أن تعرفي ما حدث لي؟"

"أنت أخبرتني."

"لم أرك من قبل في حياتي."

"أخبرتني في المستقبل، بعد أربعة شهور من الآن."

يخفـض المسـدس، وعقلـه يتلـوى مبرومـا في عقـد. "هـل اسـتخدمتِ ذلـك الكـرسي؟"

تتطلـع إلى عينيـه بحـدة تبعـث كهربـاء بـاردة أسـفل عمـوده الفقـري. "أنـا اخترعـت الكـرسي."

"من تكونين؟"

"هيلينـا سـميث، وإذا ذهبـت إلى مبنـى سـليد مـع جويـن، سـيؤدي هـذا إلى نهايـة كل شيء."

السِفر الثالث

الزمن هو ما يمنع كل شيء من الحدوث مرة واحدة.

راي كامينجز

مكتبة
t.me/t_pdf

باري

6 نوفمبر 2018

تأخذ المرأة ذات الشعر الناري بذراع باري وتجذبه ليسيرا على الرصيف، بعيدا عن مدخل الجراج تحت الأرض.

تقول: "لسنا بأمان هنا. دعنا نسِر إلى سيارتك. محطة بن، صحيح؟"

ينتزع باري ذراعه بعيدا عنها ويبدأ في التحرك في الاتجاه المعاكس.

تصيح به: "الوقوف على ممر السيارات في بيتكم في بورتلاند، مراقبا كسوفا كليا للشمس مع أبيك. قضاء الأصياف مع جديك في بيتهم الريفي في نيوهامبشِر. كنت تجلس في بستان التفاح وتحكي لنفسك قصصا خيالية."

يتوقف ويعود بناظريه إليها.

تستمر: "رغم أنك كنت في حالة بؤس شديد عندما ماتت أمك، إلا أنك كنت أيضا ممتنا؛ لأنك عرفت متى سيحين وقتها، وكانت لديك فرصة مناسبة لتوديعها. للتأكد من أنها عرفت أنك تحبها. لم تملك هذا مع والدك، الذي مات فجأة عندما كنت في الخامسة عشر. مازلت تصحو في منتصف الليل أحيانا، متسائلا إن كان قد عرف."

تعتريه الرعشة قبل أن يصلا إلى سيارته الكراون ڤيك. تركع هيلينا على ركبتيها فوق الرصيف المبتل وتمر بيديها عبر محمل عجلات السيارة.

يسألها باري: "ماذا تفعلين؟"

"أتأكد من عدم وجود أي جهاز تتبع في سيارتك."

يدخلان السيارة هاربين من المطر، يدير المدفأة وينتظر أن يدفئ المحرك الهواء المتجمد الذي يهب عبر فتحات التهوية.

في المسيرة التي استغرقت أربعين دقيقة من الشارع الخمسين، حكت له قصة مجنونة ليس واثقا تماما من تصديقه لها، عن كيف صنعت الكرسي بالصدفة على منصة نفط خارج الخدمة في خط زمني سابق.

"لديّ ما هو أكثر بكثير كي أحكيه لك.." تقول هيلينا وهي تربط حزام مقعدها.

"يمكننا الذهاب إلى شقتي."

"ليست آمنة هناك. ماركوس سليد يعرفك، ويعرف أين تعيش. وإذا أدرك، في أي لحظة في المستقبل، أننا نعمل معا؛ سيستخدمك من أجل الوصول إليّ. يمكنه استخدام كرسيه للعودة إلى هذه الليلة والعثور علينا في هذه اللحظة. عليك أن تتوقف عن التفكير بطريقة خطية. ليس لديك فكرة عما هو قادر عليه."

تتدفق أنوار نفق (باتري) عابرة فوق رأسيهما، بينما هيلينا تشرح كيف هربت من منصة نفط سليد إلى ذكراها الخاصة، وفرت إلى كندا.

"كنت مستعدة لعيش بقية حياتي مختبئة. أو لقتل نفسي لو حدث وعثر سليد عليّ. كنت وحيدة تماما - ماتت أمي عام 2011، وأبي بعدها بوقت قليل. لكن في عام 2016، بدأت تظهر على السطح أول التقارير عن مرض جديد غامض."

"متلازمة الذاكرة الزائفة."

"لم تدخل متلازمة الذاكرة الزائفة في الوعي العام الكامل حتى وقت قريب، لكني عرفت على الفور أن وراءها سليد. في أول عامين لاختفائي، لم تكن لديه أي ذكرى عن وقتنا معا على المنصة. في ذهنه، كنت قد اختفيت بعد أن جاءني جي-وون بعرض الوظيفة. لكن عندما عدنا إلى عام 2009، خاصة الليلة التي هربت فيها باستخدام الكرسي، اكتسب سليد كل ذكريات وقتنا معا. كانت ذكريات ميتة بالطبع، لكنها - وهنا أخطأت في حساباتي - كانت تضم ما يكفي من المعلومات بالنسبة له كي يصنع الكرسي في النهاية وكل مكوناته بنفسه.

أتيت إلى نيويورك، التي بدت قاعدة تفشي متلازمة الذاكرة الزائفة، متصورة أن سليد قد بنى مختبره الجديد في المدينة وكان يختبر الكرسي على الناس. لكني لم أستطع العثور عليه. وصلنا تقريبا."

في أعماق حي ريد هوك، يقود باري ببطء مارا بصف من المستودعات بمحاذاة المياه. تشير هيلينا إلى بنايتها، لكنها تجعل باري يصف سيارته على مبعدة خمس بلوكات في زقاق مظلم، يتوارى في الظل بين مكبّي نفايات طافحين.

كان المطر قد توقف.

في الخارج، ثمة هدوء مثير للأعصاب، والهواء يفوح برائحة القمامة المبتلة وبرك مياه المطر الراكدة. تظل عين عقله تستحضر اللمحة الأخيرة من ميجان - راقدة على الرصيف القذر أمام بنايتها، وقدماها الحافيتان بارزتان من تحت الملاءة المبتلة.

يبتلع باري حزنه، ويفتح صندوق السيارة، ويُخرج بندقيته الآلية وصندوقا من القذائف.

يسيران على أرصفة مكسورة مسافة ربع ميل، وباري متأهب للمركبات أو الخطى المقتربة، لكن الضجة الوحيدة تأتي من أزيز بعيد لطائرات الهليكوبتر التي تدور حول المدينة والأبواق ذات الصوت العميق لمراكب الشحن في النهر الشرقي.

تقوده هيلينا إلى باب معدني عسير على الوصف في جانب بناية مواجهة للمياه مازالت تحمل لافتات مصنع البيرة الخاص بشاغلها السابق.

تضغط شفرة الباب، ويدخلان، وتضيء المصابيح. يفوح المستودع برائحة قشور الحبوب المستهلكة في عملية صنع البيرة، ويملأ صدى وقع أقدامهما المكان ككاتدرائية مهجورة. يمران بصفوف من خزانات التخمير المصنوعة من الفولاذ المقاوم للصدأ، وبرميل هرس صدئ، وأخيرا بقايا خط التعبئة في زجاجات.

يصعدان أربعة طوابق من السلالم إلى دور علوي متسع به نوافذ من الأرض إلى السقف تطل على النهر، وجزيرة جوفرنرز، والطرف الشمالي المتلألئ لمانهاتن.

الأرضية مليئة بمسارات الكابلات ومتاهة من ألواح الدوائر الكهربائية المفكوكة. ثمة رف من الخوادم الحاسوبية المصنوعة خصيصا تطن بطول حائط من الطوب القديم، وما يبدو على هيئة كرسي في طور الإنشاء - إطار من الخشب الخام مع حزم من الأسلاك

المكشوفة تمتد فوق الذراعين والأرجل. وشيء يشبه على نحو غامض خوذة مثبتة بإحكام إلى طاولة عمل ومحاطة بفوضى من الدوائر الكهربية غير المكتملة.

يسألها باري: "أنت تصنعين كرسيك الخاص؟"

"أستعين بمصادر خارجية في البرمجة والأعمال الهندسية، لكني صنعته مرتين بالفعل، لذلك لديّ بعض الطرق المختصرة في جعبتي والكثير من استثماراتي. لقد أدت التطورات في المعالجة الحاسوبية إلى تقليل النفقات كثيرا منذ زمني على المنصة. هل أنت جائع؟"

"لا."

"حسنٌ، أنا أتضور جوعا."

وراء حائط الخوادم الحاسوبية، ثمة مطبخ متواضع، وأمامه تسريحة وسرير موضوعان بمحاذاة النوافذ. مع هذا الغياب لأي فاصل حقيقي بين مكان العمل ومكان العيش، يبدو الطابق العلوي بالضبط كما هو - مختبر عالمة بائسة، ولعلها مجنونة.

يغسل باري وجهه في حوض الحمَّام، ويجد هيلينا عند الموقد، تعتني بمقلاتين.

يقول: "أنا أحب ويڤوس رانتشيروس."

"أعرف. وأنت **بالفعل** تحب طريقة طهيي له، حسنا، تقنيا هي وصفة أمي. اجلس."

يتخذ مجلسه إلى مائدة صغيرة من الفورمايكا، وتُحضر هي طبقا.

باري ليس جائعا، لكنه يعرف أنه ينبغي أن يأكل. يقطع واحدة من البيضات الخفيفة النضج، ويسيل الصفار على الفول والصلصة الخضراء. يأخذ قضمة كبيرة. كانت على حق - إنها أفضل ما أكله من هذه الوجبة.

تقول هيلينا: "والآن عليّ أن أخبرك بأشياء لم تحدث بعد."

يحدق باري فيها من خلف المائدة، مفكرا أن هناك سمتا مهووسا في عينيها، اللتين تبدوان غير مستقرتين.

تقول: "بعد ظهور مبنى البيج بيند، سيصل جنون متلازمة الذاكرة الزائفة إلى درجة الحمى. وبشكل صادم، ستظل تُرى كوباء غامض دون مسببات محددة، رغم أن حفنة من علماء الفيزياء النظرية سيبدؤون في إطلاق أفكار حول ثقوب دودية مصغرة وإمكانية أن يمر شخص ما بتجربة الزمكان.

بعد غد، ستأخذ فريقا من قوات التدخل السريع لتقتحموا فندق سليد. سيموت هو وأغلب فريقه في الهجوم. ستذكر الصحف أن سليد كان ينشر فيروسا عصبيا يهاجم مناطق من المخ تخزن الذاكرة. ستنشغل دورة الأخبار بهذا لفترة، لكن خلال شهر ستخبو الهستيريا الجماهيرية. سيبدو وكأن اللغز قد تم حله، وجرت استعادة النظام، ولن تكون هناك حالات جديدة لمتلازمة الذاكرة الزائفة."

وبينما تزدرد هيلينا لقيمات قليلة، تشرق على ذهن باري فكرة أنه يجلس إلى مائدة في مواجهة امرأة تخبره بالمستقبل. لكن حتى هذا ليس بالجزء الأغرب. الجزء الأغرب هو أنه يبدأ في تصديقها.

تضع هيلينا شوكتها جانبا.

تقول: "لكني أعرف أن الأمر لم ينته. أتخيل الأسوأ - أنه بعد هجومك مع قوات التدخل السريع، سقط الكرسي في يديّ شخص آخر. لذلك بعد شهر من الآن، سآتي وأجدك. وسأثبت صدق نواياي بإخبارك بما وجدته في مختبر سليد بالضبط."

"وهل سأصدقك؟"

"في النهاية. تخبرني أنه خلال الهجوم، وقبل أن يُقتل سليد، حاول أن يدمر الكرسي والمعالجين، لكن جرى إنقاذ بعض ذلك. عملاء حكوميون - لا تعرف لمن كانوا يعملون - جاؤوا وأخذوا كل شيء. ليست لديّ طريقة للمعرفة، لكني أظن أنهم لا يعرفون ما هو الكرسي، أو كيف يعمل. أغلبه محطم، لكنهم يعملون نهارا وليلا ليعيدوا هندسة كل شيء. هل يمكنك تخيل الأمر لو نجحوا؟"

يتجه باري إلى الثلاجة، وفي يده رعشة بينما يجذب الباب ليفتحه ويُخرج زجاجتين باردتين طويلتيّ العنق.

يعود لمجلسه. "إذًا قيامي بالهجوم على مختبر سليد سيؤدي إلى هذا."

"نعم. لقد عاينتَ هذا الكرسي. وتعرف قوته. مما يمكنني قوله، سليد يستخدمه فقط ليعيد قلة منتقاة إلى ذكرياتهم. من يعرف لِمَ؟ لكن انظر إلى الخوف والذعر اللذين يسببهما. لن يستغرق الأمر كثيرا من العبث بالواقع حتى تخرج البشرية عن مسارها تماما. علينا أن نوقفه."

"بكرسيكِ؟"

"لن يكون جاهزا للعمل قبل أربعة أشهر أخرى. كلما طال انتظارنا، كلما زادت فرصة أن يجد شخص ما مختبر سليد قبل أن نصل إليه. لقد وضعته بالفعل على رادار جوين. وبمجرد أن يعرف الناس بوجود الكرسي، ستعود ذكرياتهم عنه دائما، ولا يهم عدد المرات التي سيتغير فيها الخط الزمني. بنفس الطريقة التي تذكرت بها جوليا وميجان موت ميجان في حادث اصطدام وفرار ليلة الأمس."

"لم تأت ذكرياتهما إلا عندما وصلنا إلى اللحظة التي كنت قد استخدمت فيها الكرسي في الخط الزمني السابق. هل يسير الأمر دائما على هذا النحو؟"

"نعـم، لأنهـا كانـت اللحظـة التـي اندمـج فيهـا وعيهـما وذكرياتهـما مـن الخـط الزمنـي الأسـبق في هـذا الخـط. أسـميها الذكـرى السـنوية للخـط الزمنـي."

"إذًا ماذا تقترحين أن نفعل؟"

"أنـا وأنـت نسـيطر عـلى مختبر سـليد غـدا. ندمـر الكـرسي، والبرمجيات، وكل البنيـة التحتيـة، وكل أثـر لوجـوده. لـديّ فـيروس جاهـز لتحميلـه عـلى شـبكته القائمـة بذاتهـا بمجـرد دخولنـا. سـيقوم هـذا الفـيروس بإعـادة صياغـة كل شيء."

يشرب باري بيرته، وثمَّ انقباض متزايد في معدته.

"هل وافق أناي المستقبلي على هذه الخطة؟"

تبتسم هيلينا: "في الحقيقة، صغناها معا."

"هل اعتقدتُ أني وأنت لدينا فرصة؟"

"بأمانة؟ لا."

"ماذا تعتقدين؟"

تميـل هيلينـا إلى الـوراء في مقعدهـا. تبـدو مرهقـة حتـى عظامهـا. "أعتقـد أننـا أفضـل فرصـة يمتلكهـا العـالم."

يقـف بـاري عنـد حائـط النوافـذ قـرب سريـر هيلينـا، ناظـرا عـبر النهـر الأسـود بلـون الحـبر إلى المدينـة. يتمنـى أن تكـون جوليـا بخـير، لكنـه يشـك في هـذا. عندمـا اتصـل بهـا، انهـارت باكيـة في الهاتـف، وأغلقـت الخـط، ورفضـت أن تسـتقبل مكالماتـه. هـو يظـن أن جـزءا منهـا يلقـي باللـوم عليـه.

يهيمن مبنى بيج بيند الآن على خط الأفق، ويتساءل باري إن كان سيعتاد عليه أبدا، أم أنه سيظل دائما - له وللآخرين - يمثل الجانب الذي لا يُعتمد عليه من الواقع.

تأتي هيلينا إلى جواره.

تسأله: "أأنت بخير؟"

"أرى باستمرار ميجان ميتة على الرصيف. كان بمقدوري تقريبا أن أرى وجهها عبر الملاءة المبتلة التي غطوها بها. العودة وعيش تلك الإحدى عشرة سنة مرة أخرى - في النهاية لم تُصلح شيئا بالنسبة لأسرتي."

"أنا آسفة جدا يا باري."

ينظر إليها.

يشهق ويزفر.

يسألها: "هل سبق لك أن تعاملتِ مع مسدس؟"

"نعم."

"مؤخرا؟"

"أنت المستقبلي عرفتَ أننا سنكون فقط من نهجم على بناية سليد، لذا بدأت تأخذني إلى حلبة إطلاق النيران."

"أمتأكدة من أنك مستعدة لهذا؟"

"صنعتُ الكرسي لأن أمي أصيبت بالألزهايمر. أردت أن أساعدها وأساعد الآخرين مثلها. ظننت أننا إذا استطعنا تصور كيفية القبض على الذكريات، فسيقودنا هذا إلى فهم الطريقة التي نمنعها من أن تنمحي كليةً. لم أقصد بالكرسي أن يصبح ما أصبح عليه. هو لم يدمر

حياتي فقط، بل إنه الآن يدمر حيوات الآخرين. فقد أناس أحباءهم. مُحيت أعمار كاملة لهم. مُحي **أطفال**."

"لم تقصدي أن يحدث أي من هذا."

"ومع ذلك ها نحن ذا، وكان طموحي هو ما وضع هذا الجهاز في يديّ سليد، وآخرين فيما بعد." تنظر إلى باري. "أنت هنا بسببي. العالم يفقد عقله الجمعي بسببي. هناك مبنى لعين في الخارج لم يكن هناك بالأمس بسببي. لذلك لا أبالي فعلا بما يحدث لي غدا طالما سندمر كل أثر لوجود الكرسي. أنا مستعدة للموت إذا كان هذا ما يتطلبه الأمر."

لم ير الأمر حتى هذه اللحظة - الثقل الذي تحمله. كراهية الذات والندم. كيف ينبغي أن يشعر المرء نتيجة خلقه لشيء يمكنه تدمير بنية الذاكرة والزمن؟ ماذا ينبغي أن يكلفها من ثمن كي تتحمل ثقل كل هذا الشعور بالذنب والرعب والذعر والقلق؟

يقول باري: "مهما كان، استطعت أن أرى ابنتي تشب بسببك."

"لا أقصد أن يبدو هذا بالطريقة التي سيبدو بها، لكن لم يكن ينبغي لك. إذا لم يكن بمقدورنا الاعتماد على الذاكرة، سيتحلل جنسنا. وهو ما يحدث بالفعل."

تحدق هيلينا في المدينة عبر المياه، ويظن باري أن هناك شيئا غامرا في هشاشتها تلك اللحظة.

تقول: "ربما ينبغي أن نحظى ببعض النوم. يمكنك الحصول على فراشي."

"لن آخذ سريرك منك."

"أنام على الأريكة معظم الليالي على أي حال، حتى أتمكن من النوم على صوت التلفاز."

تستدير لتذهب.

"هيلينا."

"ماذا؟"

"أعـرف أني لا أعرفـك فعـلا، لكنـي متأكـد أن حياتـك أكـبر مـن هـذا الكـرسي."

"لا. هــو يحــددني. قضيــت الجــزء الأول مــن حيــاتي أحــاول صنعــه. وســأقضي بقيتهــا أيــا كانــت محاولــة أن أدمــره."

هيلينا

7 نوفمبر 2018

تتمـدد مواجهـة التلفـاز، ضـوء الشاشـة يـرف عـلى جفنيهـا المغلقـين والصـوت مرتفـع فقـط بمـا يكفـي لشـغل ذهنهـا الـذي لا يهـدأ قـط. يسـحبها شيء مـا إلى وعـي كامـل ومفاجـئ. تنتفـض جالسـة عـلى الأريكـة. إنـه بـاري فقـط، يبـكي بصـوت خفيـض في الجانـب الآخـر مـن الحجـرة. تتمنـى أن تصعـد إلى السريـر وتهدئـه، لكـن هـذا سـيكون أسرع مـن الـلازم - هـما غريبـان بالأسـاس. ربمـا يحتـاج إلى التحـسر وحيـدا الآن عـلى أي حـال.

تسـتقر عائـدة عـلى الوسـائد مـن جديـد، ونوابـض الأريكـة تَـصرُّ بينـما تسـحب البطانيـات إلى عنقهـا. لا يغيـب عنهـا كـم يبـدو غريبـا أن تتذكـر المسـتقبل. إن ذكـرى وداعهـا هـي وبـاري في هـذه الحجـرة نفسـها، بعـد أربعـة شـهور مـن الآن، مازالـت تنبـض بالوجـع. كانـت تطفـو في حـوض

العزل، ومال باري منحنيا وقبّلها. كانت هناك دموع في عينيه بينما كان يغلق الغطاء. وفي عينيها أيضا. بدا مستقبلهما مليئا للغاية بالوعود، وكانت هي تقتله.

باري الذي تركته خلفها يعرف بالفعل إن كانت قد نجحت. كان سيعرف في اللحظة التي ماتت فيها في الحوض، حيث سيتبدل واقعه على الفور ليتماشى مع هذا الواقع الجديد الذي تخلقه.

تقاوم الرغبة في إيقاظ باري الحاضر وإخباره. فلن يجعل هذا من اقتحام مختبر سليد غدا إلا أمرا أكثر صعوبة، بضخه ألما عاطفيا في الأشياء. وماذا ستقول؟ كانت هناك شرارات؟ كيمياء؟ الأفضل هو الالتزام بالخطة. كل ما يهم هو أن يمضي الغد على خير وجه. هي لا تستطيع منع الدمار الذي جلبه عقلها على العالم، لكن ربما يمكنها أن تغلق الجرح، وتوقف النزيف.

كانت لديها ذات مرة مثل هذه الأحلام الهائلة - محو تأثيرات مرض يخرب الذاكرة. والآن، مع رحيل أمها وأبيها ودون أصدقاء حقيقيين تتكلم معهم باستثناء رجل موجود على مبعدة أربعة شهور من المستقبل بعيد المنال، أعيد ضبط أحلامها من تغيير العالم إلى أحلام شخصية على نحو يائس.

تود ببساطة أن تكون قادرة على الرقاد ليلا، في سلام، ببال هادئ.

تحاول أن تنام، عارفة أنها تحتاج إلى هذا الليلة ربما أكثر من أي ليلة أخرى في حياتها.

لذا بالطبع يراوغها النوم.

في المساء ينسلان خارجين من الباب الخلفي لبنايتها، منتظرين لحظة كي يتفحصا الشوارع القريبة قبل المغامرة بالخروج إلى العراء.

الحي في أغلبه عبارة عن مبانٍ صناعية مهجورة، وهناك حركة مرورية أقل من أن نتحدث عنها، ولا شيء يبدو مثيرا للشك.

وبينما يسلك باري بهما طريقا عبر بروكلين هايتس، يرمقها عبر وحدة التحكم بينهما. "عندما كنت ترينني الكرسي ليلة الأمس، ذكرتِ أنك قد صنعتيه مرتين من قبل. متى كانت المرة الأولى؟"

تأخذ رشفة من القهوة التي أحضرتها معها - تعويذتها ضد الليلة السابقة من السهد البائس.

"في الخط الزمني الأصلي، كنت رئيسة لمجموعة بحث وتطوير لصالح شركة اسمها إيون مقرها في سان فرانسيسكو. لم يكونوا مهتمين بالتطبيقات الطبية لكرسيّ. لم يروا إلا القيمة الترفيهية وعلامات الدولار التي جاءت معها.

كنت أستهلك طاقتي، أحرق وقتي، دون أن أصل إلي أي غاية. كانت إيون على وشك أن تقطع التمويل عن بحثي عندما أصيب موضوع اختبار بنوبة قلبية ومات داخل حوض العزل. مررنا جميعا بتحول طفيف للواقع، لكن لم يفهم أحد ما حدث. لا أحد باستثناء مساعدي، ماركوس سليد. كان عليّ أن أسلم الأمر إليه - وأدرك هو ما قد خلقته حتى قبل أن أدركه أنا."

"وماذا حدث؟"

"بعد بضعة أيام، طلب أن يقابلني في المختبر. وقال إن الأمر طارئ. وعندما ظهرت، كان معه مسدس. أجبرني على الدخول إلى النظام وتحميل برنامج إعادة تنشيط ذكرى كنا قد رسمنا خريطتها له. وعندما فعلت ذلك، قتلني."

"متى كان هذا؟"

"منذ يومين. 5 نوفمبر 2018، بالطبع، حدث هذا منذ عدة خطوط زمنية."

يأخذ باري طريق الخروج متجها إلى جسر بروكلين.

يقول: "لا أقصد أن أشكك فيما فعلتيه سابقا، لكن ألم يكن باستطاعتك أن تعودي إلى ذكرى مختلفة؟"

"كأن أحول دون ولادتي حتى لا يُصنع الكرسي أبدا؟"

"هذا ليس ما قصدته."

"أنا لا أستطيع العودة والحيلولة دون ولادتي. يمكن هذا لشخص آخر، وعندئذ أغدو ذكرى ميتة. لكن عندما يتعلق الأمر بالكرسي لا توجد هناك أي مفارقة أصلية أو مفارقة زمنية. كل شيء يحدث، حتى لو جرى تغييره أو التراجع عنه، يستمر في العيش في الذكريات الميتة. السبب والنتيجة مازالا حيين وبخير."

"طيب، إذًا ماذا عن العودة إلى ذكرى ما على منصة النفط؟ كان بمقدورك أن تدفعي سليد من فوق المنصة أو شيء كهذا."

"كل شيء حدث على المنصة موجود في الذكريات الميتة. لا يمكنك العودة إليها. لقد حاولنا - مع نتائج كارثية. لكن نعم. كان ينبغي أن أقتله عندما كانت لديّ الفرصة."

هما الآن في منتصف الطريق عبر النهر، تندفع العوارض المعلقة مارة فوق رأسيهما. ربما يكون هذا من أثر القهوة، وربما نتيجة اقترابهما من المدينة، لكنها فجأة في كامل صحوها.

يسألها باري: "ما هي الذكريات الميتة؟"

"إنها ما يظنه الجميع ذكريات زائفة. فيما عدا أنها غير زائفة. هي فقط حدثت في خط زمني أنهاه شخص ما. مثلاً، الخط الزمني

الذي صدمت فيه سيارة ابنتك هو الآن ذكرى ميتة. أنت أنهيت هذا الخط الزمني وبدأت هذا الخط عندما قتلك سليد في حجرة العزل."

يدخلان وسط المدينة، ويتوجهان شمالا في الجادة الثالثة، وبعد ذلك ينعطفان يسارا إلى الشارع التاسع والأربعين الشرقي قبل أن يتوقفا في النهاية إلى جانب الرصيف فقط على مسافة صغيرة مما قد يكون مدخلا إلى بناية سليد - بهو بواجهة كاذبة مع صف من المصاعد التي لا تؤدي إلى أي مكان. الطريق الوحيد الحقيقي هو عبر الجراج المنشأ تحت الأرض في الشارع الخمسين.

ينهمر المطر بغزارة عندما يترجلان من السيارة. يُخرج باري حقيبة سوداء من القماش الخشن من صندوق السيارة، وتتبعه هيلينا صاعدين الرصيف ومتجهين بعد خطوات قليلة إلى مدخل بار كانا فيه مرة من قبل، بعد أربعة شهور من الآن، عندما جاءا ليستطلعا مدخل النفق المؤدي إلى بناية سليد ويناقشا خططهما من أجل هذه اللحظة بالضبط.

بار (دبلومات) زنخ الرائحة ممتلئ على نحو مدهش، وكل جزء منه بلا روح كما تتذكره بالضبط. تجذب شارة باري انتباه النادل الضئيل الحجم. إنه نفس الشخص الذي قابلته هي وباري بعد أربعة شهور من الآن في مستقبل ميت - أحمق لديه عقدة نابليون، لكنه شخص يحمل على نحو مفيد خوفا صحيا من رجال الشرطة. تقف إلى جوار باري وهو يقدم نفسه، وبعد ذلك هيلينا باعتبارها زميلته، موضحا أنهما بحاجة إلى الدخول إلى القبو لأنه جرى الإبلاغ عن اعتداء جنسي حدث هناك ليلة الأمس.

لمدة خمس ثوان، تعتقد هيلينا أن هذا لن ينجح. يحدق النادل فيها وكأنه لم يبتلع تماما وجودها في هذا الموقف بأكمله. يمكنه أن

يطلب أمر تفتيش. يمكنه أن يحمي مؤخرته وينادي صاحب المكان. لكنه بدلا من ذلك، ينادي على واحدة اسمها كارلا.

تضع واحدة من الساقيات صينية بلاستيكية مليئة بأكواب الجين الفارغة على البار وتأتي على مهلها.

يقول النادل: "هذان شرطيان. هما في حاجة إلى رؤية القبو."

تهز كارلا كتفيها، ثم تستدير دون كلمة وتتوجه بطول البار إلى داخل حجرة تخزين باردة. تقودهما عبر متاهة من البراميل الفضية الصغيرة إلى باب ضيق في أبعد ركن من الحجرة المبردة.

بعد أن تنتزع مفتاحا من مسمار في الحائط، تفتح القفل المثبت على الباب. "كلمة تحذير - ليست هناك مصابيح في الأسفل."

يفتح باري سوستة الحقيبة، ويُخرج مصباحا يدويا.

تقول: "أتى الرجل مستعدا. طيب، إذًا، سأترككما لعملكما."

ينتظر باري حتى ترحل ليفتح باب القبو.

يكشف شعاع المصباح اليدوي سلما خانقا مشكوكا في سلامته، يهبط إلى جوف الظلام. الرطوبة العتيقة المنتشرة كاسحة - رائحة مكان منسيّ منذ زمن طويل. تأخذ هيلينا نفسا عميقا لتهدئ من جنون نبضها المتسارع.

يسألها باري: "أهذا هو؟"

"هو هذا."

تتبعه هابطين الدرجات التي تئن تحت وطأتيهما، والتي تفضي إلى قبو يضم صفوفا من الرفوف المتداعية وبرميل نفط صدئا مليئا بالزبالة المحروقة.

في الطرف الآخر من الحجرة، يجذب باري بابا آخر ليفتحه بصرير محطم للأعصاب. يعبران العتبة إلى داخل ممر مقوس بحوائط من الطوب المتفتت.

الجو أبرد هنا أسفل شوارع المدينة، الهواء شديد الرطوبة وممتلئ برائحة العفن الفطري ويضج بصوت تقاطر الماء الجاري والخربشات البعيدة غير المرئية لما تخشاه هيلينا: الفئران.

تقود هيلينا المسيرة.

وقع أقدامهما يثير طرطشات لها صدى.

كل خمسين قدما، يمران بأبواب متفسخة تؤدي إلى أحشاء بنايات أخرى.

عند التقاطع الثاني، تنعطف في ممر جديد، وبعد مائة قدم أو نحو ذلك، تتوقف وتُري باري بابا مثل بقية الأبواب. يتطلب الأمر قدرا معقولا من الضغط حتى يتمكن من إدارة المقبض، وعندما يستجيب، يدفع الباب بكتفه، لينفتح بصرير عال.

يخرجان من النفق إلى قبو آخر، حيث يلقي باري بالحقيبة القماشية على الأرضية الحجرية ويفتحها. يُخرج منها عتلة، وحزمة من رابطات الأسلاك، وعلبة من القذائف عيار 12، وبندقية آلية، وأربع خزائن احتياطية لمسدسه الجلوك.

يقول: "احملي أكبر عدد من الخراطيش الزائدة يمكنك حمله."

تمزق هيلينا غطاء العلبة وتبدأ في حشو الجيوب الداخلية لسترتها الجلدية بالقذائف. ويتأكد باري من حشو مسدسه الجلوك، ويخلع معطف المطر الذي يرتديه، ويحشو جيوبه بالخزائن الاحتياطية. ثم يرفع العتلة ويجتاز الحجرة نحو الباب الأحدث. هو موصد

من الناحية الأخرى. يضع طرف العتلة عميقا داخل عضادة الباب ويجذب الذراع إلى الخلف بأقوى ما يمكنه.

في البداية، لا شيء هناك إلا صوته وهو يعتل. ثم يأتي صوت التشقق العميق للخشب وصرير المعدن وهو يسقط. وعندما ينشق الباب، يمد باري يده عبر الفتحة وينتزع قفلا مكسورا صدئا. وبعد ذلك يفتح بحرص الباب بما يكفي من اتساع لهما كي يعبرا منضغطين.

يدخلان حجرة المرجل القديمة في الفندق، والتي يبدو أنها كانت متعطلة خلال نصف القرن الماضي على الأقل. يشقان طريقهما عبر متاهة من الماكينات والآلات القديمة، حتى يمران أخيرا بالمرجل الضخم ذاته، ثم يتحركان عبر مدخل يؤدي إلى أسفل سلم خدمات يلتف صاعدا إلى جوف الظلام.

يهمس باري: "مرة أخرى أي طابق فيه شقة سليد؟"

"الرابع والعشرون. المختبر في السابع عشر، والخوادم الحاسوبية في السادس عشر. هل أنت مستعد؟"

"أتمنى لو كنا سنستقل المصاعد."

خطتهما أن يذهبا مباشرة من أجل سليد، آملين أن يكون في مقره في شقة الدور العلوي. في اللحظة التي سيسمع فيها إطلاق نار أو يلتقط رائحة لأي شيء مريب، من المحتمل أن يهرع إلى الكرسي حتى يتمكن من العودة وإيقافهما قبل حتى أن يضعا قدما داخل بنايته.

يبدأ باري الصعود، مبقيا المصباح اليدوي موجها نحو أقدامهما. تصعد هيلينا في أثره، محاولة أن تخطو برفق قدر ما تستطيع، لكن خشب السلالم القديم يتلوى ويئن تحت ثقلهما.

بعد عدة دقائق، يتوقف باري عند باب مرسوم رقم 8 على الحائط بجواره، ويطفئ النور.

تهمس هيلينا: "ما الأمر؟"

"سمعت شيئا."

يقفان مصغيين في الظلام، وقلبها يدق بقوة والبندقية الآلية تزداد ثقلا مع كل لحظة. لا يمكنها أن ترى شيئا، ولا يمكنها أن تسمع شيئا غير أنة خافتة منخفضة أشبه بنَفَس يمر فوق فتحة زجاجة.

من مكان عال فوقهما، يُصوَّب شعاع واحد من الضوء هابطا مركز السلم ويميل نحوهما عبر الأرضية ذات المربعات الشطرنجية.

"هيا.." يهمس باري، فاتحا الباب وجاذبا إياها إلى داخل ممر.

يتحركان بسرعة في الممر المغطى بالسجاد الأحمر بين حجرات فندقية، أرقامها مُسقطة على الأبواب من مصابيح في الحائط المقابل.

في منتصف الممر، ينفتح باب الحجرة 825 إلى الداخل وتخرج سيدة في منتصف عمرها، ترتدي روبا أزرق منقوش على طية صدره حرفا "HM" وتحمل دلو ثلج فضيا.

يلقي باري نظرة سريعة نحو هيلينا، التي تومئ برأسها.

هما على مبعدة عشرة أقدام الآن من نزيلة الفندق، التي لم ترهما بعد.

يقول باري: "سيدتي؟"

وعندما تنظر في اتجاههما، يصوب مسدسه نحوها.

يسقط دلو الثلج على الأرض.

يرفع باري إصبعا على شفتيه بينما يقتربان منها بسرعة.

"ولا كلمة.." يقول، ويدفعانها عبر المدخل ويتبعانها إلى داخل الغرفة.

توصد هيلينا المزلاج، وتربط السلسلة.

"لديّ بعض المال والبطاقات الائتمانية..."

"لسنا هنا من أجل هذا. اجلسي على الأرض وابق فمك مغلقا.." يقول باري.

يبدو أن المرأة خرجت للتو من الدش. شعرها الأسود مبتل، ولا أثر لماكياج على وجهها. لا تلتقي عينا هيلينا بعينيها.

يلقي باري بالحقيبة القماشية على الأرض، ويفتحها ويخرج حزمة الأربطة.

تتوسل المرأة: "أرجوك، لا أريد أن أموت."

تقول هيلينا: "لن يؤذيكي أحد.."

"هل أرسلكما زوجي؟"

"لا.." يقول باري. ينظر إلى هيلينا. "اذهبي وضعي بعض الوسادات في حوض الاستحمام."

تنتزع هيلينا أربع وسادات من فوق السرير المتداعي ذي الأعمدة الأربعة وتضعها في الحوض ذي الأقدام المخلبية، الذي يقف على منصة صغيرة تطل على الغسق الهابط على المدينة والبنايات بادئة في التوهج بأنوارها.

عندما تعود إلى حجرة النوم، يكون باري قد جعل المرأة ترقد على بطنها ويربط رسغيها وكاحليها. وأخيرا يرفعها فوق كتفه ويحملها إلى داخل الحمَّام، حيث يضعها برفق في الحوض.

يسألها: "لماذا جئتِ إلى هنا؟"

"أتعرف ماهية هذا المكان؟"

"بلى."

تسيل الدموع على وجهها. "صنعت خطأ جسيما منذ خمسة عشر عاما."

تسألها هيلينا: "ماذا؟"

"لم أترك زوجي عندما كان ينبغي أن أتركه. أضعت أفضل سنين حياتي."

يقول باري: "سيأتي أحدهم من أجلك.." ثم يمزق قطعة من لفافة شريط لاصق ويضعها على فمها.

يغلقان الباب المؤدي إلى الحمَّام. المدفأة المدارة بالغاز تشع حرارة لطيفة. وزجاجة الشمبانيا التي يبدو أن المرأة كانت على وشك أن تشربها تقف على منضدة القهوة إلى جوار كوب وحيد ودفتر يوميات مفتوح على صفحتين مليئتين بخط اليد.

لا تستطيع هيلينا أن تتمالك نفسها. تلقي نظرة على الكتابة الأنيقة وتدرك أنها سرد لذكرى، ربما هي التي كانت المرأة الراقدة في حوض الاستحمام ستعود إليها.

تبدأ هكذا: **في المرة الأولى التي ضربني فيها كنت واقفة في المطبخ في الساعة العاشرة مساء، أسأله أين كان. أتذكر حمرة وجهه ورائحة البوربون في أنفاسه وعينيه الدامعتين.**

تغلق هيلينا الدفتر وتذهب إلى النافذة، مزيحة الستارة جانبا.

يتسلل ضوء هزيل.

تطل من ارتفاع ثمانية طوابق على الشارع التاسع والأربعين الشرقي، ويمكنها أن ترى سيارة باري على مبعدة بضعة أمتار من كتلة المباني.

المدينة مبتلة، كئيبة.

المرأة تبكي في الحمَّام.

يتجه باري إليها ويقول: "لا أعرف إن كنا مستعدين تماما. لكن بغض النظر، ينبغي علينا أن نمضي في أثر سليد الآن. أقترح أن نجرب حظوظنا مع المصعد."

"هل معك سكين؟"

مكتبة
t.me/t_pdf

"نعم."

"هل يمكنني أن أراها؟"

يمد باري يده داخل جيبه ويُخرج سكينا مطويا بينما تخلع هيلينا سترتها الجلدية وتطوي كميّ قميصها الرمادي.

تتناول السكين منه، وتجلس على أحد المقاعد الكبيرة، وتفتح النصل.

يسألها: "ماذا تفعلين؟"

"أصنع نقطة توفير."

"ماذا؟"

تُدخل طرف السكين في جانب ذراعها الأيسر فوق الكوع وتسحب النصل عبر جلدها.

وعندما يأتي الألم ويبدأ الدم في التدفق...

باري

7 نوفمبر 2018

يسألها باري: "ماذا تفعلين بحق الجحيم؟"

عينـا هيلينـا مغلقتـان، وفمهـا يرتخـي قليـلا منفتحـا، وهـي سـاكنة تمامـا.

ينتـزع بـاري السـكين مـن يديهـا بحـرص. للحظـة طويلـة، لا شيء يحـدث. ثـم تنفتـح عيناهـا الخضراوتـان اللامعتـان عـلى نحـو خاطـف.

لقد تغير شيء ما فيهما. هما تنضحان بخوف وحدة حديثيّ العهد.

يسألها باري: "أأنت بخير؟"

تمسـح هيلينـا الحجـرة بعينيهـا، وتلقـي بنظـرة عـلى سـاعة معصمهـا، ثـم تحيـط بذراعيهـا بـاري بشراسـة مباغتـة.

"أنت حيّ."

"بالطبع أنا حي. ماذا حدث لكِ؟"

تقـوده إلى السريـر. يجلسـان، وتزيـح هيلينـا واحـدا مـن أكيـاس الوسـائد وتمـزق قطعـة مـن القـماش، وتبـدأ في ربطهـا حـول جرحهـا الـذي أصابـت بـه نفسـها لتوقـف النزيـف.

تقـول: "أنـا فقـط اسـتخدمت الكـرسي للعـودة إلى هـذه اللحظـة. أنـا أبـدأ خطـا زمنيـا جديـدا."

"كرسيكِ؟"

"لا، الكرسي الموجود بالأعلى في الطابق السابع عشر. كرسي سليد."

"لا أفهم."

"لقـد عشـت بالفعـل الخمـس عـشرة دقيقـة التاليـة. وألم جـرح نفـسي للتـو كان مجـرد دليـل إرشـادي للعـودة إلى هـذه اللحظـة. فقـد تـرك لي ذكـرى حيـة قصـيرة المـدى كي أعـود إليهـا."

"إذًا تعرفين ما سيحدث بعد قليل؟"

"إذا ذهبنـا إلى شـقة الـدور العلـوي، نعـم. سـليد يعـرف أننـا قادمـان. سـيكون في انتظارنـا. لـن نتمكـن حتـى مـن الخـروج مـن المصعـد قبـل أن تخـترق رصاصـة عينـك. هنـاك الكثـير مـن الـدم، وأنـا أبـدأ في إطـلاق النـار. لا بـد أني أصبـت سـليد، لأنـه يزحـف فجـأة عـبر حجـرة معيشـته.

آخـذ المصعـد هابطـة إلى الطابـق السـابع عـشر، أجـد المختـبر، أطلـق النـار عـلى البـاب لأفتحـه بينـما جـي-وون يتسـلق داخـلا الحـوض. يتحـرك في اتجاهـي قائـلا إنـه يعـرف أني لـن أؤذيـه أبـدا بعـد كل مـا فعلـه مـن أجـلي، لكنـه لم يكـن أبـدا مخطئـا بشـأن شيء في حياتـه أكـثر مـن هـذا.

عنـد البوابـة، أسـجل الدخـول ببعـض أوراق الاعتـماد السريـة. ثـم أرسـم خريطـة ذكـرى، وأصعـد داخلـة الحـوض، وأعـود إلى ذكـرى جـرح نفـسي في هـذه الحجـرة."

"لم يكن عليكِ أن تعودي من أجلي."

"كي أكون صادقة تماما، لم أكن لأعود. لكنني لم أعرف أين كان سيرجي، ولم يكن هناك وقت كاف لتدمير كل المعدات. لكنني سعيدة جدا لأنك حي." تنظر إلى ساعتها مرة أخرى. "ستكون لديك ذكرى فظيعة عن كل هذا خلال حوالي اثنتي عشرة دقيقة، وكذلك كل شخص آخر في المبنى، وتلك مشكلة."

ينهض باري عن الفراش، ويمد يده ليُنهض هيلينا.

ترفع البندقية الآلية.

يقول: "إذًا سليد موجود في شقة الدور العلوي، متوقعا المكان الذي سنذهب إليه أولا - وهو ما فعلناه في المرة الأولى."

"صحيح."

"وجي-وون يتوجه بالفعل إلى الكرسي في الطابق السابع عشر، منتظرا ربما أن يسمع إن كان هناك اختراق أمني حتى يتمكن من القفز داخل حجرة العزل ويستبدل هذا الخط الزمني. وسيرجي..."

"مجهول. أقترح أن نذهب مباشرة إلى المختبر ونتعامل مع جي-وون أولاً. مهما حدث، لا يمكن السماح له بالدخول في الحوض."

ينطلقان خارجين من الحجرة ويقطعان الممر. ويظل باري يتلمس بطريقة لا إرادية الخزائن الإضافية في جيوبه.

عند صف المصاعد، يستدعي واحدا، منصتا إلى التروس وهي تدور على الجانب الآخر من الأبواب وقابضا على مسدسه الجلوك في وضع استعداد.

تقول هيلينا: "لقد أتممنا هذا الجزء بالفعل. لا أحد سينزل."

وعندما يضيء المصباح أعلى المصعد، يدق الجرس.

يرفع باري مسدسه، وإصبعه على الزناد.

ينفرج الباب.

فارغ.

يدخلان الكابينة الصغيرة، وتضغط هيلينا الزر رقم 17. حوائط المصعد قديمة، ومراياه ملطخة بالدخان، والتحديق فيها يخلق وهما استعاديا - عدد لا نهائي من شخوص باري وهيلينا في كابينات مصعد تتلوى عبر الفضاء.

وعندما يبدآن في الصعود، يقول باري: "دعينا نقف لصق الحائط. أريد أن أتيح أصغر أهداف ممكنة عندما تنفتح الأبواب. ما السلاح الذي كان لدى سليد؟"

"مسدس. كان فضيا."

"جي-وون؟"

"كان هناك مسدس بدا شبيها بسلاحك عند البوابة."

يضيء زر كل طابق عندما يمران عبره.

التاسع.

العاشر.

تضربه موجة من الغثيان - إنها الأعصاب. هناك طعم للخوف في فمه من فائض الأدرينالين في مجرى دمه.

الحادي عشر.

الثاني عشر.

الثالث عشر.

يتعجب من أن هيلينا لا تبدو مرعوبة كما يحس هو. لكن مرة أخرى، من منظورها، هي بالفعل خاضت المعركة مرة من قبل.

يقول: "شكرا لعودتك من أجلي.."

الرابع عشر.

"فقط، كما تعرف، حاول ألا تموت هذه المرة."

الخامس عشر.

السادس عشر.

تقول: "ها نحن ذا.."

يتباطأ المصعد حتى يتوقف في السابع عشر.

يرفع باري المسدس الجلوك.

تسند هيلينا كعب البندقية الآلية على كتفها.

تنزلق الأبواب مفتوحة لتكشف ممرا خاليا يمتد بطول المبنى، مع تفرع ممرات أخرى منه بعد بضعة أمتار.

يخطو باري بحذر فوق العتبة.

الصوت الوحيد هو الطنين الخافت للمصابيح المشتعلة في السقف.

تتقدم هيلينا إلى جانبه، وبينما تزيح شعرها عن وجهها، يجتاح باري إحساس حمائي وحشي يرعبه ويحيره. هو لم يعرفها إلا منذ أربع وعشرين ساعة فقط.

يتقدمان.

المختبر مساحة لامعة بيضاء، مليئة بالإضاءة المدفونة والزجاج. يمران بنافذة تطل على حجرة تضم أكثر من دستة ميكروسكوبات

(ميج)، حيث تقوم عالمة شابة بلحام لوحة دائرة كهربية. لا تراهما وهما يمران متسللين.

وبينما يقتربان من التقاطع الأول، ينغلق باب في مكان قريب. يتوقف باري، منتظرا أن يسمع وقع أقدام، لكن كل ما يمكنه سماعه هو طنين هذه المصابيح.

تقوده هيلينا عبر ممر آخر ينتهي عند حائط طويل من النوافذ التي تطل على ظلمة مانهاتن الزرقاء في هذا المساء البارد، وأضواء المباني المحيطة تسطع عبر الغسق الضبابي.

تهمس هيلينا: "المختبر أمامنا تماما.."

تتعرق يدا باري. يمسح كفيه في جانبي بنطاله ليحظى بقبضة أقوى على المسدس الجلوك.

يتوقفان عند باب مجهز بلوحة مفاتيح للدخول.

تهمس: "ربما يكون في الداخل بالفعل.."

"ألا تعرفين الرقم السري؟"

تهز رأسها، وترفع البندقية الآلية: "لكن هذه نجحت المرة السابقة."

يلتقط باري حركة تتأرجح حول الزاوية في نهاية الممر.

يخطو أمام هيلينا التي تصرخ: "جي-وون، لا!"

الطلقات النارية تفجر الصمت، ويتفجر وميض من ماسورة بندقية مصوبة نحو باري الذي يفرغ مسدسه الجلوك في ضجة خاطفة.

لقد اختفى جي-وون.

كل هذا حدث في خمس ثوان.

يلقـي بـاري الخزانـة الفارغـة، ويثبـت بعنـف واحـدة جديـدة، ويشـد الأجـزاء.

ينظر إلى هيلينا: "هل أنت بخير؟"

"نعم. لأنك خطوت أمامـ.. يا إلهي، أنت مصاب."

يترنـح بـاري إلى الخلـف، والـدم يسـيل مـن بطنـه، وأسـفل سـاقه تحـت البنطـال، متدفقـا مـن فـوق حذائـه عـلى الأرضيـة في خـط طويـل قـاني الحمـرة. الألم قـادم، لكنـه أكـثر امتـلاء بالأدرينالـين مـن أن يلاحـظ تأثـيره الكامـل - فقـط ضغـط متزايـد في القسـم الأيمـن الأوسـط مـن جذعـه.

"علينـا أن نخـرج مـن هـذا الممـر.." يقـول متوجعـا وهـو يفكـر: **هنـاك رصاصـة في كبـدي.**

تجذبه هيلينا متراجعين خلف الزاوية.

يتهاوى باري على الأرض.

ينزف الآن بغزارة، والدم أسود تقريبا.

يتطلع رافعا عينيه إلى هيلينا ويقول: "تأكدي... أنه ليس قادما."

تسترق هيلينا النظر حول الزاوية.

يرفـع بـاري مسدسـه، الـذي لم يلاحـظ أنـه انزلـق مـن قبضتـه، عـن الأرض.

يقول: "من الممكن أن يكونوا في المختبر بالفعل.."

"سأوقفهم."

"لن أفلح في البقاء طويلا."

ثمة حركة على يساره؛ يحاول أن يرفع المسدس الجلوك، لكن هيلينا تسبقه، مطلقة دفعة طلقات تصم الآذان من بندقيتها الآلية تجبر رجلا لم يره من قبل على التراجع داخل الممر.

"اذهبي.." يقول باري. "أسرعي."

العالم يظلم، وأذناه تدويان بالرنين. ثم يرقد ووجهه على الأرض والحياة تندفع خارجة منه.

يسمع المزيد من طلقات الرصاص.

هيلينا تصرخ: "سيرجي، لا تجعلني أفعل هذا. أنت تعرفني!"

ثم تدوي طلقتان.

يتبعهما صراخ.

من منظوره الجانبي، يرى العديد من الأشخاص يجرون عبر تقاطع الممرات، متوجهين إلى الخلف نحو المصاعد - نزلاء وأعضاء فريق العمل الآخرون يفرون من المعركة.

يحاول أن ينهض، لكنه بالكاد يستطيع تحريك يده. يشعر أن جسده مثبت إلى الأرض بإسمنت.

النهاية قادمة.

مجرد النهوض مرتكزا على كوعيه هو أصعب شيء فعله في حياته. يتمكن بطريقة ما من الزحف، ساحبا نفسه مرة أخرى حول زاوية الممر المليء بالنوافذ والمؤدي إلى المختبر.

يسمع المزيد من الطلقات.

تتأرجح رؤيته بين الوضوح والغبش، وشظايا الزجاج على الأرضية من النوافذ التي حطمها الرصاص تدخل في ذراعيه ومطر بارد يهب

داخلا المبنى. الحوائط مرشومة بثقوب الرصاص، وسديم من الدخان يتخلل الهواء بطعم أشبه بالحديد والكبريت في مؤخرة حلقه.

يزحف باري عبر نثار من أغلفة قذائفه عيار 0.40، ويحاول أن ينادي هيلينا، لكن اسمها يفارق شفتيه كأنين ليس إلا.

يسحب نفسه بقية الطريق إلى المدخل. يستغرق الأمر منه لحظة حتى يشحذ بصره في بؤرة التركيز. تقف هيلينا عند البوابة، وأصابعها تتقافز عبر صف من لوحات المفاتيح والشاشات التي تعمل باللمس. يستجمع صوته، ويجبره على أن يهتف باسمها.

تلقي بنظرة إليه. "أعرف أنك تتألم. أعمل بأسرع ما يمكنني."

"ماذا تفعلين؟" يسألها باري، وكل نفَس يجلب عذابا أكبر من سابقه، ويحمل أكسجينا أقل إلى مخه.

"سأعود إلى ذكرى جرح نفسي في تلك الحجرة بالفندق."

"جي-وون وسيرجي رحلا." يسعل دما. "فقط... دمري كل شيء الآن."

"سليد مازال هناك.." تقول هيلينا. "لو هرب، يمكنه صنع كرسي آخر. أحتاج إليك كي تحرس الباب. أعرف أنك تتألم، لكن هل يمكنك أن تفعل هذا؟ دعني أعرف إن جاء." تبتعد عن البوابة، وتصعد الجسد المنحني لكرسي الذاكرة.

"سأحاول.." يقول باري.

يريح رأسه على الأرضية الباردة.

تقول هيلينا: "سنفعلها بشكل صحيح المرة القادمة.." ترفع يدها وتُنزل بحرص الميكروسكوب (ميج).

وبينما تربط حزام الذقن، يناضل باري كي يبقي عينيه على الممر، عارفا أنه لو جاء سليد، لا شيء يمكنه أن يفعله كي يوقفه. هو حتى لا يملك القوة كي يرفع سلاحه.

وأخيرا تتدافع في وعيه الذكريات الميتة لموته في الخط الزمني السابق.

أبواب المصعد تنفتح على مدخل شقة سليد في الدور العلوي.

سليد واقف في حجرة معيشته الفاخرة المليئة بالنوافذ يصوب مسدسا إلى كابينة المصعد.

باري يفكر: اللعنة. لقد عرف.

انفجار من ضوء دون صوت.

ثم - لا شيء.

عبر ضباب الموت، يناضل باري كي يلقي نظرة لآخر مرة داخل المختبر، ويرى هيلينا تمزق قميصها، وتنضو بنطالها الجينز عن ساقيها، وتتسلق داخلة في حوض العزل.

باري يعدو بسرعة في ممر، أنفه تنزف، ورأسه ينبض. ذهب ألم الإصابة بالرصاص في الخط الزمني السابق، وتتوالى ذكريات هذا الخط الجديد محلها.

هو وهيلينا خرجا من الحجرة *825*.

خرجا من المصعد في الدور *17*، اتخذا طريقا مختلفا إلى المختبر، عازمين على اللحاق بجي-وون وسليد وهما يخرجان من المصعد.

لكنهما اصطدما بسيرجي بدلا من ذلك وأضاعا وقتا أكثر من اللازم في تجاوزه.

والآن هما يعدوان بسرعة في اتجاه المختبر.

يمسح باري الدم من أنفه ويرمش عبر لسعة الماء المالح لعرقه المتساقط في عينيه. يدوران حول زاوية ويصلان إلى باب المختبر، الذي تفتحه هيلينا بدفعة طلقات من البندقية الآلية. يندفع باري داخلا أولا، وتنفجر طلقتان مدويتان تخطئان رأسه بأقل من قدم. ولدهشته، جاءت الطلقات من رجل رآه مرة من قبل - منذ أحد عشر عاما، في الليلة التي أعيد فيها إلى الذكرى.

ماركوس سليد واقف على مبعدة عشرين قدما قرب البوابة، مرتديا فانلة بيضاء بلا أكمام وسروالا رياضيا رماديا، وكأنه جاء للتو من صالة الألعاب الرياضية، وشعره الأسود المجعد يلتمع بالعرق.

يمسك مسدسا من الفولاذ المقاوم للصدأ ويحدق في باري بتعرف تام.

يطلق باري رصاصة تخترق كتفه الأيمن، يترنح سليد متراجعا ليصطدم بصف لوحات التحكم، وينزلق المسدس من قبضته بينما يسقط هو على الأرض.

تندفع هيلينا إلى حوض العزل وتجذب ذراع تحرير الطوارئ.

قبل أن يصل باري إلى الحوض، تكون بالفعل قد فتحت الغطاء لتكشف جي-وون يطفو على ظهره في الماء المالح، محاولا في يأس أن يجذب القسطرة الوريدية من ساعده الأيسر.

يضع باري مسدسه الجلوك في جرابه، ويمد يديه داخل الماء الدافئ، ويجذب جي-وون خارجا، ملقيا إياه عبر الحجرة.

يصطدم جي-وون بالأرض ويعتدل، متطلعا إلى باري وهيلينا، على يديه وقدميه، عاريا والماء يقطر منه على البلاط. ينظر إلى مسدس سليد، على مبعدة ثمانية أقدام، ويندفع نحوه، وباري يتتبعه، وبينما

يطلق النار، تطلق هيلينا النار بدورها، وترفع الدفعة الكاملة من الخرطوش جي-وون ليصطدم بالحائط، وصدره عبارة عن جرح واسع، وقواه تنسرب بسرعة منه مع دمه.

يتحرك باري بحذر في اتجاهه، مبقيا المسدس مصوبا على صدر الرجل المحطم، لكن جي-وون رحل قبل أن يصل إليه - وعيناه تتخذان سمتا زجاجيا مع الخواء الأخير.

هيلينا

7 نوفمبر 2018

إنها واحدة من أمتع لحظات وجودها المتشظي أن تضع سليد أسفل ماسورة بندقيتها الآلية.

تمد يدها داخل جيبها وتُخرج وحدة ذاكرة فلاشية. "سوف أمحو كل خط من خطوط الشفرة. وبعد ذلك سوف أفكك الكرسي والميكروسكوب و..."

"هيلينا..."

"أنا من أتحدث الآن! والمحفزات. كل قطعة من المعدات والبرمجيات في المبنى. سيكون الأمر وكأن الكرسي لم يوجد قط."

يميل سليد على قاعدة البوابة، شاعرا بالألم في عينيه. "لقد مرت دقيقة، هه؟"

تقول: "ثلاثة عشر عاما بالنسبة لي، كم المدة بالنسبة لك؟"

يبدو أنه يتأمل السؤال بينما يتجه باري نحوه ويركل المسدس عبر الحجرة.

أخيرا يقول: "من يعرف؟ بعد أن اختفيتِ كالشبح من منصتي - أحسنت فعلها بالمناسبة، لم أفهم قط كيف نجحتِ بالضبط - استغرق الأمر مني سنوات كي أعيد صنع الكرسي. لكن منذ هذا الوقت، عشتُ أعمارا أكثر مما يمكنك أن تستوعبي."

تسأله: "وماذا فعلت فيها؟"

"أغلبها كانت استكشافات هادئة لمن أكون، ومن يمكن أن أكون، في أماكن مختلفة، مع أناس مختلفين. بعضها كانت... أكثر صخبا. لكن في هذا الخط الزمني الأخير، اكتشفت أنه لم يعد بمقدوري توليد عدد كاف من المشبكيات العصبية لرسم خريطة ذاكرتي الخاصة. لقد سافرت أكثر من اللازم. ملأت ذهني بحيوات أكثر من اللازم. خبرات أكثر من اللازم. لقد بدأ ذهني يتمزق. هناك حيوات كاملة لم أتذكرها إطلاقا، فقط تمر بي ومضات منها. هذا الفندق ليس أول شيء فعلته. إنه الأخير. بنيته لأدع الآخرين يعرفون قوة ما يزال وما سيظل دائما إبداعك **أنت**."

يأخذ نفسا مجهدا وينظر إلى باري، وتفكر هيلينا أن عينيه، بالرغم من الألم الواضح، تعكسان ذلك العمق الواثق لرجل عاش زمنا طويلا طويلا.

يقول سليد: "طريقة ممتازة لشكر الرجل الذي أعاد إليك ابنتك.."

"حسنٌ، والآن هي ميتة مرة أخرى، أيها الأحمق اللعين. صدمة تذكرها لموتها وذلك المبنى الذي ظهر بالأمس دفعاها من فوق الحافة."

"أنا آسف حقيقةً لسماع هذا."

"أنت تستخدم الكرسي بطريقة مدمرة."

يقـول سـليد: "نعـم. سـيكون مدمـرا في البدايـة، مثـل كل أشـكال التقـدم. بالضبـط مثلـما جلـب العـصر الصناعـي حربـين عالميتـين. بالضبـط مثلـما حـل الإنسـان العاقـل محـل الإنسـان البـدائي. لكـن هـل يمكنـك أن تعـود بالسـاعة إلى الـوراء بـكل مـا تجـيء بـه؟ هـل يمكنـك؟ التقـدم حتمـي. وهـو قـوة دافعـة مـن أجـل الصالـح والخـير."

يلقـي سـليد نظـرة عـلى جـرح دخـول الرصاصـة في كتفـه، ويلمسـه، يقطـب ثـم يعـود بناظريـه إلى بـاري. "تريـد أن تتكلـم عـن التدمـير؟ مـاذا عـن كوننـا محبوسـين في أحـواض السـمك الصغـيرة الخاصـة بنـا، في تلـك النكتـة لوجـود مفـروض علينـا بحـدود حواسـنا الأساسـية؟ الحيـاة معانـاة. لكنهـا لا يجـب أن تكـون هكـذا. لمـاذا ينبغـي عليـك أن تكـون مجـبرا عـلى قبـول مـوت ابنتـك عندمـا يكـون في مقـدورك أن تغـير هـذا؟ لمـاذا لا ينبغـي لرجـل يحتـضر أن يعـود إلى شـبابه بحكمـة ومعرفـة كاملتـين بـدلا مـن أن يلفـظ سـاعاته الأخـيرة في عـذاب؟ لمـاذا تـترك مأسـاة تقـع بينـما في مقـدورك أن تعـود وتمنعهـا؟ مـا تدافـع عنـه ليـس الواقـع - إنـه سـجن، كذبـة." ينظـر سـليد إلى هيلينـا. "**أنـت** تعرفـين هـذا. عليـك أن تـري هـذا. لقـد أتيـتِ بعـصر جديـد للإنسـانية، عـصر لم يعـد علينـا فيـه أن نعـاني ونمـوت. حيـث يمكننـا أن نمـر **بالكثير والكثير**. ثقـي بي، يتغـير منظـورك عندمـا تعيشـين حيـوات لا حـصر لهـا. لقـد سـمحتِ لنـا بالهـروب مـن حـدود حواسـنا. لقـد أنقذتينـا جميعـا. **هـذا** هـو إرثـك."

تقـول هيلينـا: "أعـرف مـا فعلتـه بي في سـان فرانسيسـكو. في الخـط الزمنـي الأصـلي." يحـدق سـليد فيهـا بـدوره، دون أن يرمـش. "عندمـا أخبرتنـي باكتشـافك صدفـةً لمـا يمكـن للكـرسي أن يفعلـه، تجنبـت الجـزء الـذي قتلتنـي فيـه."

"ومع ذلك ها أنتِ ذا. لم يعد للموت أي سيطرة علينا. هذا هو عمل حياتك يا هيلينا. احتضنيه."

تقول: "لا يمكنك أن تفكر في أنه يمكن الوثوق في البشرية مع وجود كرسي الذاكرة."

"فكري في الخير الذي يمكن أن يحققه. أعرف أنك أردتِ استخدام هذه التكنولوجيا لمساعدة الناس. لمساعدة والدتك. يمكنك العودة والتواجد معها قبل أن تموت، قبل أن يدمر عقلها نفسه. يمكنك أن تنقذي ذكرياتها. يمكننا التراجع عن قتل جي-وون وسيرجي. وكأن شيئا من هذا لم يحدث." تمتلئ ابتسامته بالألم. "ألا يمكنك أن تري كم سيكون عالما جميلا؟"

تخطو نحوه خطوة واحدة: "قد تكون على حق. ربما هناك عالم يجعل فيه الكرسي كل حياتنا أفضل. لكن ليست هذه هي النقطة. النقطة هي أنك قد تكون **مخطئا** أيضا. النقطة هي أننا لا نعرف ما سيفعله الناس بهذه المعرفة. كل ما نعرفه هو أنه بمجرد أن يعرف عدد كاف من الناس بأمر الكرسي، أو كيف يصنعونه، لن يكون هناك مجال للتراجع. لن نهرب أبدا من دائرة المعرفة العالمية بالكرسي. ستستمر في العيش في كل خط زمني لاحق. سنكون قد حكمنا على البشرية للأبد. أفضل أن آخذ فرصة في التنازل عن شيء رائع بدلا من المخاطرة بكل شيء على رمية نرد واحدة."

يبتسم سليد تلك الابتسامة التي تعني (أنا أعرف أكثر مما تخيلين) التي تعيدها إلى سنواتها معه على منصة النفط.

يقول: "مازالت محدوديتك تعميكِ. مازلتِ لا ترين الصورة كاملة. وربما لن تريها قط، إلا إذا تمكنتِ من السفر بالطريقة التي سافرت بها..."

"ماذا يعني هذا؟"

يهز رأسه.

"عـم تتحـدث يـا ماركـوس؟ مـاذا تعنـي بــ 'الطريقـة التـي سـافرت بهـا'؟"

يكتفـي سـليد بالتحديـق فيهـا، وهـو ينـزف. وبعـد ذلـك يخبـو طنـين معالجـيّ الكـم، وتغـدو الحجـرة صامتـة فجـأة.

واحـدة إثـر الأخـرى، تظلـم الشاشـات في البوابـة، وبينـما ينظـر بـاري في تسـاؤل إلى هيلينـا، تخبـو كل الأضـواء.

باري

7 نوفمبر 2018

يرى طيف صور هيلينا وسليد والكرسي.

ثم لا شيء.

لا صوت غير إيقاع نبض قلبه.

أمامه مباشرة، حيث كان سليد يجلس منذ بضع ثوان فقط، يسمع باري ضجة شخص يندفع عبر الأرضية.

دفعة طلقات من البندقية الآلية تضيء الحجرة لكسر من الثانية يصم الآذان - وهو وقت كاف لباري كي يرى سليد وهو يختفي عبر المدخل.

يأخذ باري خطوة مترددة إلى الأمام، وشبكية عينيه مازالت ترتج من وميض فوهة بندقية هيلينا الآلية، والظلام مصطبغ بالبرتقالي.

يتجسـد المدخـل في مجـال الرؤيـة عندمـا تتسـلل الأضـواء مـن المبـاني المحيطـة عـبر نوافـذ الـرواق.

كان سـمعه قـد تعـافى مـن صـوت الطلقـات فقـط بمـا يكفـي كي يميـز صـوت خطـوات سريعـة تندفـع مبتعـدة في الممـر. لا يعتقـد باري أن سـليد كان لديـه الوقـت، في تلـك الثـواني القليلـة مـن الظـلام، ليضـع يديـه عـلى المسـدس، لكنـه ليـس متأكـدا. الأرجـح أن سـليد يقـوم باندفـاع مجنـون باتجـاه واحـد مـن السـلالم.

ينبثق صوت هيلينا من عند المدخل هامسة: "أتراه؟"

"لا. ابقي هنا حتى أرى ما يحدث."

يهـرول إلى جـوار النوافـذ التـي تطـل عـلى ليلـة مطـيرة مـن ليـالي مانهاتـن. ومـن مـكان مـا عـلى الأرضيـة يـأتي صـوت مطقطـق كصـوت العـزف عـلى طبلـة جانبيـة.

ينعطـف في الزاويـة التاليـة إلى ظـلام خالـص، وعندمـا يقـترب مـن الممـر الرئيـسي، تصطـدم قدمـه بـشيء عـلى الأرضيـة.

عندمـا ينحنـي، تلمـس يـده القـماش المخضـب بالـدم لفانلـة سـليد. مـازال لا يسـتطيع رؤيـة أي شيء، لكنـه يميـز الصفـير ذا الطبقـة العاليـة لرئـة مثقوبـة تفشـل في الامتـلاء الكامـل بالهـواء، والغرغـرات الأقـل صخبـا لغـرق سـليد في دمـه.

يحيـط بـه رعـب بـارد. يجـري مسـتندا بيـده عـلى الحائـط حتـى يصـل إلى تقاطـع الممـرات.

للحظة، الصوت الوحيد هو سليد المحتضر خلفه مباشرة.

يخفق شيء مارا بطرف أنفه ويخبط في الحائط وراءه.

طلقـات رصـاص مكتومـة ووهـج فوهـات البنـادق يكشـف نصـف دسـتة مـن الضبـاط قـرب صـف المصاعـد، كلهـم يرتـدون الخـوذات

التكتيكيـة الكاملـة ودروع الجسـد، وعـلى أكتافهـم اسـتندت أسـلحة الهجـوم.

يرتـد بـاري خلـف الزاويـة ويصيـح: "المحقـق سـاتون، إدارة شرطـة نيويـورك! المنطقـة الرابعـة والعـشرون!"

"باري؟"

يعرف ذلك الصوت.

"جوين؟"

"ماذا يحدث بحق الجحيم يا باري؟" ثم لمن حولها: "أعرفه، أعرفه!"

يسألها باري: "ماذا تفعلين هنا؟"

"تلقينا بلاغا عن إطلاق نار في هذا المبنى. ماذا تفعل **أنت** هنا؟"

"جوين، عليك أن تُخرجي فريقك من هنا وتدعيني..."

"ليس فريقي."

"فريق من؟"

يـدوي صـوت ذكـوري عـبر الـرواق: "تبـين طائرتنـا الصغـيرة بـدون طيـار إشـارة حراريـة في واحـدة مـن الحجـرات خلفـك."

يقول باري: "ليست تهديدا.."

تقول جوين: "باري، عليك أن تترك هؤلاء الرجال يقومون بعملهم.."

يسألها باري: "من يكونون؟"

"ولمـاذا لا تخـرج مـن مكمنـك وتتحـدث إلينـا؟ سـأقوم بالتعريـف الـلازم. أنـت تجعـل الجميـع متوتريـن للغايـة."

يتمنـى أن تكـون هيلينـا قـد أدركـت مـا يحـدث وفـرّت. يحتـاج إلى كسـب مزيـد مـن الوقـت لهـا. لـو أمكنهـا أن تصـل إلى مختبرهـا في ريـد

هـوك، خـلال أربعـة شـهور سـيمكنها إنهـاء صنـع الكـرسي والعـودة إلى هـذا اليـوم لإصـلاح هـذا.

"أنـت لا تسـمعينني يـا جويـن. خـذي الجميـع وعـودوا إلى الجـراج وارحلـوا." يلتفـت بـاري ويـصرخ في الممـر باتجـاه المختـبر: "هيلينـا، اهربي!"

يبدأ صوت قعقعة العتاد في الممر - إنهم يتحركون نحوه.

يمد باري جسده حول الزاوية ويطلق رصاصة في السقف.

ويـأتي الـرد عـلى هـذه الرصاصـة في شـكل رد فعـل فـوري مبالـغ فيـه - زوبعـة مـن الرصاصـات تنهمـر عـلى كل مـكان في الممـر مـن حولـه.

تصرخ جوين: "أتحاول **أن تقتل نفسك؟**"

"هيلينا، اذهبي! اخرجي من المبنى!"

والآن يتدحـرج شيء مـا عـلى أرض الممـر ويتوقـف عـلى مبعـدة ثلاثـة أقـدام مـن بـاري. قبـل حتـى أن يملـك الوقـت ليتسـاءل عـن ماهيتـه، ينشـق الـشيء عـن دوي وضـوء خاطـف، شريـط يغـشي الأبصـار مـن الضوء ويتصاعـد الدخـان منتـشرا، لا يـرى إلا بياضـا سـاطعا ويحجـب الطنـين ذو الدرجـة العاليـة سـمعه مؤقتـا عـن كل الضجـة الأخـرى.

عندما تضربه الرصاصة الأولى، لا يشعر بأي ألم - فقط بأثر الصدمة.

ثـم تـأتي رصاصـة أخـرى وأخـرى، ممزقـة جانبيـه وسـاقه وذراعـه، وعندمـا يـأتي الألم، يخطـر ببالـه أن هيلينـا لـن تنقـذه هـذه المـرة.

السِفر الرابع

من يتحكم في الماضي يتحكم في المستقبل.

ومن يتحكم في الحاضر يتحكم في الماضي.

جورج أورويل، 1984

هيلينا

15 نوفمبر 2018 – 16 أبريل 2019

اليوم الثامن

إنه أغرب أشكال الأَسر.

الشقة عبارة عن حجرة نوم واحدة قرب حي ساتون بليس، فسيحة وعالية السقف، لها مَطَلٌّ يستحق مليون دولار على جسر الشارع التاسع والخمسين، والنهر الشرقي، والامتداد البعيد لبروكلين وكوينز.

ليس لديها منفذ إلى هاتف أو وصلة إنترنت أو أي شكل آخر من أشكال الاتصال بالعالم الخارجي.

أربع كاميرات، مرفوعة ومثبتة إلى الجدران، تظل تراقب كل بوصة مربعة في المكان، وأضواء تسجيلها الحمراء تضوي فوقها حتى وهي نائمة.

آسراها، زوج اسمهما ألونزو وجيسيكا، يتخذان سمتا هادئا رابط الجأش. في البداية، أراح هذا أعصابها.

في اليوم الأول، أجلساها في حجرة المعيشة وقالا: "نعرف أن لديك أسئلة، لكننا لسنا الأشخاص القادرين على إجابتها."

وتسأل هيلينا على أي حال.

ماذا حدث لباري؟

من هاجم مبنى ماركوس سليد؟

من يحتجزني هنا؟

مالت جيسيكا إلى الأمام وقالت: "نحن سجانان غاليا الثمن. ماشي؟ لا شيء أكثر من هذا. لا نعرف لماذا أنت هنا. ولا **نريد** أن نعرف لماذا أنت هنا. لكن لو كنت عاقلة، فنحن - والأشخاص الآخرون العاملون معنا والذين لن تقابليهم أبدا - سنكون عاقلين معك."

يقدمان لها الوجبات.

وبين يوم وآخر، يذهبان إلى متجر البقالة ويجلبان كل ما تكتبه في ورقة.

على مستوى ظاهري، هما ودودان بشكل كاف، لكن هناك قسوة لا يمكن إنكارها في عيونهما - لا، بل حيادية - وهو ما يجعلها واثقة إلى حد كبير من أنهما سيؤذيانها، أو أسوأ من ذلك، إذا حدث وانهار النظام.

أول مـا تفعلـه في الصبـاح هـو مشـاهدة الأخبـار، ومـع كل دورة تمـر، تشـغل متلازمـة الذاكـرة الزائفـة نطاقـا أقـل في الاسـتعراض اللانهـائي للـمآسي والفضائـح والقيـل والقـال حـول المشـاهير.

وعندمـا يختطـف حـادث إطـلاق نـار آخـر في مدرسـة تسـع عـشرة نفسـا، يكـون هـذا هـو أول يـوم منـذ ظهـور بيـج بينـد لا تُذكـر فيـه متلازمـة الذاكـرة الزائفـة في العناويـن الرئيسـية الأولى.

في يومهـا الثامـن في الشـقة، تجلـس هيلينـا إلى منضـدة المطبـخ، تتنـاول إفطـار مـن (ويـڤوس رانتشـيروس) وتراقـب ضـوء الشـمس وهـو ينسـكب عـبر النافـذة التـي تطـل عـلى النهـر.

هـذا الصبـاح، في انعـكاس مـرآة المطبـخ، تفحصـت صـف الغـرز بعـرض جبهتهـا والكدمـة المتضاءلـة ذات اللونـين الأسـود والأصفـر مـن ضابـط قـوات التدخـل السريـع الـذي ضربهـا وأفقدهـا الوعـي عـلى سـلم بنايـة سـليد بينـما كانـت تحـاول الهـروب.

كل يوم، يقل الألم بينما يتزايد الخوف والشك.

تـأكل ببـطء، محاولـة ألا تفكـر في بـاري؛ لأنهـا عندمـا تتخيـل وجهـه، يصبـح العجـز المـذل لموقفهـا أمـرا لا يُحتمـل، وعـدم معرفتهـا بمـا يحـدث يجعلهـا تريـد أن تـصرخ.

يـدور المـزلاج، وتنظـر هيلينـا عـبر الصالـة القصـيرة إلى البهـو بينـما ينفتـح البـاب ليكشـف رجـلا كان، حتـى الآن، موجـودا فقـط في ذكـرى ميتـة.

راجيـش آنانـد يقـول لشـخص مـا في الصالـة: "اغلـق البـاب واطفـئ الكامـيرات."

"يـا خـبر! راج؟" تـترك مقعدهـا المسـتدير عنـد المنضـدة وتقابلـه حيـث تنفتـح الصالـة عـلى حجـرة المعيشـة. "مـاذا تفعـل هنـا؟"

"جئت لأراكِ." يحدق في هيلينا بسمت واثق لم يكن يملكه عندما عملا معا على المنصة، يبدو أفضل حالا مع تقدمه في العمر، وملامحه الحليقة رقيقة ووسيمة معا. يرتدي حلة كاملة ويمسك بحقيبة أوراق في يده اليسرى. وتتغضن زوايا عينيه البنيتين بابتسامة حقيقية.

ينتقلان إلى حجرة المعيشة ويجلسان في مواجهة أحدهما الآخر على أريكتين جلديتين.

يسألها: "أأنت مرتاحة هنا؟"

"راج، ماذا يحدث؟"

"أنت محتجزة في بيت آمن."

"تحت سلطة من؟"

"وكالة مشاريع البحوث الدفاعية المتطورة."

تنقبض معدتها: "داربا؟"

"هل هناك أي شيء يمكنني أن آتي به إليك يا هيلينا؟"

"إجابات. هل أنا رهن الاعتقال؟"

"لا."

"إذًا أنا محتجزة؟"

يومئ برأسه.

"أريد محاميا."

"ليس ممكنا."

"كيف يكون هذا ليس ممكنا؟ أنا مواطنة أمريكية. أليس هذا أمرا غير قانوني؟"

"محتمل."

يرفـع راج حقيبـة أوراقـه ويضعهـا عـلى المنضـدة. بـلى الجلـد الأسـود في بعـض المواضـع والأجـزاء النحاسـية صدئـة بشـدة. يقـول: "أعلـم أنـه لا يوجـد الكثـير كي تطالعيـه، كانـت هـذه حقيبـة أبي. أعطاهـا لي في اليـوم الـذي غـادرت فيـه إلى أمريـكا."

وبينـما يبـدأ في تحسـس آليـة القفـل، تقـول هيلينـا: "كان هنـاك رجـل معـي في الطابـق السـابع عـشر لذلـك..."

"باري ساتون؟"

"لا يريدون أن يقولوا لي ما حدث له."

"لأنهم لا يعرفون. لقد قُتل."

كانت تعرف هذا.

أحسـت بـه في عظامهـا طـوال الأسـبوع الـذي حُبسـت خلالـه في هـذا السـجن الفاخـر.

ومازال هذا يكسرها.

وبينـما تبـكي، يتلـوى وجههـا بالحـسرة، ويمكنهـا الشـعور بالغـرز وهـي تتقلـص عـبر جبهتهـا.

يقـول راج: "أنـا آسـف جـدا. لقـد أطلـق الرصـاص عـلى فريـق التدخـل السريع."

تمسح هيلينا عينيها وتحدق بغضب من وراء المنضدة.

"كيف تورطت في كل هذا؟"

"كان تـركي لمشروعنـا عـلى منصـة نفـط سـليد هـو خطـأ حيـاتي. اعتقـدت أنـه مجنـون. اعتقدنـا ذلـك كلنـا. بعـد سـتة عـشر شـهرا، اسـتيقظت ذات ليلـة عـلى نزيـف مـن أنفـي. لم أعـرف كيـف أو مـاذا كان يعنـي هـذا،

لكن وقتنا كله معا على المنصة كان قد تحول إلى ذكريات زائفة. أدركت أنك قد أنجزت شيئا مستحيلا."

"إذًا عرفت ما كانه الكرسي حتى ذلك الوقت؟"

"لا. شككت فقط أنك قد تصورت طريقة ما لتغيير الذكريات. أردت أن أكون جزءا من ذلك. حاولت أن أجدك أنت وسليد، لكنكما كنتما قد اختفيتما أنتما الاثنان. وعندما تفجرت متلازمة الذاكرة الزائفة لأول مرة على نطاق واسع، ذهبت إلى المكان الوحيد الذي عرفت أنه سيكون مهتما بقصتي."

"داربا؟ أظننت بجدية أن هذه كانت فكرة **جيدة**؟"

"كانت كل الوكالات الحكومية مرتبكة. كانت (مراكز مكافحة الأمراض) تحاول العثور على مسبب مرض غير موجود. وكتب فيزيائي من مؤسسة (راند) مذكرة تُنظِّر لأن متلازمة الذاكرة الزائفة يمكن أن تكون تغيرات مجهرية في الزمكان. لكن الناس في (داربا) صدقوني. بدأنا تتبع ضحايا متلازمة الذاكرة الزائفة وإجراء مقابلات شخصية معهم. في الشهر الماضي، وجدت شخصا زعم أنه وُضع في كرسي وأعيد إلى ذكرى قديمة. وكل ما عرفه أن هذا قد حدث في فندق في مكان ما في مانهاتن. عرفت أن من فعل ذلك إما أنت أو سليد، أو أنتما الاثنان عاملين معا."

"ولماذا ذهبت إلى داربا بشيء كهذا؟"

"المال والموارد. أتيت بفريق إلى نيويورك. وبدأنا البحث عن هذا الفندق، لكننا لم نستطع العثور عليه. ثم بعد أن ظهر بيج بيند، سمعنا ثرثرة بأن فريقا من قوات التدخل السريع بإدارة شرطة نيويورك كان يخطط هجوما على مبنى في وسط المدينة قد تكون له صلة ما بمتلازمة الذاكرة الزائفة. فتولى فريقي المهمة."

تنظر هيلينا من النافذة عبر النهر، والشمس دافئة على وجهها.

يسألها راج: "هل كنتِ تعملين مع سليد؟"

"كنت أحاول أن أوقفه."

"لماذا؟"

"لأن الكرسي خطر. هل استخدمته؟"

"لقد أجريت القليل من التشخيصات. بالأساس كنت أعد نفسي لتسريع التشغيل." يفتح راج قفل حقيبة الأوراق. "انظري، أسمع مخاوفك، لكن يمكننا بالفعل استخدامك. هناك الكثير مما لا نعرفه." من حقيبة الأوراق، يُخرج حزمة من الأوراق ويلقي بها على منضدة القهوة.

تسأل: "ما هذا؟"

"عقد توظيف."

تتطلع إلى راج. "ألم تسمع ما قلته للتو؟"

"هم يعرفون أن الكرسي قادر على إعادة الذكريات. هل تعتقدين فعلا أنهم لن يستخدموه؟ هذا الجني لن يعود أبدا إلى القمقم."

"لا يعني هذا أن عليّ أن أساعدهم."

"لكنك إذا كنتِ مستعدة، ستعامَلين بالاحترام الواجب للعبقرية التي اخترعت هذه التقنية. سيكون لديك مقعد حول المائدة. ستكونين جزءا من صنع التاريخ. هذا هو عرضي. هل يمكنني أن أحسبك في صفوفنا؟"

تنظر هيلينا إليه من وراء المنضدة بابتسامة كحد الموسى: "يمكنك أن تأكل خراءك!"

اليوم العاشر

الثلـج يتسـاقط في الخـارج، تجمـع بالفعـل منـه قـدر بوصـة هشـة عـلى عتبـة النافـذة. حركـة المـرور تزحـف بطـول جـسر الشـارع التاسـع والخمسـين، الـذي يبـدو حـاضرا وغائبـا عـن الوجـود بنـاء عـلى كثافـة سـقوط الثلـج.

بعد الإفطار، تفتح جيسيكا المزلاج وتخبرها أن ترتدي ملابسها.

تسأل هيلينا: "لماذا؟"

"الآن.." تقـول جيسـيكا، في أول لمحـة مـن الوعيـد تسـمعها هيلينـا مـن أي منهـما خـلال العـشرة أيـام التـي كانـوا فيهـا معـا.

يهبطـان في مصعـد البضائـع إلى جـراج صـف السـيارات تحـت الأرض وصـف مـن سـيارات سـوبربان السـوداء الأصليـة.

يأخـذون نفـق كوينز-وسـط المدينـة وكأنهـم خارجـون متجهـون إلى لاجوارديـا، وتتسـاءل هيلينـا إن كانـوا سـيركبون طائـرة إلى مـكان مـا، لكنهـا لا تجـرؤ عـلى طـرح السـؤال. يمـرون إلى جـوار المطـار ويسـتمرون إلى حـي فلاشـينج، ماريـن بواجهـات المحـلات الملونـة بألـوان قـوس قـزح في الحـي الصينـي، ثـم يتوقفـون أخـيرا عنـد مجموعـة مـن مبـاني المكاتـب قليلـة الارتفـاع التـي تتـأبى عـلى الوصـف.

بمجـرد خروجهـم، يمسـك ألونـزو بـذراع هيلينـا ويرافقهـا صاعديـن الممـر إلى المدخـل الرئيـسي، عـبر الأبـواب المزدوجـة، ثـم يسـلمها قـرب المكتـب الأمامـي، حيـث يقـف منتظـرا رجـل طويـل جـدا - عـلى الأقـل طولـه سـتة أقـدام ونصـف.

يـصرف ألونـزو بجملـة يقولهـا بصـوت عميـق: "سأرسـل إليـك رسـالة.." ويوجـه انتباهـه إلى هيلينـا.

يسـألها الرجـل: "إذاً أنـت هـي العبقريـة؟" لديـه لحية جليلـة وحاجبان سـميكان أسـودان ينعقـدان مثـل سـياج أسـفل جبهتـه. يمـد يـده. "أنـا جـون شـو. أهـلا بـك في داربـا."

"ماذا تعمل هنا يا سيد شو؟"

"أعتقـد أنـه يمكنـك القـول أني المسـؤول. تعـالي معـي." ينطلـق نحـو نقطـة الفحـص الأمنيـة، لكنهـا لا تتحـرك. بعـد خمـس خطـوات، يلتفـت ناظـرا إليهـا. "لم يكـن هـذا اقتراحـا يـا د. سـميث."

يصطحبهـا رافعـا شـارته عـبر الأبـواب الزجاجيـة المنزلقـة ويقودهـا في رواق مكسـو ببسـاط أخضر خشـن. وبينـما كان المبنـى مـن الخـارج يشـبه مجمعـا مكتبيـا حزينـا، إلا أنـه مـن الداخـل - بإضاءتـه الكالحـة وتصميمـه النفعـي - عبـارة عـن متاهـة حكوميـة بـلا روح حتـى النخـاع.

يقـول: "لقـد انتزعنـا أحشـاء مكتـب سـليد وأحضرنـا كل شيء هنـا حتـى نتمكـن مـن تأمينـه بشـكل سـليم."

"ألم ينقل راج رأيي حول مساعدتكم؟"

"فعل."

"إذاً لماذا أنا هنا؟"

"أريد أن أريكِ ما نفعله."

"إذا كان يتضمن استخدام الكرسي، فأنا لست مهتمة."

يصـلان عنـد بـاب دوّار مـن الزجـاج الـذي يبـدو غـير قابـل للاخـتراق ونظـام أمنـي بيومـتري.

ينظـر شـو مـن علٍ إلى هيلينـا، مرتفعـا فوقهـا بأكـثر مـن قـدم. ربمـا يكـون وجهـه ودودا في ظـروف أخـرى، لكنـه في هـذه اللحظـة، يبـدو منزعجـا بشـدة.

تهب عليها رائحة أقراص حلوى (ألتويدز) بنكهة القرفة إذ يقول: "أريدك أن تعرفي، لا يوجد مكان في طول وعرض العالم بأكمله آمن من الجانب الآخر لهذا الزجاج. قد لا يبدو كذلك، لكن هذا المبنى حصين لعين، وفي داربا؛ نحتفظ بأسرارنا."

"لا يمكن لهذا الزجاج أن يحتوي الكرسي. لا شيء يمكنه. لماذا تريده على أي حال؟"

ينعقص الجانب الأيمن من فمه مرتفعا، وللحظة تلمح ذلك المكر الفولاذي في عينيه.

يقول شو: "افعلي لي معروفا يا د. سميث.."

"وما هو؟"

"طوال الساعة التالية من حياتك، حاولي أن تبقي ذهنك مفتوحا."

الكرسي وحجرة العزل قائمان جنبا إلى جنب كقطعتين مركزيتين تحت حرارة الأضواء الكاشفة، في أفخم مختبر رأته هيلينا في حياتها.

يكون راج جالسا بالفعل عند البوابة الإليكترونية عندما يدخلان، وخلفه تقف امرأة في منتصف العشرينيات من عمرها مرتدية زيا عسكريا أسود وحذاء طويل الرقبة، ذراعاها مكسوان بالوشوم وشعرها الأسود مشدود في ذيل حصان.

يأخذ شو بيد هيلينا إلى البوابة.

"هذه هي تيموني رودريجز."

تومئ الجندية إلى هيلينا: "من هذه؟"

"هيلينا سميث. لقد خلقت كل هذا. راج، كيف يسير بنا الحال؟"

"ننطلق بأقصى قوتنا." يدور بمقعده ويتطلع إلى تيموني. "هل أنت مستعدة؟"

"أعتقد هذا."

تنظر هيلينا إلى شو. "ماذا يحدث؟"

"سنعيد تيموني إلى إحدى ذكرياتها."

"لأي غرض؟"

"سترين."

تلتفت هيلينا إلى تيموني: "هل تدركين أنهم سيقتلونك في ذلك الحوض؟"

"حكى لي جون وراج كل شيء باختصار عندما أتوا بي إلى هنا."

"سيشلونك وسيوقفون قلبك. ولأني مررت بها أربع مرات، يمكنني أن أؤكد لك أنها عملية موجعة، وليس هناك من طريقة للتحايل على الألم."

"لا بأس، لا بأس."

"التغييرات التي تقومين بها ستؤثر على أشخاص آخرين وتسبب لهم كل أنواع الألم. ألم ليسوا مستعدين له. هل تعتقدين أن لديك حقا في فعل هذا؟"

لا يبالي أحد بسؤال هيلينا.

ينهض راج ويشير إلى الكرسي. "تفضلي بالجلوس يا تيموني."

يأخذ واحدة من الخوذات الفضية في الخزانة المجاورة للبوابة ويحملها إلى الكرسي. ثم يثبتها على رأس تيموني ويبدأ في ربط حزام الذقن.

تسأل تيموني: "هذا هو جهاز إعادة التنشيط؟"

"بالضبط. وهو يعمل مع ميكروسكوب (ميج) على تسجيل الذكرى. ثم عندما تنتقلين إلى الحوض، يحفظ النموذج العصبي لإعادة التنشيط عن طريق المحفزات." يخفض الميكروسكوب فوق الخوذة. "هل فكرتِ في أي ذكرى تريدين أن تسجليها؟"

"قال جون إنه سيقدم لي بعض الإرشاد."

يقول شو: "المقياس الوحيد من جانبي هو أنها يجب أن تبلغ ثلاثة أيام من العمر.."

يفتح راج المقصورات المضمنة في مسند رأس الكرسي ويُخرج قضبان التيتانيوم التليسكوبية، التي يربطها في مواضعها على السطح الخارجي للميكروسكوب.

يقول: "ليس من الضروري أن تكون الذكرى كبيرة. من الضروري فقط أن تكون واضحة. الألم والمتعة مؤشران جيدان. وكذلك العاطفة القوية. أليس كذلك يا هيلينا؟"

لا تنطق بشيء. فهي تشاهد أسوأ كوابيسها يتجسد أمامها - الكرسي في مختبر حكومي.

يتوجه راج إلى البوابة، وينشئ ملف تسجيل جديد، ويحمل اللوح الذي يعمل كجهاز تحكم عن بُعد.

بعد أن يجلس على مقعد مستدير إلى جوار تيموني، يقول: "أفضل طريقة لتسجيل ذكرى، خاصة في البداية، هي أن تتحدثي عنها بطريقة مقنعة. أن تذهبي إلى أعمق من مجرد ما رأيت وشعرت. ذكرى الأصوات والمذاقات والروائح كلها هامة من أجل استعادة واضحة. في انتظارك عندما تكونين مستعدة."

تغلق تيموني عينيها، وتأخذ نفسا عميقا.

تتذكـر الوقـوف عنـد بـار مغطـى بالنحـاس الأحمـر في محـل ويسـكي تـتردد عليـه في مطعـم ڤيليـدج، منتظـرة كأسـا مـن البوربـون طلبتـه. تنحـشر امـرأة بجوارهـا لتلـوح بذراعهـا للنـادل، وتصطـدم بتيمـوني، قريبـة بمـا يكفـي لتيمـوني كي تشـم العطـر الـذي تضعـه. التفتـت المـرأة كي تعتذر، وتعانقـت نظراتهـما لمـدة ثـلاث ثـوان. كانـت تيمـوني تعـرف أنـه في أي يـوم الآن سـتصعد إلى داخـل الحـوض وتمـوت. كانـت مسـتثارة ومرعوبـة مـن هـذا الاحتـمال. في الواقـع، كان السـبب وراء خروجهـا في ذلـك المسـاء هـو حاجتهـا لاتصـال جسـدي مـا.

"كان جلدهـا بلـون القهـوة والكريمـة، وفتنتنـي شـفتاها تمامـا. أردت أن ألمسـها بشـدة. يـا إلهـي، كنـت بحاجـة لممارسـة جنسـية عنيفـة، لكنـي فقـط ابتسـمت وقلـت: 'لا بـأس، لا تقلقـي بشـأن ذلـك.' الحيـاة مصنوعـة مـن ألـف حـسرة صغـيرة مثـل هـذه، أليـس كذلـك؟"

تفتح تيموني عينيها: "كيف كان ذلك؟"

يرفع راج اللوح ليُري الجميع - عدد المشبكيات العصبية: 156.

يسأل شو: "هل هذا كافٍ؟"

"أي رقم أعلى من 120 يكون في المنطقة الآمنة."

يضـع أنبوبـا وريديـا في سـاعد تيمـوني الأيـسر ويرفـع منفـذ الحقـن. ثـم تتجـرد تيمـوني مـن زيهـا العسـكري وتتوجـه إلى الحوض.

يفتح راج الغطاء، ويضرب شو يده بيدها وهي تصعد داخلة.

ينظـر مـن عـلٍ إلى جنديتـه الطافيـة في المـاء المالـح ويقـول شـو: "أتتذكريـن كل مـا ناقشـناه؟"

"بلى. لست متأكدة مما ينتظرني."

"للأمانة، لا أحد منا متأكد. سنراكِ على الجانب الآخر."

يغلـق راج الغطـاء ويتحـرك إلى البوابـة. يجلـس شـو إلى جـواره، وتقترب هيلينـا كي تفحـص الشاشـات. بروتوكـول إعـادة التنشـيط بـادئ بالفعـل، ويتفحـص راج مجـددا جرعـات الروكورونيـوم وثيوبنتـال الصوديـوم.

تقول هيلينا: "سيد شو؟"

يتطلع إليها.

"الآن، نحن الأشخاص الوحيدون في العالم المتحكمون في الكرسي."

"أتمنى هذا."

"أتوسـل إليـك. أَظهـر ضبـط النفـس. لم يتسـبب اسـتخدامه إلا في الأذى والألم."

"ربما كان الأشخاص الخطأ في موقع التحكم."

"لا تملك الإنسانية الحكمة للتعامل مع هذا النوع من القوة."

"أنا على وشك أن أثبت أنك على خطأ."

يتوجـب عليهـا أن توقـف هـذا، لكـن هنـاك حارسـين مسـلحين خـارج البـاب مبـاشرة. لـو حاولـت القيـام بـأي شيء، سـيكونان فوقهـا في غضـون ثـوانٍ.

يرفـع راج سـماعة الـرأس ويتحـدث في الميكروفـون: "سـنبدأ خـلال عـشر ثـوان يـا تيمـوني."

يأتي لهاث المرأة سريعا من السماعة: "**أنا جاهزة.**"

يُفعّـل راج منفـذ الحقـن. لقـد تحسـنت معـدات سـليد كثـيرا منـذ أيامهـما عـلى المنصـة، عندمـا كان الأمـر يتطلـب وجـود طبيـب ليراقـب موضوعـات الاختبـار وينصـح بالوقـت المناسـب الـذي ينبغـي أن تُطلـق فيـه المحفـزات. أمـا هـذه البرمجيـات الجديـدة فتطلـق سلسـلة العقاقـير بطريقـة آليـة بنـاء عـلى تقاريـر العلامـات الحيويـة في وقتهـا وتُشـغل

المحفزات الكهرومغناطيسية فقط عندما يُكتشف إطلاق ثنائي ميثيل التريبتامين.

يسأل شو: "كم المدة التي يستغرقها الأمر قبل التحول؟"

"يتوقف الأمر على كيفية استجابة جسدها للعقاقير."

ينطلق الروكورونيوم، ويتبعه بعد ثلاثين ثانية ثيوبنتال الصوديوم.

يميل شو نحو شاشة مقسومة تعرض علامات تيموني الحيوية على اليسار، وبثا عبر كاميرا رؤية ليلية للمرأة داخل الحوض على اليمين.

"معدل نبض قلبها عال بشدة، لكنها تبدو هادئة جدا."

تقول هيلينا: "سيكون معدل نبضك كذلك لو كنت تختنق بعد أن تم إيقاف قلبك.."

يشاهدون جميعا قلب تيمونى وهو يتوقف عن النبض.

تمر الدقائق.

يسيل خيط من العرق على جانب وجه شو.

يسأل: "هل ينبغي أن يستغرق الأمر كل هذا الوقت؟"

تقول هيلينا: "نعم. هذه هي المدة التي تستغرقها كي تموت بعد أن يتوقف قلبك عن الدق. وأؤكد لك أن الوقت يبدو أطول بكثير بالنسبة لها."

الشاشة التي تعرض حالة المحفزات تومض بتنبيه: تم رصد إطلاق ث م ت. وتنفجر صورة مخ تيموني - التي كانت مظلمة قبل ذلك - بعرض نشاط مضيء.

يقول راج: "المحفزات تنطلق.."

بعد عشر ثوان، يحل تنبيه آخر محل ملاحظة ث م ت: اكتملت إعادة تنشيط الذكرى.

ينظر راج إلى شو ويقول: "أي لحظة..."

بدلا من البوابة، هيلينا فجأة عند مائدة الاجتماعات في الجانب الآخر من المختبر. أنفها تنزف، ورأسها ينبض.

شو وراج وتيموني أيضا حول المائدة، وأنوف الجميع تنزف ما عدا أنف تيموني.

يضحك شو: "يا إلهي." وينظر إلى راج. "لقد نجحت. لقد نجحت اللعينة!"

"ماذا فعلت؟" تسأل هيلينا وهي مازالت تحاول أن تميز الذكريات الميتة من الذكريات الحقيقية الجديدة.

يقول راج: "تذكري حادث إطلاق النار في المدرسة منذ يومين.."

تحاول هيلينا أن تتذكر التغطية الإخبارية التي شاهدتها في الصباحات القليلة الماضية في شقتها - جحافل من الطلاب يُخلون المدارس، فيديوهات مريعة التُقطت بهواتف الطلاب تعرض الهياج وهو ينتشر داخل الكافيتريا، آباء مدمرون يناشدون السياسيين كي يفعلوا أي شيء، كي لا يجعلوا هذا يحدث مرة أخرى أبدا، طلبات إحاطة ووقفات احتجاجية من أجل تطبيق القانون...

لكن لا شيء من هذا حدث.

هذه ذكريات ميتة الآن.

وبدلا من ذلك، بينما كان الشخص الذي أطلق النار يصعد درجات سلم المدرسة، معلقا على كتفه بندقية نصف آلية طراز AR-15 ويحمل حقيبة سوداء من القماش الخشن معبأة بقنابل منزلية الصنع ومسدسات وخمسين خزانة بسعة عالية، انطلقت خرطوشة

ناتـو 7.62 مـن بندقيـة M40 عـلى بُعـد حـوالي 300 يـاردة ودخلـت مؤخـرة رأسـه لتخـرج عـبر تجويفـه الأنفـي الأيـسر.

بعـد أكـثر مـن أربـع وعشريـن سـاعة، مازالـت هويـة مـن كان سـيغدو مطلـق النـار في المدرسـة غـير معروفـة، بينـما رجـل القصـاص مجهـول الاسـم الـذي قـضى عليـه ينـادى بـه عـبر العـالم كبطـل.

شو ينظر إلى هيلينا: "أنقذ كرسيكِ تسع عشرة حياة."

لا تحر جوابا.

يقـول: "انظـري، أعلـم أنـه سـيظهر رأي قائـل بأنـه ينبغـي محـو الكـرسي مـن عـلى وجـه الأرض. أنـه تحـدٍ سـافر للنظـام الطبيعـي للأشـياء. لكنـه أنقـذ للتـو تسـعة عـشر طفـلا ومحـا الألم الـذي لا يقـاس عمقـه لـدى أسرهـم.."

"هذا..."

مكتبة
t.me/t_pdf

"لعب لدور الرب؟"

"نعم."

"لكـن ألا يُعـد أيضـا لعبـا لـدور الـرب ألا تتدخـلي عندمـا تكـون لديـك تلـك القـوة؟"

"لا ينبغي أن تكون لدينا هذه القوة."

"لكننا نملكها. بسبب شيء خلقتيه أنت."

تتهاوى.

يقـول شـو: "وكأنـك لا تريـن إلا الأذى الـذي قـد يسـببه كرسـيكِ. عندمـا كنـت تبدأيـن لأول مـرة العمـل عـلى بحثـك، قديمـا عندمـا كنـت تجريـن التجـارب عـلى الفـئران، مـاذا كان غرضـك المرشـد؟"

"كنت دوما مهتمة بالذاكرة. وعندما أصيبت أمي بالألزهايمر، أردت أن أصنع شيئا يمكنه إنقاذ الذكريات الجوهرية."

تقول تيموني: "لقد مضيت إلى مسافة أبعد من هذا. أنت لم تنقذي الذكريات فقط. لقد أنقذت أرواحا."

يقول شو: "سألتيني لماذا أردت الكرسي، وآمل أن اليوم قد منحك إطلالة على من أكون، وعمَّا أهتم. عودي إلى البيت، واستمتعي بهذه اللحظة. هؤلاء الأطفال أحياء بسببك."

هناك في الشقة بعد عودتها، تجلس في الفراش طوال المساء، تشاهد التغطية الإخبارية العاجلة عن إطلاق النار في المدرسة الذي "لم يحدث". التلاميذ الذين قُتلوا يقفون أمام آلات التصوير، يروون ذكريات زائفة عن تعرضهم لإطلاق الرصاص. ويتحدث أب باكٍ عن ذهابه إلى المشرحة ليتعرف على جثة ابنه الميت، وتحكي أم محطمة عن كونها وسط التخطيط لجنازة ابنتها فقط لتنتقل إلى لحظة تقود فيها سيارتها لتوصلها إلى المدرسة بدلا من ذلك.

تتساءل هيلينا إن كانت هي الوحيدة التي ترى التشوش الخفيف في عيني واحد من التلاميذ الذين قُتلوا سابقا.

وبينما تشاهد العالم وهو يحاول التعامل مع المستحيل، تتساءل ماذا تفهم الجماهير من هذا.

يتحدث علماء الدين عن الأزمنة القديمة، عندما كانت المعجزات تحدث بوتيرة كبيرة. ويرون أننا قد عدنا إلى عصر كهذا، وأن هذا قد يكون نذيرا بالمجيء الثاني للمسيح.

وبينما يندفع الناس ذاهبين إلى الكنائس جماعات، يمكن لأفضل العلماء الخروج بفكرة أن العالم مر "بحادث ذاكرة جماعية" آخر.

ورغـم أنهـم يتحدثـون عـن أشـكال الواقـع البديـل وتشـظي الزمـكان، إلا أنهـم يبـدون أكـثر حـيرة وتشوشـا مـن رجـال الـرب.

تظـل تعـود بذاكرتهـا إلى شيء قالـه لهـا شـو في المختـبر. **وكأنـك لا تريـن إلا الأذى الـذي قـد يسـببه كرسـيكِ.** هـذا صحيـح. كل مـا كانـت تفكـر فيـه هـو الدمـار المحتمـل، ولقـد أضـاء هـذا الخـوف مسـار حياتهـا منـذ وقتهـا عـلى منصـة نفـط سـليد.

وإذ يهبـط الليـل عـلى مانهاتـن، تقـف قـرب النافـذة الممتدة مـن الأرض إلى السـقف، تتطلـع إلى جـسر الشـارع التاسـع والخمسـين، وقـد أضيئـت دعاماتـه وانعكسـت بطريقـة رائعـة في دوامـة مـن الألـوان المتلألئـة عـلى صفحـة النهـر الشرقـي.

تتذوق ما يبدو عليه طعم تغيير العالم.

اليوم الحادي عشر

في الصبـاح التـالي، يجـري تسـليمها إلى مبنـى داربـا في كوينـز، حيـث ينتظرهـا شـو مـرة أخـرى خـارج مكتـب الأمـن.

وبينـما يتوجهـان مـن جديـد إلى المختـبر، يسـألها: "هـل شـاهدت الأخبـار ليلـة الأمـس؟"

"بعضها."

"كان شعورا طيبا، أليس كذلك؟"

في المختـبر، تيمـوني وراج ورجـلان لم ترهـما هيلينـا مـن قبـل يجلسـون إلى مائـدة اجتماعـات. يقدمهـا شـو إلى القادمـين الجديديـن: شـاب مـن قـوة العمليـات الخاصـة البحريـة اسـمه سـتيف، يصفـه شـو بأنـه نظـير تيمـوني، ورجـل يرتـدي بعنايـة حلـة مفصلـة خصيصـا واسـمه ألـبرت كيني.

يقول شو: "ألبرت أتى إلينا هنا منشقا من مؤسسة راند."

"أنت من صممت الكرسي؟" يسألها ألبرت وهو يصافحها.

تقول هيلينا: "لسوء الحظ."

"إنه مذهل."

تتخذ مجلسها على أحد المقاعد غير المشغولة بينما يتحرك شو إلى رأس المائدة، حيث يقف، متفحصا المجموعة.

يقول: "مرحبا. لقد تحدثت إلى كل واحد منكم على حدة خلال الأسبوع الماضي عن كرسي الذاكرة الذي استعاده فريقي. مساء الأمس، استخدمنا الكرسي بنجاح لتعديل ناتج حادث إطلاق الرصاص المدرسي في ماريلاند. والآن، هناك فلسفة - أحترمها - تقول إننا لا يمكننا الوثوق بأنفسنا مع شيء لديه مثل هذه القوة الغاشمة. لا أقصد الحديث نيابة عنك يا د. سميث، لكن حتى أنت - خالقة الكرسي - تحملين هذا الرأي."

"هذا صحيح."

"لديّ وجهة نظر مختلفة، شجعني عليها ما أنجزناه بالأمس. أعتقد أننا، مع صعود التكنولوجيا في العالم، منوط بنا أن نجد أفضل استخدام لها من أجل استمرارية وتحسين جنسنا البشري. أعتقد أن الكرسي يتضمن قدرة رائعة على جلب الخير للعالم.

بالإضافة إلى د. سميث، لدينا في هذه المائدة تيموني رودريجز وستيف كراودر، اثنان من أشجع وأكفأ الجنود الذين أخرجهم جيش الولايات المتحدة على الإطلاق. وألبرت كيني، باحث في نظرية النظم من مؤسسة راند له عقل كالماس. وأنا. نائب مدير داربا، ولديّ الموارد اللازمة لخلق برنامج جديد - تحت ستار السرية المطلقة - وهو ما سنبدأه اليوم."

تسأل هيلينا: "هل تنوون الاستمرار في استخدام الكرسي؟"

"بالطبع."

"لأي غرض؟"

"بيان الرسالة الخاص بمجموعتنا شيء سنصيغه معا."

يسأل ألبرت: "إذًا أنت تنظر إلينا كنوع من فريق الخبراء الثقات؟"

"بالضبط. ومقاييس الاستخدام أيضا شيء سنقرره معا."

تدفع هيلينا مقعدها إلى الوراء وتنهض: "لن أكون جزءا من هذا."

يتطلع شو إليها من رأس المائدة، متصلب الفك.

"هذه المجموعة بحاجة إلى صوتك. إلى شكك."

"ليس شكا. نعم، أنقذنا أرواحا بالأمس، لكننا بفعلنا هذا خلقنا ذكريات زائفة وارتباكا في عقول ملايين الناس. في كل مرة تستخدمون فيها الكرسي، ستقومون بتغيير الطريقة التي يتعامل بها البشر مع الواقع. ليست لدينا فكرة عما قد تكون عليه هذه التأثيرات طويلة المدى."

يقول شو: "دعيني أسألك سؤالا؛ هل تعتقدين أن أي شخص محترم سيكون حزينا الآن لأن تسعة عشر تلميذا لم يُقتلوا في الواقع؟ نحن لا نتحدث عن استبدال ذكريات طيبة بأخرى سيئة أو تغيير الواقع بشكل عشوائي. نحن هنا لغرض واحد - منع البؤس الإنساني."

تميل هيلينا إلى الأمام: "لا يختلف هذا عن الطريقة التي كان ماركوس سليد يستخدم بها الكرسي. كان يريد أن يغير الطريقة التي نتلقى بها الواقع، لكنه على مستوى عملي؛ كان يدع الناس يعودون ويصلحون حياتهم، وهو ما كان طيبا لبعض الناس، **وكارثيا** لآخرين."

يقول ألبرت: "تثير هيلينا قلقا مشروعا. هناك بالفعل قدر لا بأس به من الأدبيات الموجودة عن تأثيرات متلازمة الذاكرة الزائفة على

المـخ، وموضوعـات تخزيـن الذاكـرة المفـرط، والذكريـات الزائفـة لـدى الأشـخاص المصابـين باضطرابـات ذهنيـة. كنـت لأوصي بـأن يكـون لدينـا فريـق يبحـث كل ورقـة جـادة نُـشرت حـول الموضـوع، حتـى نتمكـن مـن البقـاء مطلعـين أثنـاء تحركنـا للأمـام. نظريـا، إذا وضعنـا حـدا لعمـر الذكريـات التـي نعيـد عملاءنـا إليهـا، فسـنضع حـدا للتنافـر المعـرفي بـين خطـوط الزمـن الحقيقيـة وتلـك الزائفـة."

"نظريـا؟" تتسـاءل هيلينـا. "ألا ينبغـي أن تتقـدم نحـو معلومـات أفضـل مـن النظريـات إذا كنـت تتكلـم عـن تغيـير طبيعـة الواقـع؟"

يتسـاءل شـو: "ألـبرت، هـل تقـترح أن نقـوم بالسـفر إلى المـاضي البعيـد؟ لأن لـديّ قائمـة هنـا - ويلمـس كراسـة جلديـة سـوداء - مـن الفظائـع والكـوارث في القرنـين العشريـن والواحـد والعشريـن. أنـا فقـط ألقـي اقتراحـا، لكـن مـاذا لـو وجدنـا ذكـرى عمرهـا خمسـة وتسـعون عامـا مـع قنـاص يتـدرب في المـاضي. ذهـن حـاد. تذكـر واضـح. هيلينـا، مـا هـو أقـدم عمـر كنـت لتشـعرين بالراحـة لأن تعيـدي شـخصا مـا فيـه إلى ذكـرى مـا؟"

"لا يمكنني تصديق أننا حتى نناقش هذا؟"

"نحن نتحدث هنا فقط. لا توجد أفكار سيئة حول هذه المائدة."

تقـول: "مـخ الأنثـى يكـون ناضجـا تمامـا في سـن الحاديـة والعشريـن. أمـا مـخ الذكـر فيكتمـل نضجـه بعدهـا ببضـع سـنوات. ربمـا يمكـن لسـن السادسـة عـشر أن يتعامـل مـع الأمـر، لكـن سـنحتاج إلى اختبـارات للتأكـد. هنـاك احتـمال أننـا إذا أعدنـا شـخصا إلى ذكرياتـه في سـن أصغـر مـن الـلازم، سـتنهار ببسـاطة وظائفـه المعرفيـة. إن الـزج بوعـي بالـغ في مـخ غـير مكتمـل يمكـن أن يكـون كارثيـا."

يسـأل ألـبرت: "هـل تقـترح مـا أظنـك تقترحـه يـا جـون؟ أن نرسـل عمـلاء إلى المـاضي أربعـين أو خمسـين أو سـتين عامـا لاغتيـال الديكتاتوريـين قبـل أن يبـدأوا في قتـل الملايـين؟"

"أو لمنع قتل كان عاملا محفزا لمأساة ملحمية - مثلا، عندما قام جافريلو برينسيب، وهو صربي من البوسنة، باغتيال الأرشيدوق فرانز فرديناند عام 1914، وبفعلته تلك أسقط أول قطعة دومينو في سلسلة أشعلت في النهاية الحرب العالمية الأولى. أنا فقط أثير هذه الاحتمالية للنقاش. نحن نجلس في حجرة مع آلة ذات قوة لا تُصدَّق."

يحل صمت جاد على المجموعة.

تعود هيلينا إلى الجلوس. قلبها يدق متسارعا، وفمها أصبح جافا.

تقول: "السبب الوحيد لكوني مازلت حول هذه المائدة هو أنه يتوجب أن يكون أحد ما ممثلا لصوت العقل."

يقول شو: "أتفق معك تماما.."

"أن تغير أحداثا تتعلق بالأيام القليلة الماضية شيء... لا تفهموني خطأ، مازال هذا أمرا خطيرا ولا ينبغي أن تفعلوه مرة أخرى، وأن تنقذ أرواح الملايين منذ نصف قرن شيء آخر تماما. على سبيل الجدل، ماذا لو تصورنا طريقة ما لمنع الحرب العالمية الثانية من الحدوث؟ ماذا لو، عاش ثلاثون مليون شخص، بسبب أفعالنا، كانوا ليموتون بغير ذلك؟ ربما تعتقدون أن هذا يبدو رائعا. انظروا بمزيد من التدقيق. كيف تبدأون في حساب الاحتمالات الطيبة والشريرة لهؤلاء الذين ماتوا؟ من يقول أن أفعال وحش مثل هتلر أو ستالين أو بول بوت لم تمنع ظهور وحش أكبر بكثير؟ على الأقل، تعديل على هذا النطاق سيغير بالتأكيد حاضرنا بما يتجاوز الاستيعاب. سيحول دون زيجات وولادات ملايين البشر. دون هتلر، لم يكن جيل كامل من المهاجرين ليأتي أبدا إلى الولايات المتحدة. أو، أيضا على نحو أبسط، لو لم يمت حبيب جدتك لأبيك في المدرسة الثانوية في الحرب، لتزوجته بدلا من جدك لأبيك. لم يكن ليولد جداك قط، لم يكن ليولد أبواك قط - وبوضوح لعين - لم تكون لتولد أنت قط." تنظر عبر المائدة إلى ألبرت.

"أنت باحث في نظرية النظم؟ هل هناك أي نموذج يمكنك تصوره لما قد يبدأ في استنباط التغيرات في تعداد سكان الكوكب على هذا المستوى من الحجم؟"

"نعم، يمكنني تطوير بعض النماذج، لكن بالنسبة لنقطتك، تتبع السبب والنتيجة مع قاعدة بيانات ضخمة كهذه مستحيل عمليا. أتفق معك أننا نحوم بشكل خطر قرب قانون العواقب غير المقصودة. إليك تجربة فكرية عفو الخاطر.

لو لم تدخل إنجلترا الحرب مع ألمانيا نتيجة شيء فعلناه، لم يكن آلان تورينج - أبو الحاسوب والذكاء الاصطناعي - ليُدفع إلى فك تكنولوجيا شفرة ألمانيا. والآن، ربما كان أيضا ليستمر في وضع أساس العالم الحديث الذي نعيش فيه والذي تحركه الشرائح الإليكترونية. ثم مرة أخرى، ربما لا. أو إلى درجة أقل. وكم حياة جرى إنقاذها بناء على كل هذه التكنولوجيا التي تحمينا؟ أكثر من الحيوات التي فُقدت في الحرب العالمية الثانية؟ تنطلق كرة الثلج لأسئلة 'ماذا لو؟' إلى اللانهائية."

يقول شو: "تم أخذ هذه النقطة في الاعتبار. هذا هو نوع المناقشات الذي نحتاج إلى إجرائه." ينظر إلى هيليتا. "لهذا أريدك هنا. لن تمنعيني من استخدام الكرسي، لكن ربما يمكنك مساعدتنا في استخدامه بحكمة."

اليوم السابع عشر

يقضون الأسبوع الأول في نحت القواعد الأساسية، ومن بينها:

الأشخاص الوحيدون المسموح لهم باستخدام الكرسي هم العملاء المدرَّبون، مثل تيموني وستيڤ.

لا يمكـن اسـتخدام الكـرسي قـط لتغيـير أحـداث في التواريـخ الشـخصية لأعضـاء الفريـق، أو أصدقائهـم وعائلاتهـم.

لا يمكـن اسـتخدام الكـرسي قـط لإعـادة العمـلاء أبعـد مـن خمسـة أيـام في الماضي.

الاسـتخدام الوحيـد للكـرسي هـو للحيلولـة دون المـآسي والكـوارث التـي لا يمكـن تصورهـا، والتـي يمكـن إبطالهـا بسـهولة عـلى يـد عميـل وحيـد ودون أن يعـرف أحـد اسـمه.

كل قرارات استخدام الكرسي سيجري طرحها للتصويت.

اعتـاد ألـبرت أن يطلـق عـلى المجموعـة (قسـم منـع القـرف الفظيـع جـدا)، ومثـل أسـماء كثـيرة تبـدأ كنكتـة سـيئة دون بديـل سريـع، التصـق بهـم الاسـم.

اليوم الخامس والعشرون

بعـد أسـبوع، يقـدم شـو المهمـة التاليـة المرشـحة كي تضعهـا المجموعـة في اعتبارهـا، بـل ويجلـب صـورة فوتوغرافيـة ليوضـح قضيتـه.

منـذ أربـع وعشريـن سـاعة، في مدينـة لانـدر، بولايـة وايومنـج، عُـثر عـلى فتـاة في الحاديـة عـشرة مـن عمرهـا مقتولـة في حجـرة نومهـا، بأسـلوب مشـابه عـلى نحـو مخيـف لخمـس جرائـم قتـل سـابقة حدثـت عـلى مـدى ثمانيـة أسـابيع في مـدن متباعـدة عـبر الغـرب الأمريـكي.

كان الجـاني قـد اقتحـم حجـرة النـوم في لحظـة مـا بـين الحاديـة عـشر ليـلا والرابعـة صباحـا باسـتخدام قاطـع زجـاج. كمـم ضحيتـه واغتصبهـا بينـما كان والداهـا نائمـين غافلـين في حجـرة في الناحيـة الأخـرى مـن الصالة.

يقـول شـو: "عـلى عكـس الجرائـم السـابقة، حيـث لم يكـن يتـم العثـور عـلى الضحايـا إلا بعـد أيـام أو أسـابيع، تركهـا هـذه المـرة في سريرهـا، مدسوسـة تحـت الأغطيـة ليجدهـا والداهـا في الصبـاح التـالي. وهـو مـا

يعني أن لدينا إطارا زمنيا محددا للوقت الذي حدثت فيه جريمة القتل، ونعرف أيضا المكان المحدد. لا يبدو أن هناك شكا كثيرا في أن هذا الوحش سيفعلها مرة أخرى. أود اقتراح القيام بتصويت لاستخدام الكرسي، وأنا أصوت بنعم."

يصوت تيموني وستيڤ بنعم على الفور.

يسأل ألبرت: "كيف تنوي أن يقتل ستيڤ القاتل؟"

"ماذا تقصد؟"

"حسنٌ، هناك طريقة هادئة لإنجاز الأمر، حيث يعترض طريق الشخص ويأخذه إلى مكان مجهول ويضعه في حفرة في الأرض حيث لن يجده أحد أبدا. وهناك الطريقة الضاجَّة، حيث يُعثر على القاتل المفترض مذبوحا وسط الشجيرات أسفل النافذة ذاتها التي كان على وشك التسلق عبرها، ومازالت في حوزته السكين وقاطع الزجاج. بالنسخة الضاجَّة، سنقوم في الحقيقة بإعلان وجود (قسم منع القرف الفظيع جدا). ربما نريد أن نقوم بهذا الإعلان، وربما لا نريد. أنا فقط أثير السؤال."

كانت هيلينا تحدق في أفظع صورة رأتها على الإطلاق، والتفكير المنطقي يتفتت وراءها. في هذه اللحظة، كل ما تريده للشخص الذي فعل هذا أن يتعذب.

تقول: "صوتي هو لتفكيك هذا المختبر ومسح الخوادم الحاسوبية. لكن إذا قررتم أن تخوضوا غمار هذا الأمر - وأعي أنه لا يمكنني إيقافكم - فاقتلوا هذا الحيوان واتركوه بأدوات جريمته أسفل نافذة الفتاة."

يسألها شو: "لماذا يا هيلينا؟"

"لأنـه لـو عـرف النـاس أن شـخصا مـا، أو كيانا مـا، خلف هـذه التحولات للواقـع؛ فـإن الوعـي بعملكم سـيبدأ في اتخاذ مكانة أسـطورية."

يسألها ألبرت بابتسامة متكلفة: "أتقصدين مثل باتمان؟"

ترفـع هيلينـا عينيهـا إلى السـقف متأففـة وتقـول: "إذا كان هدفـك هـو إصـلاح الـشر الـذي يفعلـه النـاس، ربمـا يكـون مـن مصلحتـك أن يخشـاك الأشرار. أيضـا، إذا وجـدوا هـذا الشـخص قـرب مـسرح الجريمـة، متأهبـا لاقتحـام بيـت، سـتربطه السـلطات بالجرائـم الأخـرى، ولنأمـل أن يمنـح هـذا الطمأنينـة للعائـلات الأخـرى."

تقول تيموني: "تقولين أننا سنصبح البُعبع؟"

"إذا اختـار أحـد ألا يرتكـب شرا لأنـه يخـشى جماعـة في الظـل لديهـا القـدرة عـلى التلاعـب بالذاكـرة والوقـت، فهـذه مهمـة لـن تضطـروا أبـدا إلى مواجهتهـا، وذكريـات زائفـة لـن تضطـروا أبـدا إلى خلقهـا. إذاً نعـم. فلتصبحـوا البعبـع."

اليوم الرابع والعشرون

يجـد سـتيڤ قاتـل الطفلـة في السـاعة 1:35 صباحـا، بينـما يبـدأ في قطـع ثقـب في نافـذة حجـرة نـوم ديـزي روبنسـون. يضـع شريطـا لاصقـا عـلى فمـه ورسـغيه ويذبحـه ببطـء مـن الأذن إلى الأذن، مراقبـا إيـاه وهـو يتلـوى وينـزف في الـتراب إلى جـوار البيـت.

اليوم الحادي والثلاثون

في الأسـبوع التـالي، يرفضـون التدخـل في حـادث خـروج قطـار عـن القضبـان في تـلال ريـف تكسـاس، وهـو الحـادث الـذي يقتـل تسـعة أشـخاص ويصيـب عـددا أكـبر بكثـير.

اليوم الرابع والخمسون

عندما تتحطم طائرة إقليمية في الغابة دائمة الخضرة جنوبي سياتل، يختارون مرة أخرى ألا يستخدموا الكرسي، ومنطق المجموعة هو أنه، كما كان الحال في حادث الخروج عن القضبان، فإنه قبل أن يُحدد سبب الحادث، سيكون قد مر وقت أكثر بكثير من اللازم لإعادة ستيڤ أو تيموني.

اليوم الثامن والخمسون

يوما بعد يوم، تتضح أكثر أنواع المآسي الأنسب لهم كي يصلحوها، وإذا كان هناك أي تردد، أي شك مهما كان، فإنهم - لراحة هيلينا - يعطون الأولوية لعدم التدخل.

تستمر محتجزة في العمارة القريبة من حي ساتون بليس. كان ألونزو وجيسيكا قد سمحا لها بالبدء في القيام بجولات سير ليلية. يسير أحدهما خلفها على بعد عدة مبانٍ، ويظل الآخر أمامها على مبعدة عدة مبان أخرى.

إنه الأسبوع الأول من يناير، والهواء المندفع كالسياط بين المباني أشبه بتيار قطبي في وجهها. لكنها تنعم بالحرية الزائفة للسير في نيويورك ليلاً، متخيلة أنها بالفعل وحدها.

تغدو متأملة، تفكر في أبويها، في باري. تستمر في العودة إلى الصورة الأخيرة التي تحتفظ بها له - واقفا في مختبر سليد قبل أن تنطفئ الأنوار مباشرة. وبعد ذلك بدقيقة، صوته صارخا فيها أن تهرب.

تجري الدموع باردة على وجنتيها.

لقد رحل أهم ثلاثة أشخاص في حياتها، ولن تراهم مرة أخرى أبدا. إن الوحدة القاسية التي تجلبها هذه المعرفة تقطعها حتى العظم.

هي في التاسعة والأربعين، وتتساءل إن كان هذا ما يعنيه بالفعل الشعور بالتقدم في العمر - ليس فقط تدهورا جسديا، بل تدهورا في العلاقات الشخصية. صمت متزايد يسببه الناس الذين تكن لهم أكبر الحب، الذين شكلوك وحددوا عالمك، ليمضي قُدُما إلى أي ما كان سيأتي لاحقا.

بلا مهرب، بلا نهاية منظورة للعبة، وبرحيل كل من تحب؛ هي غير واثقة كم ستظل تفعل هذا لوقت أطول.

اليوم الحادي والستون

تعود تيمونى إلى إحدى الذكريات لتمنع موظف تأمينات مختلا في الثانية والخمسين من عمره من اقتحام مظاهرة سياسية في بيركلي وقتل ثمانية وعشرين طالبا ببندقية آلية.

اليوم السبعون

يقتحم ستيف شقة في ليدز بينما يقوم الرجل بإحكام ربط صديريته، ويمرر نصل سكين قتالي عبر قاعدة جمجمته، ويفتت نخاعه المستطيل، تاركا إياه مقلوبا على وجهه فوق سطح مائدة مليء بالمسامير والبراغي والصواميل التي كانت ستمزق اثني عشر شخصا أشلاء في قطار أنفاق لندن في الصباح التالي.

اليوم التسعون

في ذكرى مرور ثلاثة أشهر على بدء البرنامج، يقدم تقرير في جريدة نيويورك تايمز لمحة عن مهامهم الثمانية، مخمنا أن ميتات المحتملين من القتلة ومطلقي النار في المدارس والتفجيري الانتحاري تشير إلى عمل منظمة غامضة تمتلك تكنولوجيا تتجاوز كل فهم.

اليوم 115

هيلينا في الفراش، على حافة النوم، عندما تأتي طرقة شديدة على الباب الأمامي لتجعل قلبها يدق متسارعا. لو كانت هذه شقتها، لأمكنها التظاهر أنها في الخارج والانتظار حتى يرحل هذا القادم في وقت متأخر، لكن للأسف، هي تعيش تحت المراقبة، والمزلاج يدور بالفعل.

تهبط من الفراش، وتضع عليها رداء استحمامها، وتخرج إلى حجرة المعيشة بينما يفتح جون شو الباب الأمامي.

تقول: "ادخل مباشرة، بالطبع."

"آسف، وأعتذر عن الزيارة المتأخرة." يقطع الصالة داخلا حجرة المعيشة. "شقة لطيفة."

يمكنها أن تشم لفحة البوربون بنكهة القرفة تفوح من أنفاسه – قدر كبير منها. "نعم، إنها شقة بإيجار خاضع للسيطرة وكل شيء."

بمقدورها أن تعرض عليه زجاجة بيرة أو شيئا ما، لكنها لا تفعل.

يستوي شو جالسا على مقعد مستدير له وسادة أمام منضدة المطبخ، وتقف هيلينا في مواجهته، مفكرة أنه يبدو أكثر استغراقا في التفكير وانزعاجا من أي مرة رأته فيها.

"ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك يا جون؟"

"أعرف أنك لم تؤمني أبدا بما نفعله."

"هذا صحيح."

"لكني سعيد بوجودك في الحوار. تجعليننا أفضل. أنت لا تعرفينني جيدا، لكنني لم أكن دائما... إيه! هل لديك أي شيء للشرب؟"

تتجـه إلى الثلاجـة ماركـة (صَـب زيـرو) وتُخـرج زجاجتـيّ بـيرة (بروكلين بـروري) وتنـزع الغطاءين.

يأخــذ شــو جرعــة كبــيرة ويقــول: "أصنــع أشــياء لعينــة للجيــش لمساعدته عـلى قتـل أشـخاص بكفـاءة قـدْر المسـتطاع. لقـد كنـت السـبب وراء بعـض التكنولوجيـا المريعـة فعـلا. لكـن تلـك الشـهور القليلـة الأخـيرة كانـت الأفضـل في حيـاتي. كل ليلـة، بينـما أذهـب إلى النـوم، أفكـر في الأسى الـذي نمحـوه. أرى وجـوه النـاس الذيـن ننقـذ أرواحهـم أو أرواح أحبائهـم. أفكـر في ديـزي روبنسـون. أفكـر فيهـم جميعـا."

"أعلم أنك تحاول فعل ما هو صواب."

"بالفعـل. للمـرة الأولى في حيـاتي، ربمـا." يـشرب بيرتـه. "لم أقـل شـيئا للفريـق، لكنـي أتعـرض لضغـط مـن أشـخاص في أماكـن عليـا."

"أي نوع من الضغط؟"

"بسـبب تاريخـي، أتيـح لي لجـام طويـل وحـد أدنى مـن الرقابـة. لكـن مـازال لـديّ سـادتي. لا أعـرف إن كانـوا يشـكُّون في شيء مـا، لكنهـم يريدون معرفـة مـا أعمـل عليـه."

تسأله: "ماذا يمكنك أن تفعل؟"

"هنــاك طــرق قليلــة لممارســة اللعبــة. يمكننــا خلــق برنامــج واجهــة زائفــة، ومنحهــم شــيئا براقــا ينظــرون إليــه، لا يحمــل شــبها فعليــا لمــا نفعلـه. ربمـا يوفـر لنـا هـذا بعـض الوقـت. اللعبـة الأفضـل هـي إخبارهـم فقــط."

"لا يمكنك القيام بهذا."

"إن الهـدف الأسـاسي لداربـا هـو صنـع تطـورات رائـدة في التكنولوجيـا تقـوي أمننـا القومـي، مـع التركيـز عـلى التطبيقـات العسـكرية. إنها مسـألة وقـت فقـط يـا هيلينـا. لا يمكننـا إخفـاء الأمـر عنهـم إلى الأبـد."

"وكيف سيستخدم الجيش الكرسي؟"

"كيف لن يستخدمه؟ بالأمس كانت فصيلة من الوحدة 101 تنصب كمينا في ولاية قندهار. ثمانية من قوات المارينز قُتلوا أثناء العملية. هذه ليست معلومات للجمهور حتى الآن. في الشهر الماضي، تحطمت مروحية (بلاك هوك) في مهمة تدريب ليلية في هاواي. مات خمسة. أتعلمين كم مهمة تفشل لأنك أفلتِ العدو ببضعة أيام أو ساعات؟ في المكان الصحيح، في الوقت الخاطئ؟ سيرون الكرسي كأداة تمنح القادة القدرة على تعديل الحرب."

"ماذا لو أنهم لا يشاركونك وجهة نظرك حول الكيفية التي ينبغي أن يُستخدم بها الكرسي؟"

"أوه، لن يفعلوا." ينهي شو آخر قطرة في بيرته.يفك أزرار ياقته، ويرخي ربطة عنقه. "لا أريد أن أفزعك، لكن ليست وزارة الدفاع فقط من ستستغل الكرسي. السي آي إيه، ووكالة الأمن القومي، والإف بي آي - كل وكالة ستريد قطعة منه إذا ذاع السر. نحن وكالة تابعة لوزارة الدفاع، وسيوفرون غطاء ما، لكنهم جميعا سيطالبون بجلسة على الكرسي."

"يا إلهي! وهل سيذيع السر؟"

"من الصعب قول هذا، لكن هل يمكنك أن تتخيلي لو كانت هذه التقنية لدى وزارة العدل؟ سيحولون هذا البلد إلى فيلم (تقرير الأقلية)[1]."

"دمر الكرسي."

---

(1) فيلم تقرير الأقلية Minority Report من إنتاج عام 2002 للمخرج ستيفن سبيلبرج وبطولة توم كروز وتدور أحداثه عام 2054 عن وحدة ما قبل الجريمة، وهي وحدة شرطة متخصصة في القبض على المجرمين بناء على معرفتهم المسبقة بالجرائم قبل وقوعها.

"هيلينا..."

"ماذا؟ كم يبدو هذا صعبا؟ دمره قبل أن يحدث أي شيء من هذا."

"احتماليتـه للخـير عاليـة جـدا. لقـد أثبتنـا هـذا بالفعـل. لا يمكننـا تدمـيره بسـبب الخـوف مـما **قـد** يحـدث."

يسـود الصمـت في الشـقة. تلـف هيلينـا أصابعهـا حـول زجاجـة البـيرة البـاردة المتعرقـة.

تسأله: "إذًا ما هي خطتك؟"

"ليست لديّ خطة. ليس بعد. فقط احتجت أن تعرفي ما هو آت."

اليوم 136

يبدأ الأمر أسرع مما يتوقع أحد.

يدخـل شـو المختـبر يـوم 22 مـارس مـن أجـل موجزهـم اليومـي بـكل القـرف المريـع الـذي حـدث في العـالم في الأربـع والعشريـن سـاعة الماضيـة ويقـول: "لدينـا أول مهمـة يتـم نكليفنـا بهـا."

يسأله راج: "ممن؟"

"الأعلى في السلسلة الغذائية."

تسأل هيلينا: "إذًا هم يعرفون؟"

"نعـم." ويفتـح ملفـا مـن الـورق المقـوى عـلى غلافـه ختـم (سري للغايـة) باللـون الأحمـر. "لم يظهـر هـذا في الأخبـار. في الخامـس مـن ينايـر، منـذ خمسـة وسـبعين يومـا، تعطلـت طائـرة مقاتلـة مـن الجيـل السـادس وسـقطت قـرب الحـدود بـين أوكرانيـا وروسـيا البيضـاء. هـم لا يعتقـدون أن الطائـرة دُمـرت، وهـم متأكـدون إلى حـد كبـير أن الطيـار تعـرض لـلأسر. نحـن نتحـدث عـن طائـرة بوينـج F/A-XX، والتـي مازالـت قيـد التطويـر،

وتحظى بتصنيف عال، ومحملة بكل أنواع الإضافات والكماليات التي لا نفضل ألا يملكها الروس.

طلبوا مني أن أرسل عميلا ليعود إلى يوم الرابع من يناير ويخبرني بأمر هذا التحطم. وبعد ذلك يُفترض أن أسلم رسالة إلى نائب وزير الدفاع، الذي سيتأكد من وصول الرسالة نزولا عبر الرتب المختلفة بحيث يتم فحص الطائرة قبل الطيران التجريبي ومنعها من الطيران قرب أي مكان من الأراضي الروسية."

تسأل هيلينا: "ستة وسبعون يوما؟"

"صحيح."

يقول ألبرت: "هل أخبرتهم أننا لا نستخدم الكرسي للرجوع إلى هذا الوقت البعيد؟"

"لم أصغها بهذه المباشرة، لكن نعم."

مكتبة
t.me/t_pdf

"و...؟"

"قالوا 'افعل كما تؤمر.'"

يرسلون تيموني إلى الماضي في العاشرة صباحا يوم 22 مارس.

قبل الحادية عشر صباحا، تكون هيلينا والفريق أمام التليفزيون، مسمرين أمام قناة (سي إن إن) مصدومين. هذه هي المرة الأولى التي يستخدمون فيها الكرسي للعودة **قبل** تاريخ تدخل سابق، وبقدر ما يمكنهم أن يفهموا من التقارير، كان لهذا تأثير غير عادي. حتى الآن، كانت ظاهرة الذكرى الزائفة تخضع لنموذجها القابل للتنبؤ، ملتزمة بذكرى حدوثها في خطها الزمني الفردي. بصيغة أخرى، عندما يغير عميل ما خطا زمنيا، فإن الذكريات الزائفة لذلك الخط الزمني "الميت" تصل دائما في نفس اللحظة التي مات فيها العميل في الحوض. لكن هذه المرة، يبدو أن هذه النقاط الخاصة بذكرى الحدوث قد جرى

تجاوزها - لم تُمحى، بل دُفعت إلى الوراء حتى العاشرة صباحا، هذا الصباح، لحظة آخر استخدام للكرسي عندما عادت تيموني لتعطي شو الرسالة الخاصة بالطائرة المقاتلة التي جرى إسقاطها. لذلك وبدلا من تذكر كل خط زمني ميت كما حدث، تلقى الجمهور الصدمة الكاملة للذكريات الميتة في جرعة واحدة، في العاشرة صباحا، اليوم، حيث تذكر الجميع في نفس الوقت كل المذابح التي جرى تجنبها منذ الرابع من يناير، بما في ذلك بيركلي والتفجير الانتحاري لقطار أنفاق لندن.

كان الابتلاء بهذه الذكريات الزائفة واحدة واحدة، على مدار عدة أشهر، مدمرا بما فيه الكفاية. أما أن يصطدم الجميع بها كلها في لحظة واحدة، فهو أكثر من هذا أضعافا مضاعفة.

حتى الآن لا تذكر وسائل الإعلام أي ميتات أو انهيارات عصبية كنتيجة للهجوم المفاجئ، لكن بالنسبة لهيلينا فهذا تذكير قاس بأن ماكينتها أكثر غموضا وخطرا واستعصاء على المعرفة من أن توجد.

اليوم 140

مازالوا يعطون شو مطلق الحرية في التدخل لمنع المآسي المدنية، لكن عملهم يغدو ذا طبيعة عسكرية على نحو متزايد.

يستخدمون الكرسي من أجل العودة ومنع هجمة طائرة بدون طيار ضربت حفل زفاف، وقتلت في الأغلب نساء وأطفالا أفغان، وأفلتت منها الهدف المقصود تماما، والذي لم يكن حتى من بين الحاضرين.

اليوم 146

يراجعون ضربة جوية من قاذفة قنابل لانسر B-1 أخطأت توجيه حمولتها وقتلت فريقا من القوات الخاصة في مقاطعة زابُل بدلا من قوة طالبان التي تم استدعاؤها لضربها.

اليوم 152

أربعة جنود موتى، هاجمهم مقاتلون إسلاميون أثناء قيامهم بدورية في صحراء النيجر، بُعثوا إلى الحياة عندما ماتت تيموني في الحوض وأعطت شو تفاصيل الكمين الوشيك.

إنهم يستخدمون الكرسي بوتيرة كبيرة - على الأقل مرة في الأسبوع الآن - حتى أن شو يأتي بعميل جديد لتخفيف العبء عن ستيف وتيموني، اللذين يبدآن في المعاناة من أولى علامات التدهور العقلي جراء ضغط الموت مرة بعد مرة.

اليوم 160

تهبط هيلينا إلى جراج صف السيارات في بنايتها وتتوجه إلى السوبربان السوداء مع ألونزو وجيسيكا، شاعرة بيأس أكبر مما يمكنها أن تتذكر شعورها بمثله. لا يمكنها الاستمرار في القيام بهذا. الجيش يستخدم كرسيها، وهي عاجزة عن إيقافهم. والكرسي نفسه موضوع تحت المراقبة أربعًا وعشرين ساعة سبعة أيام في الأسبوع، وليس لديها مدخل إلى النظام. حتى لو تمكنت من الهرب من ألونزو وجيسيكا، وفي ضوء ما تعرفه، لن تتوقف الحكومة أبدا عن مطاردتها. بالإضافة إلى هذا، يمكن لشو ببساطة أن يعيد عميلا إلى ذكرى ماضية كي يمنع هروبها من الحدوث مطلقا.

ذكريات سود تهمس لها مرة أخرى.

يهتز هاتفها في جيبها بينما يتوجهون جنوبا على طريق فرانكلين د. روزفلت السريع المحاط بالمتنزهات على الجانبين - شو يتصل.

تجيب: "أهلا، أنا في الطريق."

"أردت أن أخبرك أولا."

"ماذا؟"

"حصلنا على تكليف جديد هذا الصباح."

"ما هو؟"

تختفي السماء بينما يمرون عبر مدخل مانهاتن لنفق كوينز-ميدتاون.

"يريدوننا أن نعيد أحدا إلى عام مضى تقريبا."

"لماذا؟ لأي غرض؟"

تضغط جيسيكا على بدال الفرامل بقوة كافية كي تدفع هيلينا إلى الأمام رغم حزام ظهرها. عبر الزجاج الأمامي، بحر من الأضواء الخلفية الحمراء يضيء النفق أمامهم، مصحوبا بتنافر نغمات لسائقين بدأوا في إطلاق أبواق سياراتهم.

"اغتيال."

ثمة انفجار بعيد من الضوء، يتبعه صوت كالرعد، في عمق أبعد داخل النفق.

تجلجل النوافذ، وترتج السيارة أسفلها، وترتعش المصابيح العلوية للحظة مرعبة قبل أن تومض من جديد.

يسأل ألونزو: "ما كان هذا بحق الجحيم؟"

"جون، سأتصل بك مرة أخرى." تخفض هيلينا هاتفها. "ماذا يحدث؟"

"اعتقد أنه كان هناك انفجار ما أمامنا."

يبدأ الناس في الخروج من سياراتهم.

يفتح ألونزو بابه، ويخرج متجها إلى داخل النفق.

تتبعه جيسيكا.

رائحة الدخان المندفعة عبر فتحات التهوية تعيد هيلينا فجأة إلى الحاضر. تنظر وراءها عبر الزجاج الخلفي إلى السيارات المكتظة خلفهم.

يعدو رجل مار بنافذتها، منطلقا بأقصى سرعته نحو نور النهار، وتسري أول رعشة خوف هابطة عمود هيلينا الفقري.

مزيد من الناس يأتون الآن، وكلهم يبدون مذعورين، مندفعين ما بين السيارات عائدين نحو مانهاتن، محاولين أن يهربوا من شيء ما.

تفتح هيلينا بابها، وتخطو خارجة.

فوضى الخوف واليأس البشريين يتردد صداها من جدران النفق، ويتصاعد مغطيا على هدير ألف محرك سيارة.

"ألونزو؟"

يقول: "لا أعرف ماذا حدث، لكنه شيء سيء."

يحمل الهواء رائحة سيئة - ليس فقط من عوادم السيارات لكن رائحة بنزين وأشياء منصهرة.

يخرج الدخان ملتفا من النفق أمامهم، والناس المتعثرون في اتجاهها يبدون مصابين بالارتجاج الدماغي، ووجوههم تنزف ومسودة.

تتدهور نوعية الهواء سريعا، وتبدأ عيناها في الالتهاب، والآن يمكنها بالكاد رؤية ما يكمن أمامها.

تقول جيسيكا: "يجب أن نخرج من هنا يا ألونزو. الآن حالا."

وبينما يلتفتون كي يمضوا، يظهر رجل من بين الدخان، يعرج ويمسك بجانبه، في ألم واضح.

تندفع هيلينا في اتجاهه، وهي تسعل الآن، وعندما تقترب ترى أنه يمسك بشظية زجاج مغروسة في جانبه. يداه منقوعتان في الدماء ووجهه مسوَد من الدخان وملتوٍ من الوجع.

تصيح جيسيكا: "هيلينا! نحن مغادرون!"

"هو بحاجة لمساعدتنا!"

يسقط الرجل بين يدي هيلينا، وهو يلهث باحثا عن الهواء. يهرع ألونزو نحوهما، ويأخذ هو وهيلينا كلٌ بذراع للرجل ويضعانها على كتفيهما. هو رجل كبير الحجم، على الأقل في الثانية والخمسين، ويرتدي قميصا نصف محترق على جيبه العلوي اسم وشعار شركة لخدمات الشحن.

من المريح التوجه نحو منفذ للخروج. مع كل خطوة، تُخوّض قدم الرجل اليسرى في حذائه، الذي يمتلئ بالدم.

تسأله هيلينا: "هل رأيت ما حدث؟"

"توقفت هاتان المقطورتان الجرارتان في الطريق. كانتا تسدان كلتي الحارتين على مسافة ليست بعيدة عني. وضع الجميع أيديهم على الأبواق. ولم يستغرق الأمر كثيرا حتى بدأ الناس يخرجون من سياراتهم ويقتربون من الشاحنتين ليروا ما الأمر. وبمجرد أن صعد ذلك الشخص على واحدة من المقطورتين، رأيت ضوءا خاطفا ساطعا وبعده أعلى صوت سمعته في حياتي. وفجأة اندفعت هذه الكرة من النار فوق كل السيارات. انفجر الزجاج الأمامي وبعد ذلك اشتعل داخل السيارة. اعتقدت أنني سأحترق حتى الموت، لكن بطريقة ما أنا..."

يتوقف الرجل عن الكلام.

تحدق هيلينا أسفلها في الرصيف، الذي يهتز تحت قدميها، وبعد ذلك ينظرون جميعا إلى النفق في اتجاه كوينز.

من الصعب تمييز الأمر في البداية بسبب الدخان، لكن سرعان ما تغدو الحركة واضحة على البُعد - الناس يجرون نحوهم، وصوت الصراخ يرتفع ويتردد صداه من الجدران.

ترفع هيلينا عينيها بينما ينفتح شق في منتصف السقف، أعلى رأسها باثني عشر قدما وينكسر بزوايا مستقيمة، وتتساقط كتل من الخرسانة في كل مكان حولها، لتسحق زجاج السيارات والناس. ثمة ريح باردة في وجهها، والآن، فوق صرخات الرعب، ثمة صوت أشبه بالضجيج الأبيض[1] والرعد، يعلو أضعافا مضاعفة مع كل ثانية تمر.

ينشج رجل توصيل الطلبات.

يقول ألونزو: "اللعنة."

تشعر هيلينا بغشاوة فوق وجهها، وبعد ذلك ينفجر حائط من الماء خارجا من الدخان ليحمل السيارات والناس.

يضرب هيلينا مثل حائط من الطوب المتجمد، مقتلعا إياها من وقفتها، وتنقلب في دوامة من العنف البارد، تتخبط في الجدران والسقف، ثم تصطدم بامرأة ترتدي زيا رسميا، تلتقي عيونهما للحظتين سرياليتين قبل أن تنقذف هيلينا مخترقة الزجاج الأمامي لشاحنة تابعة لشركة فيديكس.

---

(1) الضجيج الأبيض مجموعة من الأصوات التي تجمع كافة الترددات التي يستطيع الإنسان سماعها، والتي تقع في مجال الطيف الترددي ما بين 20 إلى 20 ألف هرتز.

تقـف هيلينـا عنـد النافـذة في حجـرة المعيشـة، أنفهـا تنـزف، رأسـها ينبـض، محاولـة التعامـل مـع مـا حـدث للتـوّ.

رغـم أنهـا مازالـت تسـتطيع الشـعور برعـب الاكتسـاح عـبر أنبوبـة في موجـة حطـام مـن المـاء والنـاس والسـيارات، إلا أن موتهـا في النفـق لم يحـدث قـط.

كل هذا ذكرى ميتة.

اسـتيقظت، وأعـدت الإفطـار، واسـتعدت، وكانـت تتوجـه خـارج البـاب عندمـا سـمعت انفجاريـن عاليـن للغايـة وقريبـين حتـى أنهـما هـزا الأرض وجلجـلا الزجـاج.

جـرت عائـدة إلى حجـرة المعيشـة، وعـبر النافـذة، شـاهدت في ذهـول جـسر الشـارع التاسـع والخمسـين مشـتعلا. وبعـد خمـس دقائـق، اسـتعادت الذكريـات الميتـة لموتهـا في النفـق.

والآن، برجـا جـسر الشـارع التاسـع والخمسـين اللـذان يؤطـران جزيـرة روزفلـت محاطـان بأعمـدة لهـب متلويـة تمتـد مئـات الأقـدام في الهـواء وتشـتعل بسـخونة كافيـة بالنسـبة لهـا كي تشـعر بالحـرارة، حتـى مـن عـلى بُعـد ألـف قـدم ومـن خـلال النافـذة.

ماذا يحدث بحق الجحيم؟

امتـداد الجـسر بـين مانهاتـن وجزيـرة روزفلـت متـدلٍ عـبر النهـر الشرقـي كوتـر مقطـوع، ودعاماتـه مازالـت متشـبثة بـبرج مانهاتـن. تنزلـق السـيارات مـن فـوق الرصيـف المائـل داخـل النهـر، ويتشـبث النـاس بالقضبـان بينـما ينتـزع التيـار ببطء فلقـة الجـسر مـن محجرهـا بصريـر عـزم الـدوران الـذي يمكنهـا الشـعور بـه في حشـوات أسـنانها.

تمسح الدم السائل من أنفها بينما يخطر لها فجأة - **لقد مررت بتحول للواقع. مت في النفق. والآن أنا هنا. شخص ما يستخدم الكرسي.**

الامتداد الذي يربط بين جزيرة روزفلت وكوينز تمزق بالفعل تماما، وبامتداد النهر ترى قسما بطول ألف قدم من الطريق المشتعل يصطدم بسفينة حاويات، مخوزقا هيكلها بنتوءات كالرماح من الدعامات الحديدية المنفصمة.

حتى داخل شقتها، يفوح الهواء برائحة احتراق أشياء لم يكن ينبغي أن تكون قابلة للاحتراق، وعويل سارينات مئات من سيارات النجدة القادمة يصم الآذان.

وبينما يهتز هاتفها خلفها على منضدة المطبخ، تنفك آخر الخيوط المعدنية من برج مانهاتن مثل سياط تقرقع، وبأنة هائلة تنفصل فلقة الجسر، لتسقط عموديا بارتفاع مائة وثلاثين قدما، ويتحطم الطريق ذو المستويين مخترقا الخرسانة إلى طريق فرانكلين د. روزفلت السريع، ليسحق السيارات المارة، ويسوي الأشجار بخط الساحل، ثم يكشط ببطء الحد الشرقي لشارعيّ تسعة وخمسين وثمانية وخمسين، مقتلعا الجانب الشمالي الشرقي كاملا من إحدى ناطحات السحاب، ومفلتا بالكاد بناية هيلينا قبل أن ينزلق غاطسا في النهر الشرقي.

تندفع داخل المطبخ وتجيب الهاتف بسؤال: "من يستخدم الكرسي؟"

يقول جون: "لسنا نحن من يستخدمه.."

"هراء. لقد انتقلت للتوّ من الموت في نفق وسط المدينة إلى الوقوف في شقتي، لأراقب هذا الجسر يحترق."

"فقط تعالي إلى هنا بأسرع ما يمكنك."

"لماذا؟"

"نحن مُدمَّرون يا هيلينا. نحن مُدمَّرون جدا."

ينفتح باب شقتها بعنف. يندفع ألونزو وجيسيكا داخلين، وأنفاهما ينزفان، ويبدو عليهما رعب يكاد يفقدهما عقلهما.

تشعر هيلينا بتباطؤ الحركة كلها.

تحول آخر قادم؟

تقول جيسيكا: "ماذا بحق الجحيم..."

هيلينا الآن تحدق عبر الزجاج الغامق لنافذة المقعد الخلفي، ناظرة شمالا بامتداد النهر الشرقي نحو هارلم وحي ذا برونكس.

لم تمت أبدا في النفق.

لم يحدث دمار جسر الشارع التاسع والخمسين.

في الحقيقة، هم في منتصف الطريق يقطعون المستوى الأعلى من جسر الشارع التاسع والخمسين، الذي يقف سليما تماما في هذه اللحظة.

من خلف عجلة القيادة تقول جيسيكا: "أوه يا إلهي!"

تنحرف السيارة السوبربان إلى داخل الحارة المجاورة، ويمد ألونزو يده من المقعد المجاور ليقبض على عجلة القيادة، ويعيد السيارة مرة أخرى إلى حارتها.

أمامهم مباشرة، تنجرف حافلة داخل حارتهم، لتضرب بجنبها ثلاث سيارات وتصدمها بالحاجز وسط رذاذ من الشرارات والزجاج المهشم.

تلـوي جيسـيكا عجلـة القيـادة، لتفلـت بالـكاد مـن الـركام بينـما تميـل السـيارة للحظـة سـائرة عـلى عجلتـين.

تقول: "انظرا خلفنا.."

تنظـر هيلينـا وراءهـا، وتـرى أعمـدة هائلـة مـن الدخـان تتصاعـد مـن ميدتاون.

تقول جيسيكا: "هذا شيء ما متعلق بالذاكرة الزائفة، أليس كذلك؟"

تتصـل هيلينـا بشـو، وترفـع الهاتـف عـلى أذنهـا مفكـرة: **شـخص مـا يسـتخدم الكـرسي ليحـول الواقـع مـن كارثـة إلى أخـرى.**

"كل الدوائر مشغولة، من فضلك حاول الاتصال في وقت لاحق."

يفتح ألونزو الراديو.

"... تـرد تقاريـر عـن انفجـار مقطورتـين جرارتـين قـرب محطـة جرانـد سـنترال. وهنـاك بعـض الارتبـاك. كـما وردت تقاريـر في وقـت سـابق عـن حادثـة مـن نـوع مـا في نفـق كوينز-ميدتـاون، وأتذكـر رؤيـة جـسر الشـارع التاسـع والخمسـين ينهـار، لكـن... لا أعـرف كيـف يكـون هـذا ممكنـا - أراه واقفـا في حالـة ممتـازة عـلى شاشـة كامـيرا برجنـا الآن..."

... ويتوقفـون في الشـارع السـابع والخمسـين، الهـواء يغـص بالدخـان، وأذناهـا تطنـان.

صداع آخر.

نزيف أنف آخر.

تحول آخر.

حادثة النفق لم تحدث قط.

حادثة الجسر لم تحدث قط.

لم تنفجر محطة جراند سنترال.

فقـط تبقـى الذكريـات الميتـة لهـذه الأحـداث، مكدسـة في عقلهـا كذكريـات الأحـلام.

اسـتيقظت، أعـدت الإفطـار، ارتـدت ملابسـها، اسـتقلت المصعـد هابطـة إلى جـراج صـف السـيارات أسـفل بنايتهـا مـع جيسـيكا وألونـزو، بالضبـط مثـل كل صبـاح آخـر. كانـوا متوجهـين غربـا في الشـارع السـابع والخمسـين ليلتفـوا صاعديـن الجسر عندمـا شـق السـماء وميـض خاطـف يغـشي الأبصـار، مقترنـا بصـوت يشـبه ألـف دانـة مدفـع تنطلـق في وقـت واحـد مرتـدة أصداؤهـا مـن المبـاني المحيطـة.

هـم عالقـون في المـرور الآن، وفي كل مـكان حولهـا يقـف النـاس عـلى الرصيـف، ناظريـن في رعـب إلى (بـرج ترامـب)، الـذي تحـول إلى سـحب متصاعـدة مـن الدخـان واللهـب.

تتـدلى الطوابـق العـشرة الأدنى كوجـه منصهـر، وأحشـاء الحجـرات المفـردة مكشـوفة كالصناديـق الصغـيرة. والطوابـق الأعـلى مازالـت سـليمة إلى حـد كبـير، والنـاس بداخلهـا يحدقـون مـن فـوق الهـوة حديثـة الصنـع إلى داخـل فوهـة الـبركان التـي كانـت سـابقا تقاطـع الشـارع السـابع والخمسـين مـع الجـادة الخامسـة.

وبينـما تزعـق المدينـة بأصـوات السـارينات القادمـة، تـصرخ جيسـيكا: "مـاذا يحـدث؟ مـاذا **يحـدث**؟"

أمامهـم مباشرة، يسـقط كائـن بـشري مـن السـماء ويصطـدم بسـقف سـيارة أجـرة.

ويسـقط شـخص آخـر محطـما الزجـاج الأمامـي لسـيارة تقـف وراء السـوبربان مبـاشرة.

ويسقط ثالث بشكل عمودي مخترقا سقيفة نادٍ رياضي خاص، وتتساءل هيلينا متعجبة إن كان الناس يلقون بأنفسهم من المباني لأن هذا أكثر مما يمكن لأعصابهم تحمله. لن يدهشها هذا. لو لم تكن تعرف بأمر الكرسي، ماذا تراها كانت لتعتقد أنه يحدث للمدينة وللزمن وللواقع نفسه؟

جيسيكا تبكي.

يقول ألونزو: "يبدو وكأنها نهاية كل شيء."

تتطلع هيلينا إلى المبنى القريب من نافذتها بينما تقفز امرأة شقراء الشعر من مكتب تهشم زجاجه بفعل الانفجار. تسقط كالصاروخ، برأسها أولا، صارخة في طريقها للارتطام، وتبدأ هيلينا في الالتفات بعيدا، لكنها لا تستطيع.

تتباطأ حركة كل شيء مرة أخرى.

الدخان العكر.

ألسنة اللهب.

تهبط المرأة الساقطة في حركة بطيئة بشدة، ورأسها يقترب بوصة بوصة من الرصيف.

يتوقف كل شيء.

يحتضر هذا الخط الزمني.

تتشبث يدا جيسيكا للأبد بعجلة القيادة.

لا تستطيع هيلينا أبدا أن تشيح بناظريها عن المرأة القافزة، التي لن ترتطم بالأرض أبدا، لأنها تجمدت في الهواء، وأم رأسها على مبعدة قدم واحد من الرصيف، شعرها الأصفر متناثر حول وجهها، عيناها مغلقتان، وجهها في تقطيبة أبدية، متأهبا للصدمة...

وهيلينا تسير مجتازة الأبواب المزدوجة لمبنى داربا، حيث يقف شو بالضبط خارج مكتب الأمن.

يحدق أحدهما في الآخر، متعاملا مع هذا الواقع الجديد بينما المجموعة المصاحبة من ذكريات الاستبدال تدوي بالداخل.

لم يحدث شيء منها.

لا النفق، ولا الجسر، ولا جراند سنترال، ولا برج ترامب.

استيقظت هيلينا، استعدت، وتم اقتيادها بالسيارة إلى هنا مثل كل صباح آخر، دون أي حادثة.

تفتح فمها لتتكلم، لكن شو يقول: "ليس هنا في الخارج."

راج وألبرت جالسان إلى مائدة الاجتماعات في المختبر، يشاهدان الأخبار في تلفاز منغرس في الحائط. انقسمت الشاشة إلى أربع صور حية من كاميرات برجية تعرض بثا حيا لجسر الشارع التاسع والخمسين، ومحطة جراند سنترال، وبرج ترامب، ونفق كوينز-ميدتاون، وعلى شريط الأخبار: "تعطل ذاكرة جماعي في مانهاتن."

تسأل هيلينا: "ما هذا الشيء اللعين الذي يحدث؟"

جسدها يرتعش، لأنها - رغم أن هذا لم يحدث قط - مازال بإمكانها الشعور بأثر الصدمة من ارتطام جدار الماء بها. بإمكانها سماع الأجساد وهي تصطدم بالسيارات في كل مكان حولها. بإمكانها سماع صرير الجسر وهو يتمزق نصفين.

يقول شو: "اجلسي.."

تسحب المقعد المواجه لراج، الذي يبدو مصدوما تماما. ·

يظل شو واقفا، ويقول: "إن تخطيطات الكرسي والحوض وبرمجياتنا والبروتوكول - كلها تسربت."

تشير هيلينا إلى الشاشة: "شخص آخر من يفعل هذا؟"

"نعم."

"من؟"

"لا أعرف."

تقـول: "سيسـتغرق الأمـر أكـثر مـن بضعـة شـهور لبنـاء الكـرسي إذا كنـت تعمـل فقـط مـن مسـودات.."

"تسرب منذ عام."

"كيف يمكن هذا؟ أنتم حتى لم يكن لديكم الكرسي منذ عام..."

"كان ماركـوس يعمـل مـن ذلـك الفنـدق لأكـثر مـن عـام. شـعر شـخص مـا بالفضـول حيـال مـا كان يفعلـه وقـام باخـتراق خوادمـه الحاسـوبية. وقـد وجـد راج للتـوّ دليـلا عـلى هـذا الاخـتراق."

يقـول راج: "كان خرقـا هائـلا للبيانـات. أخفـوه جيـدا، وحصلـوا عـلى كل شيء."

شو ينظر إلى ألبرت: "قل لها ما وجدته."

"أمثلة أخرى لتحولات في الواقع."

"أين؟"

"هونـج كونـج، طوكيـو، موسـكو، أربعـة في باريـس، اثنـان في جلاسـجو، واحـد في أوسـلو. بمـا يشـبه كثـيرا الطريقـة التـي ظهـرت بهـا قصـص متلازمـة الذاكـرة الزائفـة لأول مـرة في أمريـكا العـام المـاضي."

"إذًا يستخدم الناس الكرسي، وأنت تعرف هذا بالتأكيد."

"نعم. بل وجدت شركة في ساو باولو تستخدمه للسياحة."

"يا إلهي! منذ متى يحدث كل هذا؟"

"يعود لحوالي ثلاثة شهور."

يقول شو: "وقد خرجت الحكومتان الصينية والروسية لتقولا أنهما تملكان هذه التكنولوجيا."

"وكأن كل جملة جديدة تقولها أكثر رعبا من سابقتها."

"حسنٌ، تماشيًا مع هذا الاتجاه..." يفتح جهاز لابتوب على المائدة وينقر عليه رابطا. "خرج هذا البث منذ خمس دقائق. ليست هناك تغطية صحفية بعد."

تميل نحو الشاشة.

إنها الصفحة الرئيسية لموقع ويكيليكس.

تحت عنوان "الحرب والجيش"، ترى رسما جرافيكيا لجندي يجلس على مقعد يشبه بالضبط الكرسي الموجود في منتصف هذه الحجرة، أعلى العنوان الرئيسي:

آلة الذاكرة الخاصة بالجيش الأمريكي. آلاف الصفحات التي تضم تخطيطات كاملة لجهاز يزعم أنه يعيد الجنود إلى ذكرياتهم قد يفسر فيض المآسي التي جرى إبطالها خلال الشهور الست الماضية.

يضيق صدرها.

تحترق نجوم سوداء في مجال رؤيتها.

تسأل: "كيف تربط ويكيليكس الكرسي بحكومتنا؟"

"لا نعرف."

يقول ألبرت: "الخلاصة أن خوادم سليد جرى اختراقها. وربما بيعت المحتويات للعديد من المشترين. ومن أحد هؤلاء المشترين أو أكثر من واحد، أو من المخترقين أنفسهم، استمرت التخطيطات في التسرب. وفي هذه اللحظة من المحتمل أن توجد كراس عديدة مستخدمة في

بـلاد كثـيرة عـبر العـالم. تملـك الصـين وروسـيا الكـرسي، والآن، مـع نـشر ويكيليكـس للتخطيطـات، أي شركـة أو ديكتاتـور أو شـخص ثـري لديـه خمسـة وعـشرون مليـون دولار يمكنـه صنـع آلـة الذاكـرة الخاصـة بـه."

يقـول راج: "لا تنـسَ - يبـدو أن جماعـة إرهابيـة مـن نـوع مـا سـتكون واحـدة مـن المالكـين الجـدد الفخوريـن للكـرسي، وهـي تسـتخدمه لتكـرر نفـس الهجـوم عـلى معـالم مختلفـة في واحـدة مـن أكـثر المـدن كثافـة بالسـكان في العـالم."

تنظر هيلينا إلى الكرسي.

الحوض.

البوابة.

للهواء صوت أزيز خافت.

عـلى شاشـة التليفزيـون، تغطـي الأخبـار الآن هجومـا جديـدا في سـان فرانسيسـكو، حيـث تتصاعـد مـن جـسر جولـدن جيـت أعمـدة مـن الدخـان الأسـود إلى سـماء الصبـاح الباكـر. يحـاول عقلهـا أن يسـتجمع نفسـه ويحيـط بالموقـف، لكنـه أضخـم وأعقـد وألعـن مـن قدرتـه عـلى الاسـتيعاب.

يسأل شو: "ما هو سيناريو الحالة الأسوأ يا ألبرت؟"

"أعتقد أننا نمر به الآن."

"لا، أقصد فيما يتعلق بما يمكن أن يحدث بعد ذلك؟"

كان ألـبرت دائمـا رابـط الجـأش، كـما لـو أن ذكاءه الكبـير كان يحميـه ويرفعـه فـوق الجميـع. لكـن ليـس اليـوم. فهـو يبـدو اليـوم مرعوبـا.

يقول: "ليس من الواضح إن كانت روسيا أو الصين تمتلك مخططات الكرسي، أم أنهما قد صنعتا واحدا بالفعل. في الحالة الأولى تأكدوا أنهما تتسابقان لصنع كرسي، إلى جانب كل بلد أخرى في العالم."

تسأل هيلينا: "لماذا؟"

"لأنه سلاح. إنه السلاح النهائي. تذكروا اجتماعنا الأول حول هذه المائدة، عندما تحدثنا عن إرسال قناص عمره خمسة وتسعون عاما إلى ذكرى قديمة له ليغير نتيجة حرب؟ مَن من بين أعدائنا - اللعنة، بل من بين أصدقائنا - سيستفيد من استخدام الكرسي ضدنا؟"

يقول شو: "بل من لن يستفيد؟"

"يسأل راج: "إذًا هل هذا مماثل لحالة مواجهة نووية؟"

"العكس تماما. لا تستخدم الحكومات الأسلحة النووية؛ لأنه في اللحظة التي يضغطون فيها على الزر، سيفعل أعداؤهم المثل. إن خطر الانتقام يمثل رادعا كبيرا للغاية. لكن لا يوجد أي خطر انتقام أو دمار متبادل أكيد مع الكرسي. فأول حكومة أو شركة أو فرد سيستخدمه بشكل ناجح واستراتيجي - سواء لتغيير نتيجة حرب أو اغتيال ديكتاتور مات منذ زمن طويل أو أيا كان - سيفوز."

تقول هيلينا: "معنى كلامك أنه من مصلحة الجميع استخدام الكرسي."

"بالضبط. وبأسرع ما يمكن. أيا كان من سيعيد كتابة التاريخ لمصلحته أولا، سيفوز. إنها مقامرة كبيرة جدا أن تدع شخصا آخر يصل إلى هناك أولاً."

تلقي هيلينا نظرة إلى التليفزيون مرة أخرى.

الآن تحترق ناطحة سحاب (ترانس-أمريكا بيراميد) في حيّ المال والأعمال بسان فرانسيسكو.

تقول هيلينا: "يمكن أن تكون حكومة أجنبية وراء هذه الهجمات.."

"لا.." يقول ألبرت، وهو يفحص هاتفه. "ثمة مجموعة مجهولة الاسم زعمت للتوّ مسؤوليتها على تويتر."

"وماذا يريدون؟"

"لا فكرة لديّ. غالبا مجرد خلق الفوضى والذعر في حد ذاته هو غاية اللعبة."

والآن تظهر امرأة على الشاشة جالسة إلى مكتب قراءة الأخبار، تبدو مهزوزة وهي تتحدث إلى الكاميرا.

يقول شو: "ارفع الصوت يا ألبرت."

"وسط التقارير المتضاربة عن هجمات إرهابية في نيويورك وسان فرانسيسكو، نُشر للتوّ تقرير من جلين جرينوالد صحفي جريدة الجارديان، يزعم أن الحكومة الأمريكية تمتلك تكنولوجيا جديدة تُدعى كرسي الذاكرة منذ ستة أشهر على الأقل، والتي قامت بقرصنتها من إحدى الشركات الخاصة. ويؤكد السيد جرينوالد أن الكرسي يسمح لوعي شاغله بالسفر إلى الماضي، ووفقا لمصادره السرية، فإن هذا الكرسي هو السبب الفعلي لمتلازمة الذاكرة الزائفة، العَرَض الغامض..."

يُسكت ألبرت التلفاز.

ويقول: "يجب أن نفعل شيئا الآن فورا. في أي لحظة، يمكن أن يتحول بنا الواقع إلى عالم مختلف كلية، أو نخرج من الوجود تماما."

كان شو يذرع الغرفة جيئة وذهابا، لكنه الآن ينهار في مقعده وينظر إلى هيلينا: "كان ينبغي أن أنصت إليكِ."

"ليس الآن وقت ال..."

"اعتقدت أننا يمكننا استخدامه من أجل الخير. كنت على استعداد لتكريس بقية..."

"لا يهم. لو فعلتَ ما قلتُه ودمرتَ الكرسي، لكنا عاجزين الآن."

يلقي شو نظرة على هاتفه. "رؤسائي في طريقهم."

تسأل هيلينا: "كم أمامنا من وقت؟"

"هم على متن طائرة قادمة من واشنطن العاصمة، لذا أمامنا حوالي ثلاثون دقيقة. سيتولون كل شيء."

يقول ألبرت: "لن يُسمح لنا أبدا بالعودة إلى هنا..."

يقول شو: "دعونا نرسل تيموني إلى الماضي..."

يسأل ألبرت: "إلى متى؟"

"إلى ما قبل اختراق مختبر سليد. الآن بما أننا نعرف موقع هذا المبنى، يمكننا مهاجمته أولا. لن يكون هناك سطو عن طريق الإنترنت، وسنكون الأوصياء الوحيدين على الكرسي."

يقول ألبرت: "حتى نصل من جديد إلى هذه اللحظة، وعندئذ سيتذكر العالم كل الفوضى التي حدثت هذا الصباح."

تقول هيلينا: "وسيقوم الناس الذين يملكون الكرسي حاليا فقط بإعادة صنع الكرسي من الذاكرة الزائفة. مثلما فعل سليد. سيكون الأمر أصعب بدون التخطيطات، لكنه ليس مستحيلا. ما نحتاجه هو المزيد من الوقت."

تنهض هيلينا وتتوجه نحو البوابة الحاسوبية، حيث تتناول خوذة وتصعد إلى الكرسي.

يسألها شو: "ماذا تفعلين؟"

"كيف يبدو الأمر؟ راج؟ هل ستأتي وتساعدني؟ أحتاج إلى رسم خريطة ذكرى."

يتبادل راج وشو وألبرت نظرات عبر المائدة.

يسألها شو مرة أخرى: "ماذا تفعلين يا هيلينا؟"

"أقوم بإخراجنا من هذه الورطة."

"كيف؟"

تصرخ: "**هل يمكنك فقط أن تثق بي يا جون؟** الوقت ينفد منا. لقد وقفت بجانبك، وقدمت النصح، ولعبت وفقا لقواعدك **أنت**. والآن دورك كي تلعب وفق قواعدي."

يتنهد شو، شاعرا بالتضاؤل. هي تعلم ألم إفلات ما يعد به الكرسي. لا يتعلق الأمر فقط بإحباط كل الاستخدامات العلمية والإنسانية غير المتحققة التي كان يمكن أن يُستخدم لأجلها في ظل ظروف مثالية. بل هو إدراك أنه، كجنس معيب على نحو عميق، لن نكون مستعدين أبدا للسيطرة على مثل هذه القوة.

"طيب.." يقول أخيرا. "راج، شغّل الكرسي."

إنه أول طعم حقيقي للحرية عرفته الفتاة على الإطلاق.

في بداية المساء، تخرج سائرة من البيت الريفي ذي الطابقين وتركب السيارة ذات اللونين الأزرق والأبيض ماركة تشيفروليه سيلفرادو موديل *78*، وهي سيارة العائلة الوحيدة.

لم تتوقع قط أن يعطيها والداها سيارة عندما أكملت السادسة عشرة منذ يومين. وخطتها هي أن تعمل الصيف القادم في حراسة

الشواطئ ومجالسة الأطفال، على أمل أن تكسب ما يكفي من المال لشراء سيارتها الخاصة.

والداها واقفان على الشرفة الأمامية التي تبدو دائما متدلية قليلا، يراقبانها بفخر وهي تضع المفتاح في وضع التشغيل.

تتناول أمها كاميرا ماركة بولارويد.

وإذ يهدر المحرك عائدا إلى الحياة، فإن أكثر ما يدهشها هو خواء الشاحنة.

ليس هناك بابا يجلس في المقعد الأمامي.

ولا ماما بينهما.

هي فقط.

يمكنها الاستماع إلى أي موسيقى تريدها، بقدر ما تريد من صوت عال. يمكنها الذهاب إلى أي مكان تريده، والقيادة بالسرعة التي تريدها.

بالطبع لن تفعل هذا.

في رحلتها الأولى، خطتها هي أن تغامر بالدخول في البراري الخطرة والنائية لمحل البقالة، على مبعدة ميل ونصف سيرا في الطريق.

ممتلئة بالطاقة، تتحرك بالشاحنة وتسرعها رويدا عبر ممر السيارات الطويل، وتدلي ذراعها الأيسر من النافذة لتلوح لوالديها.

الطريق الريفي الممتد أمام بيتها خالٍ.

تخرج إلى الطريق وتفتح الراديو. الأغنية الجديدة لجورج مايكل "Faith" تذاع من محطة راديو الكلية من مدينة بولدر، وتغني هيلينا مع الأغنية بعلوّ صوتها بينما تنطلق مسرعة مارة بالحقول

المفتوحـة، وإحساسـها بالمسـتقبل أقـرب مـن أي وقـت مـضى. وكأنـه قـد حـل بالفعـل.

تتوهـج أضـواء محطـة الغـاز عـلى البُعـد، وبينـما ترفـع قدمهـا عـن بـدال الفرامـل، تشـعر بـألم لاذع خلـف عينيهـا.

تتشـوش رؤيتهـا، تنبـض رأسـها بقـوة، وبالـكاد تتفـادى اصطـدام الشـاحنة بمضخـات الغـاز.

في مسـاحة لصـف السـيارات إلى جـوار المتجـر، تطفـئ المحـرك وتضغـط بإبهاميهـا عـلى صدغيهـا في مواجهـة الألم الحـارق، لكنـه يسـتمر في التصاعد والتصاعـد - ألم شـديد للغايـة حتـى أنهـا تخـشى أن تكـون مقبلـة عـلى المـرض.

وعندئذ يحدث أغرب شيء على الإطلاق.

يتحرك ذراعها الأيمن نحو عمود التوجيه ويقبض على المفاتيح.

تقول: "ما هذا بحق الجحيم؟"

لأنها لم تحرك ذراعها.

بعـد ذلـك، تراقـب رسغها وهـو يديـر المفتـاح ويعيـد تشـغيل المحـرك، والآن تتحـرك يدهـا في اتجـاه ذراع نقـل السرعـة وينقـل الرافعـة إلى عكـس الاتجاه.

ضـد إرادتهـا، تنظـر مـن فـوق كتفهـا، مـن النافـذة الخلفيـة، راجعـة بالشـاحنة عـبر أرض صـف السـيارات، وبعـد ذلـك تنتقـل إلى القيـادة.

تظـل تفكـر: أنـا لا أقـود، أنـا لا أفعـل أي شيء مـن هـذا، بينـما تـسرع الشـاحنة في الطريـق السريـع عائـدة إلى البيـت.

يزحـف ظـلام مـا عنـد حـواف رؤيتهـا، تبتعـد كليـة فرونـت رينـج وتخفـت أضـواء مدينـة بولـدر وتتضـاءل، وكأنهـا تسـقط ببـطء داخـل بـئر

عميق. تريد أن تصرخ، أن تمنع هذا من الحدوث، لكنها مجرد راكبة في جسدها الآن، غير قادرة على أن تتحدث أو تشم أو تشعر بشيء.

صوت الراديو لا يزيد عن همس محتضر إلا قليلا، وبغتة، ينطفئ بصيص الضوء الذي كان هو كل وعيها بالعالم.

مكتبة
t.me/t_pdf

هيلينا

15 أكتوبر 1986

تغادر هيلينا الطريق الريفي إلى ممر السيارات المؤدي إلى البيت الريفي ذي الطابقين الذي شبت فيه، شاعرة بارتياح أكبر مع مرور كل لحظة في هذه النسخة الأصغر سنا من ذاتها.

يبدو البيت الريفي أصغر حجما، أقل روعة بكثير مما كانت تتذكره به في عين عقلها، ويقف هشا على نحو لا يمكن إنكاره في مواجهة حائط أزرق من الجبال التي ترتفع عاليا من قلب السهول، على مبعدة عشرة أميال.

تصف السيارة وتطفئ المحرك وتنظر في مرآة الرؤية الخلفية إلى وجهها في السادسة عشرة.

بلا خطوط.

كثير من النمش.

عينان صافيتان وخضراوتان ولامعتان.

مازالت طفلة.

يصدر الباب صريرا إذ تدفعه بكتفها لتفتحه وتخطو على العشب. يحمل النسيم ذلك الخصب الحلو الرطب لمزرعة ألبان قريبة، وهي بلا شك أكثر رائحة ترتبط لديها بالبيت.

تشعر بخفة شديدة في قدميها وهي تصعد درجات الشرفة المهترئة بفعل العوامل الجوية.

الضجيج الخافت للتليفزيون هو أول ما تسمعه بينما تجذب الباب الأمامي لتفتحه وتخطو إلى الداخل. وفي نهاية المدخل الذي يمتد مارا بالسلالم، تسمع حركة في المطبخ - تقليب وخلط، قعقعة أوانٍ وجريان ماء. يفوح البيت كله برائحة دجاج يُشوى في الفرن.

تسترق هيلينا النظر داخل حجرة المعيشة.

والدها جالس في مقعده الكبير رافعا قدميه على مسند المقعد، يفعل ما فعله مساء كل عطلة نهاية أسبوع في صباها - يشاهد برنامج (وورلد نيوز تونايت).

بيتر جيننجز يقرأ تقريرا عن فوز إيلي ڤيزيل بجائزة نوبل للسلام.

يسألها والدها: "كيف كانت رحلة قيادتك؟"

تدرك هيلينا أن الأطفال دائما ما يكونون أصغر وأكثر استغراقا في أنفسهم من أن يروا بالفعل آباءهم في أوج حياتهم. لكنها ترى أباها في هذه اللحظة كما لم تره من قبل قط.

شاب جدا ووسيم.

لم يبلغ حتى الأربعين.

لا يمكنها أن ترفع عينيها عنه.

"كانت متعة كبيرة." يبدو صوتها غريبا عليها - عاليا ورقيقا.

يعـود بناظريـه إلى جهـاز التليفزيـون وتفوتـه رؤيتهـا وهـي تمسـح الدمـوع مـن عينيهـا.

"لا أحتـاج الشـاحنة غـدا، لـذا راجعـي الأمـر مـع مامـا، وإذا لم تكـن بحاجـة إليهـا أيضـا، يمكنـك أن تسـتقليها إلى المدرسـة."

يبدو هذا الواقع أقوى وأكثر متانة مع كل لحظة.

تقترب من المقعد، وتميل منحنية، وتلف ذراعيها حول عنقه.

يسألها: "لمَ هذا؟"

تـذوب تقريبـا مـن رائحـة عطـر أولـد سـبايس وخشـونة لحيتـه الخفيفـة البادئـة للتـوّ في النمـو كـورق السـنفرة.

تهمس: "لكونك بابا.."

تسـير عـبر حجـرة الطعـام وتدخـل المطبـخ، لتجـد أمهـا مائلـة بظهرهـا مسـتندة إلى المنضـدة، تدخـن سـيجارة وتقـرأ روايـة عاطفيـة بغـلاف ورقـي.

في المـرة الأخـيرة التـي رأتهـا فيهـا هيلينـا كانـت في مركـز لرعايـة الكبـار قـرب مدينـة بولـدر، بعـد أربـع وعشريـن سـنة مـن الآن، جسـدها هزيـل، وعقلهـا خَـرِب.

مـازال كل هـذا سيحدث، لكـن في هـذه اللحظـة، هـي ترتـدي بنطـالا مـن الجينـز الأزرق وبلـوزة بـأزرار. شـعرها عـلى موضـة الثمانينيـات المليئة بالتموجـات وشـعر الناصيـة المتهـدل، وهـي في الـذروة القصـوى لحياتهـا.

تعبر هيلينا المطبخ الصغير وتجذب أمها في حضن قوي.

تبكي مرة أخرى، ولا يمكنها أن تتوقف.

"ما الخطب يا هيلينا؟"

"لا شيء."

"هل حدث شيء أثناء قيادتك؟"

تهز هيلينا رأسها. "أنا فقط منفعلة عاطفيا."

"لِمَ؟"

"لا أعرف حتى."

تشعر بيديّ أمها تتخلل شعرها وتشم العطر الذي كانت تضعه دائما - إيستي لودرز وايت لينن - مختلطا بلسعة دخان السيجارة.

تقول أمها: "التقدم في السن يمكن أن يكون مخيفا.."

يبدو من المستحيل أن تكون هنا. منذ لحظات، كانت تختنق في حوض عزل، على بُعد خمسة عشر ميلا وثلاثة وثلاثين عاما في المستقبل.

"هل تحتاجين لمساعدة في إعداد العشاء؟" تسألها هيلينا وهي تنسحب من حضنها أخيرا.

"لا، مازال أمام الدجاجة بعض الوقت حتى تنضج. هل أنت متأكدة أنك بخير؟"

"نعم."

"سأناديكِ عندما تكون جاهزة."

تتوجه هيلينا عبر المطبخ والصالة إلى أسفل السلم. درجاته أكثر انحدارا مما تتذكر، وأكثر صريرا.

حجرتها حطام.

مثلما كانت دائما.

ومثلما ستكون كل شققها ومكاتبها في المستقبل.

ترى قطعا من الثياب نسيت أمرها.

دب محشو بذراع واحد ستفقده في الكلية.

جهاز ووكمان، تفتحه لترى شريط الكاسيت الشفاف لألبوم *Listen Like Thieves* لفريق INXS.

تجلس إلى المكتب الصغير وتحدق عبر الزجاج المشوه بطريقة ساحرة في ألواح النافذة القديمة. المنظر هو أضواء دينفر، على مبعدة عشرين ميلا، والسهول الأرجوانية إلى الشرق، أما العالم الكبير المتوحش فيلوح من وراء هذا خفيا وغير مرئي. كانت كثيرا ما تجلس هنا، تحلم في يقظتها بما قد تصبح عليه حياتها.

لم يكن بمقدورها أبدا أن تتخيل إلى أي عمق ستصل.

يرقد كتاب علوم مفتوحا بجوار اختبار يؤدى في المنزل في علم الأحياء الخلوي سيكون عليها أن تنهيه الليلة.

في درج المنتصف، تجد كراسة تعبير باللونين الأسود والأبيض مكتوبا على غلافها الأمامي "هيلينا".

هذه الكراسة تتذكرها.

تفتحها صفحة وراء صفحة لتطالع خطها بالأحرف المتصلة في سن المراهقة.

ورغم أنها لم تفقد قط ذكرياتها من الخطوط الزمنية الماضية بعد الاستخدامات السابقة للكرسي، إلا أنها تحمل خوفا من إمكانية حدوثها الآن. هذه مياه مجهولة - فهي لم تسافر قط عائدة إلى هذا

البعد، أو داخل ذاتها وهي في سن صغيرة كهذه. هناك احتمال بأن تنسى ما جاءت من أجله، لماذا هي هنا.

تتناول قلما وتقلب صفحة بيضاء في المذكرة، وتكتب تاريخ اليوم، وتبدأ في كتابة ملحوظة لنفسها لتوضح كل شيء قد حدث في حيواتها السابقة:

عزيزتي هيلينا - في يوم *16* أبريل *2019*، سيتذكر العالم كرسي ذاكرة اخترعتيه. لديك *33* عاما كي تجدي طريقة لمنع هذا من الحدوث. أنتِ الشخص الوحيد الذي يمكنه منع هذا من الحدوث...

السِفر الخامس

عندما يموت شخص ما، يبدو فقط أنه يموت. لكنه مازال
حيا إلى حد كبير في الماضي...

لقد وُجدت كل اللحظات، الماضي، والحاضر، والمستقبل،
وستوجد دائما. إنه مجرد

وهم ذلك الذي لدينا على الأرض أن لحظة تتبع الأخرى،
مثل حبات في خيط، وأنه

بمجرد أن تمضي لحظة، فإنها تمضي للأبد.

كورت ڤونيجت، المسلخ رقم خمسة

باري

16 أبريل 2019

باري جالس في مقعد في الظل، يتطلع عبر غابة من الصبار السجواري في صحراء تحتضن ضوء الصباح.

الألم الحاد خلف عينيه يتراجع برحمة.

كان متمددا في الطابق السابع عشر لبناية في مانهاتن، تئز الرصاصات حوله وتغربل جسده فيتفجر الدم منه، عندما تراءى له وجه ابنته.

ثم ضربت رصاصة رأسه والآن ها هو ذا.

"باري." يلتفت لينظر إلى امرأة تجلس بجواره - لها شعر أحمر قصير، وعينان خضرواتان، وشحوب كِلتيّ[1]. هيلينا. "أنت تنزف."

(1) كلتي Celtic نسبة إلى شعوب هندوأوروبية قديمة كانت تستخدم اللغة الكلتية وتشمل على سبيل المثال الآيرلنديين والأسكتلنديين الغالين وأهل ويلز.

تناوله منديلا، يضعه على أنفه ليوقف الدماء.

"تكلم معي يا حبيبي.." تقول. "هذه أرض جديدة. قادم إليك ما يساوي ثلاثة وثلاثين عاما من الذكريات الميتة. ماذا يدور بعقلك الآن؟"

"لا أعرف. كنت... أحس كما لو كنت في ذلك الفندق للتوّ."

"فندق ماركوس سليد؟"

"نعم، أُطلق على الرصاص. كنت أحتضر. مازلت أشعر بالرصاصات تضربني. كنت أصرخ فيكِ كي تهربي. ثم وجدت نفسي هنا فجأة. وكأنه لم يمر أي وقت على الإطلاق. لكن ذكرياتي عن ذلك الفندق تبدو ميتة الآن. سوداء ورمادية."

"هل تشعر أنك تنتمي أكثر لباري الذي كان في ذلك الخط الزمني أم هذا الخط؟"

"ذلك الخط. ليست لديّ أي فكرة عن مكاني. الشيء المألوف الوحيد لي هو أنتِ."

"ستمتلك ذكريات هذا الخط الزمني حالا."

"الكثير منها؟"

"عمر من الذكريات. لست واثقة مما ينتظرك. قد يكون صادما."

ينظر إلى سلسلة الجبال بُنية اللون. الصحراء تزهر. والطيور تغرد. ليست هناك رياح، وبرودة الليل عالقة في الجو.

"لم أر هذا المكان من قبل."

"هذا بيتنا يا باري."

يأخذ لحظة ليستوعب هذه الجملة.

"ما اليوم؟"

"16 أبريـل 2019. في الخـط الزمنـي الـذي مـتَ فيـه، اسـتخدمتُ حـوض عـزل في داربـا لأعـود ثلاثـة وثلاثـين عامـا إلى 1986. وبعـد ذلـك عشـت حيـاتي كلهـا مـن جديـد، حتـى هـذه اللحظـة، محاولـة أن أجـد طريقـة لمنـع اليـوم مـن الحـدوث."

"ماذا يحدث اليوم؟"

"بعـد أن مـتَ في فنـدق سـليد، تسربـت معرفـة الكـرسي إلى الجمهـور، وجُـن جنـون العـالم. يومنـا هـذا هـو اليـوم الـذي سـيتذكر فيـه العـالم الأمـر كلـه. حتـى الآن، أنـا وأنـت الوحيـدان اللـذان يعرفـان."

يقول: "أشعر... شعورا غريبا."

يرفع كوبا من الماء المثلج من فوق المائدة ويشربه كله.

تبدأ يداه في الارتعاش.

تلاحـظ هيلينـا وتقـول: "لـو سـاء الأمـر، لـديّ هـذه." وترفـع حقنـة مغطـاة مـن فـوق المائـدة.

"ما هذا؟"

"مهدئ. فقط لو احتجت إليه."

يبدأ الأمر مثل عاصفة صيفية.

مجرد قطرة مطر أكثر من رائعة هنا وهناك.

هزيم رعد بعيد.

برق جاف ينقدح عبر الأفق.

وتسقط عليه الذكرى الأولى لهذا الخط الزمني.

في المرة الأولى التي رأى فيها هيلينا على الإطلاق صعدت على مقعد البار بجانبه في حانة وضيعة في بورتلاند، أوريجون، وقالت: "تبدو وكأنك تريد أن تدعوني إلى شراب." كان الوقت متأخرا، وكان هو ثملا، ولم تبدُ هي كشخص التقاه من قبل - في أوائل العشرينيات من عمرها لكنها بروح عجوز تمتلك أذكى عقل قابله في حياته. الألفة الفورية لكونه في حضرتها بدت... ليس فقط كأنه عرفها طوال حياته، لكن كأنه يصحو من النوم لأول مرة. ثرثرا حتى جاء وقت الطلب الأخير، وبعد ذلك اصطحبته عائدة به إلى النُزُل الرخيص الذي كانت تقيم فيه وضاجعته كما لو أنه اليوم الأخير على الأرض.

ذكرى أخرى...

كانا معا منذ عدة أشهر، وكان بالفعل قد وقع في حبها، عندما أخبرته أن بإمكانها معرفة المستقبل.

قال: "هراء."

قالت: "سأثبت لك هذا يوما ما."

لم تصنع من الحبة قبة. قالتها بطريقة عابرة، كنكتة تقريبا، ونسي كل شيء عن زعمها ذاك حتى ديسمبر من عام *1990*. كانا يشاهدان الأخبار ذات ليلة، وأخبرته أنه في الشهر التالي ستُخرج الولايات المتحدة القوات العراقية من الكويت في حملة اسمها (عملية عاصفة الصحراء).

وكانت هناك أمثلة أخرى.

أثناء دخولهما إحدى دور السينما لمشاهدة (صمت الحملان)، أخبرته أن هذا الفيلم سيكتسح جوائز الأوسكار هذه المرة في العام القادم.

وفي ذلـك الربيـع، أجلسـته في الشـقة الصغـيرة التـي كانـا يعيشـان فيهـا، وأعطتـه جهـاز تسـجيل يُحمـل في اليـد، وغنـت لازمـة أغنيـة فريـق نرفانـا *"Smells Like Teen Spirit"* قبـل شـهرين مـن إصـدار الأغنيـة. ثـم سـجلت لنفسـها وهـي تخـبره أن حاكـم أركانسـاس سـيعلن ترشـحه كرئيـس للولايـات المتحـدة قبـل نهايـة العـام، وأنـه سـيفوز في العـام القـادم، متغلبـا عـلى الرئيـس الحـالي ومرشـح حـزب ثالـث قـوي.

كانـا معـا منـذ مـا يقـرب مـن عامـين عندمـا طلـب منهـا أن تخـبره كيـف أمكنهـا أن تعـرف هـذه الأشـياء. لم تكـن هـذه هـي المـرة الأولى التـي يسـألها فيهـا. كانـا جالسـين في بـار في سـياتل، يشـاهدان إعـلان نتائـج انتخابـات *1992* العامـة. وبسـبب الطريقـة التـي تعاملـت بهـا مـع الأمـر - مثبتـة مصداقيتهـا حتـى قبـل أن تطلـب مـن بـاري أن يصـدق قصـة مجنونـة عـن كـرسي ذاكـرة ومسـتقبل عاشـاه بالفعـل - صدَّقهـا، حتـى عندمـا أخبرتـه أنـه لـن يتذكـر أيـا مـن حيواتـه الماضيـة لمـدة سـبعة وعشريـن عامـا أخـرى، وأن التكنولوجيـا المناسـبة لهـا كي تصنـع الكـرسي لـن توجـد قبـل خمسـة عـشر عامـا أخـرى.

تسأله هيلينا: "هل أنت بخير؟"

يعـود تركيـزه في الحـال، جالسـا في باحتهـما الخرسـانية، مراقبـا نحلـة تحـوم حـول بقايـا إفطـار.

يقول: "إنه أغرب شعور.."

"هل يمكنك محاولة وصفه؟"

"إنـه أشـبه بـــ.. شـخصان منفصـلان، وعيان مختلفـان، بتواريـخ وخبرات مختلفـة إلى حـد كبـير، يختلطـان بداخلي."

"هل أحدهما أكثر هيمنة من الآخر؟"

"لا. في البداية شعرت كأني الشخص الذي أُطلق عليه الرصاص في الفندق، لكني الآن أشعر بالارتياح في هذا الواقع بنفس القدر."

إن تذكر عمر كامل في غضون ستين ثانية هو شيء كالجحيم.

يواجه موجة تسونامي من الذكريات، لكنها اللحظات الهادئة تلك التي تضرب بقوة أكثر...

ليلة كريسماس يتساقط فيها الثلج، يقضيها مع هيلينا وأبويها في بيتهم الريفي في بولدر، وتنسى دوروثي وضع الديك الرومي في الفرن ويضحك الجميع على الموضوع ما عدا هيلينا، لأنها كانت تعرف أن هذه بداية تدهور أمها العقلي.

حفل زفافهما في جزيرة أروبا.

رحلة، هما الاثنان فقط، إلى أنتاركتيكا في صيف عام *2001* ليشاهدا هجرة طيور البطريق الإمبراطور، والتي سيرى كلاهما أنها أفضل لحظة في حياتهما معًا - استراحة قصيرة من السباق المستمر دومًا لإصلاح المستقبل الذي يلوح في الأفق.

العديد من الشجارات المريرة عن الإنجاب وإصرار هيلينا على ألا يجلبا طفلا إلى عالم من المحتمل أن يدمر نفسه خلال عِقدين.

جنازات أمه، وأمها، وآخرها جنازة أبيها.

المرة التي سألت فيها باري إن كان يريد أن يعرف أي شيء عن حياته القديمة، وقول باري أنه لا يريد أن يعرف أي واقع غير هذا.

المرة الأولى التي أثبتت فيها قوة الكرسي.

والآن يصل القوس الكامل لزمنهما معا إلى بؤرة التركيز.

قضيا حياتهما يبنيان كرسي الذاكرة في السر ويحاولان أن يجدا طريقة لمنع العالم من تذكر طريقة بنائه. رغم أن الكرسي قد

استُخدم في مناسبات لا حصر لها في خطوط زمنية سابقة، إلا أن الاستخدام "الأخير" للكرسي بواسطة هيلينا (في مختبر داربا) تجاوز كل نقاط ذكريات الذاكرة الزائفة الأخرى. وهو ما كان يعني أنه لا أحد، ولا حتى سليد، سيمتلك معرفة بهذه الخطوط الزمنية السابقة.

حتى *16* أبريل *2019*.

عندئذ، وعندئذ فقط، ستأتي الذكريات الزائفة لكل ما حدث لتهبط هبوطا ساحقا على الجميع.

بثروة راكماها قبل عام *2001*، أصبح لديهما كرسي قابل للتشغيل قبل بداية عام *2007*.

بمجرد الانتهاء من بناء الكرسي، قضيا عِقدا يجريان تجارب عليه ويصوران مخ أحدهما الآخر، دارسين النشاط العصبي في لحظة حدوث تحول الواقع وتدفق الذكريات الميتة، باحثين عن الشلال العصبي المصاحب من المعلومات الجديدة.

كان أملهما أن يجدا طريقة لمنع الذكريات الميتة القادمة من خطوط زمنية أقدم من الالتماع المفاجي دون إضرار المخ. لكن كل ما أنجزاه كان تسجيل النشاط العصبي المرتبط بالذكريات الميتة. ولم يحققا أي تقدم في اتجاه العثور على وسيلة لحماية المخ من هذه الذكريات.

ينظر باري إلى زوجته طوال أربعة وعشرين عاما، شاعرا أنه رجل مختلف تماما عن ذلك الذي كانه فقط منذ لحظات.

يقول: "فشلنا.."

"نعم."

النصف الآخر من شخصه المزدوج، النصف الذي عاش كل لحظة من هذا الخط الزمني، قد مر للتوّ بالذكريات الزائفة لميجان وجوليا.

حياتـه كمحقـق في مدينـة نيويـورك. مـوت ابنتـه، طلاقـه وسـقوطه في الاكتئـاب والنـدم. مقابلـة سـليد ورجوعـه أحـد عـشر عامـا كي ينقـذ ميجـان. وفقدهـا مـرة ثانيـة. دخـول هيلينـا في حياتـه. علاقتهـما. موتـه في فنـدق سـليد.

تقول هيلينا: "أنت تبكي.."

"هذا كثير."

تقترب منه وتأخذ يده في يدها.

يقول: "أتذكرها أخيرا."

"ماذا؟"

"تلـك الحفنـة مـن الشـهور في نيويـورك معـك بعـد أن هاجمـت فنـدق سـليد مـع جويـن أول مـرة. أتذكـر نهايـة ذلـك الخـط الزمنـي، وأنـا أنحنـي وأُقبلـك بينـما كنـتِ طافيـة في حـوض العـزل، عـلى وشـك المـوت. كنـت أحبـك."

"كنت؟"

"بجنون."

يريـن عليهـما الهـدوء للحظـة، ينظـران فيهـا عـبر صحـراء سـونورا، تلـك البقعـة التـي أصبحـا يحبانهـا معـا - والمختلفـة للغايـة عـن غابـات الإقليـم الشـمالي الغـربي الهـادئ الوفـيرة في صبـاه والغابـات دائمـة الخـضرة في صبـا هيلينا .

كان هذا مكانا جيدا لهما.

تقول هيلينا: "ينبغي أن نلقي نظرة على الأخبار..."

يقول باري: "دعينا ننتظر.."

"وما نفع الانتظار؟"

"دعينا نعش قليلا على أمل ألا يتذكر شخص آخر؟"

"أنت تعرف أن هذا لن يحدث."

"كنتِ دائما الشخص الواقعي."

تبتسم هيلينا، والدموع تلتمع في زوايا عينيها.

ينهض باري من مقعده ويلتفت ليواجه ظهر بيتهما الصحراوي الواسع. بيت مشيد من التراب المدكوك وألواح الزجاج الكبيرة، ممتزجا بسلاسة مع محيطه.

يدخل ويجتاز المطبخ، مارا بمائدة حجرة الطعام، ليصل إلى مساحة الجلوس قرب التلفاز. يرفع الريموت، ويتردد بينما تخطو هيلينا حافية القدمين نحوه عبر البلاط البارد.

تأخذ الريموت من يده وتضغط على زر التشغيل.

أول ما يقرأه شريط بعرض أسفل الشاشة.

تقارير عن حالات انتحار جماعي عبر العالم.

تطلق هيلينا تنهيدة متألمة.

لقطات بكاميرا الهاتف الخلوي من شارع بمدينة تظهر أجسادا ترتد عن الرصيف مثل عاصفة برد مرعبة من نوع ما.

لقد تذكر العالم للتو، مثله مثل باري، الخط الزمني السابق عندما أصبح وجود الكرسي بمثابة معرفة عامة. الهجمات على مدينة نيويورك. الويكيليكس. الاستخدام واسع النطاق للكرسي عبر الكرة الأرضية.

يقول باري: "ربما سيكون كل شيء على ما يرام. ربما كان سليد على حق. ربما ستتأقلم البشرية وتتطور لتتقبل هذا."

تغير هيلينا القناة.

قارئ نشرة أخبار مرتبك المظهر يحاول أن يحتفظ ببعض بقايا الاحترافية. **"أصدرت روسيا والصين للتو بيانا مشتركا في الأمم المتحدة، تتهما فيه الولايات المتحدة بسرقة الواقع في محاولة لمنع الدول الأخرى من استخدام كرسي الذاكرة. وقد تعهدتا بإعادة بناء هذه التكنولوجيا فورا وحذرتا من أن أي استخدام آخر للكرسي سيُنظر إليه كعمل من أعمال الحرب. ولم ترد الولايات المتحدة حتى الآن..."**

تغير هيلينا القناة مرة أخرى.

قارئ أخبار آخر مصدوم: **"بالإضافة إلى حوادث الانتحار الجماعي، تبلغ المستشفيات في كل المدن الكبرى عن تدفق مرضى يعانون من الجامود - وهو حالة من الذهول دون استجابة تتسبب فيها..."**

تقاطعه زميلته في قراءة النشرة: **"آسفة لمقاطعتك يا ديفيد. أعلنت إدارة الطيران الفيدرالية... يا إلهي... عن تحطم أربعين طائرة تجارية في المجال الجوي الأمريكي في آخر خمس عشرة..."**

تطفئ هيلينا التليفزيون، وتلقي بالريموت على الأريكة، وتسير متجهة إلى البهو. يتبعها باري إلى الباب الأمامي، الذي تجذبه لتفتحه.

المنظر من الشرفة الأمامية يطل على مدق السيارات المفروش بالحصى والميل البسيط للصحراء إذ تنحدر لمسافة اثني عشر ميلا نحو مدينة توسون، التي تلمع مثل سراب على البُعد.

تقول: "مازال الجو هادئا للغاية. من الصعب أن تصدق أن كل شيء يسقط متفسخا هناك في الطرف الآخر."

الثلاثة والثلاثون عاما الأخيرة من وجود باري ترسي جذورها في عقله، لتبدو أكثر واقعية مع كل نَفَس. هو ليس الرجل الذي كان في فندق سليد. وهو ليس الرجل الذي قضى السنوات الأربع والعشرين

الأخيرة مع هيلينا، محاولا أن ينقذ العالم من المرور بهذا اليوم. هو، بطريقة ما، كلاهما.

يقول: "كان هناك جزء مني لم يصدق أن هذا ليحدث."

"نعم."

تلتفت هيلينا وتعانقه بقوة مفاجئة تدفعه إلى الوراء عدة خطوات نحو الباب.

يهمس: "أنا آسف.."

"لا أريد أن أفعل هذا."

"ماذا؟"

"هذا! حياتي! العودة إلى عام 1986، العثور عليك، إقناعك أني لست مجنونة. مراكمة ثروة. بناء الكرسي. محاولة منع الذكريات الميتة. الفشل. مشاهدة العالم وهو يتذكر. واللف والدوران من جديد. هل بقية حيواتي لن تكون أكثر من محاولة للعثور على طريقة للخروج من هذه الحلقة التي لا فكاك منها؟"

يرنو إليها، محتضنا وجهها بيديه. يقول: "لديّ فكرة. دعينا ننسى كل هذا."

"عم تتحدث؟"

"دعينا فقط نكون معا اليوم. دعينا نعش فقط."

"لا يمكننا. هذا هو كل ما يحدث. هذا هو الحقيقي."

"أعرف، لكن يمكننا الانتظار حتى الليلة إذا كنت ستعودين إلى عام 1986. نحن نعرف ما سيأتي بعد ذلك. ما يجب أن يحدث. لا حاجة لنا في الانشغال الزائد بالأمر. دعينا فقط نكن حاضرين للوقت المتبقي لنا معا."

ينطلقان في تمشيتهما المفضلة عبر الصحراء ليجبرا نفسيهما على البقاء بعيدا عن الأخبار.

الدرب الذي مهّداه عبر السنين، مباشرة من خلف بيتهما صاعدا إلى التلال المغطاة بالصبار السجواري العملاق.

يتصبب العرق من باري، لكن بذل الجهد هو ما كان يحتاجه بالضبط - شيء يحرق ويهضم صدمة الصباح السريالية.

عند الظهيرة، يعتليان قمة الصخرة التي تبرز أعلى بيتهما بعدة مئات من الأقدام، بيتهما غير الظاهر فعليا من هذا الارتفاع، متماهيا مع البساط الصحراوي.

يفتح باري حقيبة ظهره ويُخرج لترا من الماء. يتبادلانه بينهما ويحاولان التقاط أنفاسهما.

لا توجد أي حركة في أي مكان.

الصحراء صامتة ككاتدرائية.

يفكر باري أن هناك شيئا ما في الصخرة والصبار العتيق يوحي بالبقاء المجمد والسرمدي لذكرى ميتة.

ينظر إلى هيلينا.

تصب قليلا من الماء على وجهها وتناوله الزجاجة.

تقول: "قد أفعل هذا وحدي في المرة القادمة.."

"أهذا ما تجلسين هنا لتفكري فيه خلال ساعاتنا الأخيرة معا؟"

تلمس جانب وجهه. "لعقود، شاركتني عبء هذا الكرسي. كنت تعرف أن هذا اليوم آت، أنه ربما يعني نهاية كل شيء، وأني سأضطر إلى العودة إلى عام 1986 ومحاولة العمل على الأمر كله من جديد."

"هيلينا..."

"أردتَ أطفالا، ولم أُرد. ضحيتَ باهتماماتك كي تساعدني."

"كانت تلك اختياراتي كلها."

"في المرة القادمة، يمكنك أن تنال حياة مختلفة، دون معرفة ما هو آت. هذا كل ما أقوله. يمكنك الحصول على الأشياء التي كنت..."

"أتريدين أن تفعلي هذا بدوني؟"

"لا. أريد أن أتنفس نفس الهواء الذي تتنفسه كل دقيقة من كل يوم في حياتي، مهما يكن عدد الخطوط الزمنية التي أعيشها. لهذا وجدتك في المقام الأول. لكن هذا الكرسي هو صليبي الذي يجب أن أحمله."

"لا تحتاجين إليّ."

"ليس هذا ما أقوله. بالطبع أحتاجك. أحتاج حبك، أحتاج عقلك، ودعمك، كل شيء. لكني أحتاج منك أن تعرف..."

"هيلينا، لا تفعلي."

"دعني أقل هذا! يكفي أني مضطرة لرؤية الكرسي يدمر العالم بأسره. الناس يلقون بأنفسهم من فوق المباني بسبب شيء صنعته. شيء آخر أن أراه يدمر حياة الرجل الذي أحبه."

"الحياة معك ليست حياة مدمَّرة."

"لكنك تعرف أن هذا هو كل ما يمكن أن تكونه أبدا. عالقا في هذه الدائرة من الثلاثة وثلاثين عاما، محاولا أن تجد طريقة لمنع هذا اليوم من القدوم. كل ما أقوله هو أنه إذا كنت تريد فقط أن تعيش حياتك اللعينة دون ضغط محاولة إبقاء العالم سليما، فلا بأس."

"انظري إليّ."

كان الماء الذي نثرته على وجهها قد تشكل كحبات الخرز على طبقة الكريم الواقي من الشمس. يحدق في عينيها الزمرديتين، الصافيتين واللامعتين في الشمس.

"لا أعرف كيف تفعلين هذا يا هيلينا. لا أعرف كيف تحملين هذا الثقل. لكن طالما أنه على كتفيك، فهو على كتفيّ أيضا. سنجد طريقة لحل هذا. إن لم يكن في الحياة التالية، ففي الحياة التي بعدها. وإن لم يكن في تلك الحياة، ففي الحياة..."

تُقبله على قمة جبلهما.

يكونان على مسافة مائة ياردة من بيتهما عندما يتصاعد صوت طائرة هيليكوبتر وراءهما، وبعد ذلك تندفع كلمح البصر عبر سماء بداية الأصيل.

يتوقف باري ويراقبها وهي تحلق في اتجاه توسون.

يقول: "هذه (بلاك هوك). أتعجب ماذا يحدث في المدينة."

تميل الطائرة بشدة إلى اليسار وتبطئ من سرعتها الأفقية، عائدة الآن في اتجاههما بينما تهبط من ارتفاع خمسمائة قدم نحو الأرض.

تقول هيلينا: "إنهم قادمون من أجلنا."

يعدوان بأقصى سرعة نحو البيت، والبلاك هوك تحوم الآن على ارتفاع خمسة وسبعين قدما فوق أرض الصحراء، ومراوحها تهدر وتثير سحابة من الغبار والرمال، باري قريب بما يكفي لرؤية ثلاثة أزواج من السيقان تتدلى من كل جانب من جانبيّ الكابينة المفتوحة أعلى الزلاجات.

يصطـدم طـرف حـذاء هيلينـا بصخـرة نصـف مدفونـة وتسـقط سـقطة عنيفـة عـلى الـدرب. يرفعهـا بـاري مـن أسـفل ذراعيهـا ويعيدهـا واقفـة عـلى قدميهـا، والـدم يسـيل الآن مـن ركبتهـا اليمنـى.

يصرخ: "هيا!"

يمـران ببركـة الميـاه المالحـة ويصـلان إلى الباحـة التـي تنـاولا فيهـا الإفطـار.

تسـقط حبـال سـميكة مـن البـلاك هـوك أشـبه بالمخالـب، وينزلـق عليهـا الجنـود بالفعـل.

يدفـع بـاري البـاب الخلفـي، ويندفعـان عـبر المطبـخ وينعطفـان في الـرواق. وعـبر النوافـذ التـي تطـل عـلى الصحـراء في الناحيـة الأخـرى مـن البيـت، يـرى كتلـة مـن الجنـود المدججـين بالأسـلحة والـدروع مرتديـن الـزي الممـوه الصحـراوي يهرولـون عـبر المشـهد المحيـط في تشـكيل تكتيـكي نحـو البـاب الأمامـي.

هيلينا أمامه، تعرج بسبب السقطة.

يعـدوان ماريـن بحجـرة المكتـب وحجـرة الضيـوف، وعـبر نافـذة أخرى، يلمـح بـاري البـلاك هـوك تسـتقر عـلى المدق خلـف سـيارتيهما.

يتوقفـان حيـث تنتهـي الصالـة، وتضغـط هيلينـا عـلى إحـدى الصخـور في الحائـط المصنـوع مـن أحجـار النهـر، والـذي ينفتـح ليكشـف عـن فائدتـه السريـة كبـاب سري.

تنزلـق هـي وبـاري داخلـين بينـما يـرج صـوت انفجـار صغـير أرجـاء البيـت.

بعدئـذ يكونـا هـما الاثنـان فقـط، يلهثـان ليلتقطـا أنفاسـهما في الظـلام الدامس.

يهمس باري: "هم في البيت.."

"هل يمكنك أن تضيء النور؟"

يتحسس حوله حتى تخبط يده مفتاح الإضاءة.

"أواثقة من أنهم لن يروه."

"لا، لكني لا أستطيع أن أفعل هذا في الظلام."

ينقر باري المفتاح. يضيء مصباح كهربي واحد بلا مظلة معلق فوق رأسيهما. هما واقفان فيما يمكن أن يكون ردهة، أكبر بالكاد من خزانة مطبخ. الباب الداخلي له الحجم والشكل الأساسي لباب عادي، غير أنه يزن ستمائة رطل، ومصنوع من صفائح فولاذية مصفوفة في طبقات بسُمك بوصتين، وعند تفعيله، يطلق عشرة ترابيس هائلة في عضادة الباب.

تنقر هيلينا الشفرة على لوحة المفاتيح، ووقع خطوات نصف دستة جنود على الأقل يتحركون في اتجاههما عبر الرواق، يتصورهم باري وهم يقتربون من المحطة الأخيرة المصنوعة من أحجار النهر، ويغدو صدى الأصوات الهامسة ووقع الأحذية الثقيلة واحتكاك المعدات أقرب وأقرب.

يتردد في الصالة الطويلة صدى صوت صائح من أقصى البيت - ربما في جناحهما الرئيسي:

"لا أحد في الجانب الشرقي!"

"مستحيل. رأيناهما يدخلان البيت. هل راجعتم الخزانات جميعا؟ تحت الأسرَّة؟"

على الشاشة المضاءة، يراقب باري هيلينا بينما تنقر الرقم الأخير.

الطنـين عـالي الصـوت للـتروس الداخليـة يصبـح مسـموعا داخـل الردهـة، وربمـا تجاوزهـا، وتلتقـي نظـرة بـاري وهيلينـا المحدقـة بينـما تنسـحب الترابيـس العـشرة واحـدا وراء الآخـر مثـل رصاصـات مكتومـة.

يـأتي صـوت امـرأة عـبر الجانـب الآخـر مـن البـاب الـسري: "أسـمعتم هـذا؟"

"لقد جاء من داخل هذا الجدار."

يسـمع أصـوات تبـدو كأيـادٍ تمـر بسرعـة عـلى الحجـارة الصناعيـة. تجـذب هيلينـا البـاب الثقيـل لتفتحـه. يتبعهـا بـاري عـبر العتبـة إلى مـكان آخـر مظلـم، في اللحظـة التـي ينشـق فيهـا البـاب الـسري منفتحـا.

يصيح جندي: "هناك شيء ما هنا في الخلف!"

تجـذب هيلينـا بـاب القبـو لتوصـده، وتنقـر شـفرة الإغـلاق عـلى لوحـة المفاتيـح الموجـودة عـلى هـذا الجانـب، وتنطلـق الترابيـس العـشرة عائـدة إلى مكانهـا مـن جديـد.

وعندمـا تـضيء المصابيـح؛ تكشـف عـن سـلم معـدني ضيـق بشـكل خانـق، يلتـف هابطـا ثلاثـين قدمـا في جـوف الأرض.

تنخفض درجة الحرارة بينما يهبطان.

يدق الجنود بقوة على باب القبو.

يقول باري: "سيجدون طريقة لاختراقه.."

"إذًا فلنسرع."

بعـد ثلاثـة طوابـق تحـت الأرض، ينتهـي السـلم عنـد بـاب يـؤدي إلى مختـبر مسـاحته ألفـا قـدم مربـع، حيـث قضيـا أغلـب سـاعات يقظتهـما خـلال الخمسـة عـشر عامـا الماضيـة. إنـه، بـكل المعـاني والأشـكال، قبـو حصـين؛ بنظـام خـاص لإعـادة تدويـر الهـواء وترشـيحه، ونظـام كهربـائي

يـدار بالطاقـة الشمسـية قائـم بذاتـه، ومطبـخ كمطابـخ السـفن، وأماكـن للنـوم، ومـؤن مـن الطعـام والمـاء تكفـي لعـام.

يسألها باري: "كيف حال ساقك؟"

"لا يهم."

تعـرج مـارة بمقعـد (إيمـز) جلـدي، قامـا بتعديلـه ليصبـح كـرسي ذاكـرة، وبعـد ذلـك مسـاحة مـن المعمـل اسـتخدماها لتصويـر المـخ، ومكتبهـما لمعالجـة الذكريـات الميتـة.

تجلـس هيلينـا عنـد البوابـة الحاسـوبية وتُحمِّـل برنامـج إعـادة تنشـيط الذكريـات الـذي يحتفظـان بـه دائمـا عـلى وضـع الخمول تحسـبا للطـوارئ. وبمـا أنهـا قـد رسـمت بالفعل خريطـة ذكـرى قيادتهـا الأولى الفرديـة عندما أكملـت السادسـة عـشرة، يمكنهـا الذهـاب مبـاشرة إلى حـوض العـزل.

يقول باري: "ظننت أنه سيكون لدينا مزيد من الوقت اليوم.."

"وأنا أيضا."

يهـز تفجـير فوقهـما الأرض ويجلجـل الجـدران. وينهمـر غبـار جبـس مـن السـقف مثـل ثلـج ناعـم.

يهـرع بـاري عائـدا عـبر المختـبر إلى أسـفل السـلم. الهـواء مـليء بالغبار، لكنـه لا يسـمع أصواتـا قادمـة أو وقـع أقـدام بعـد.

وإذ يتحـرك عائـدا إلى المختـبر، يـرى هيلينـا تخلـع قميصهـا وحمالـة صدرهـا الرياضيـة، ثـم تنـزع سروالهـا القصـير عـن سـاقيها.

تقـف عاريـة أمامـه، تربـط الخـوذة، وسـاقها اليمنـى تنـزف، والدمـوع تنسـال عـلى وجههـا.

يتوجـه إلى زوجتـه ويعانقهـا بينـما يـرج انفجـار آخـر أسـاس مختبرهـما تحـت الأرض.

تقول: "لا تجعلهم يصلون إلى هنا.."

تمسح عينيها وتُقبله، وبعد ذلك يساعدها باري على دخول الحوض.

عندما تطفو في الماء، ينحني ناظرا إليها ويقول: "سأكون في ذلك البار في بورتلاند في أكتوبر من عام 1990، أنتظرك."

"لن تتعرف عليّ حتى."

"روحي تعرف روحك. في أي وقت."

يغلق الغطاء ويتوجه إلى البوابة الحاسوبية. لقد ساد الهدوء للحظة، ولا صوت غير طنين الخوادم الحاسوبية.

يُشغِّل برنامج إعادة التنشيط ويتكئ بظهره في المقعد، محاولا أن يركز تفكيره على ما سيحدث بعد ذلك.

انفجار مزلزل للأرض يشقق الجدران والأرضية الخرسانية أسفل قدميه، جاعلا باري يتساءل متعجبا إن كانت البلاك هوك قد أسقطت قنبلة على بيتهما.

يتدفق الدخان عبر فتحات التهوية، وترتعش ألواح الضوء الزجاجية، لكن برنامج إعادة التنشيط يستمر في العمل.

يتجه إلى السلم مرة أخرى - الطريق الوحيد لدخول المختبر أو الخروج منه.

الآن يسمع أصواتا في الأعلى ويرى أشعة ضوء تتأرجح عبر الدخان المليء بالغبار.

لقد اخترقوا باب القبو، وأحذيتهم الثقيلة تدوي على الدرجات المعدنية.

يصفـق بـاري البـاب المـؤدي إلى المختـبر ويديـر المـزلاج. إنـه مجـرد بـاب حريـق معـدني - بإمكانهـم ربمـا أن يركلـوه ويدخلـوا.

يعـود إلى البوابـة ويفحـص قـراءات الأجهـزة الحيويـة لهيلينـا. لقـد ماتـت منـذ عـدة دقائـق وأصبحـت القـراءات خطوطـا مسـتقيمة الآن.

شيء ما يضرب الجانب الآخر من الباب.

مرة أخرى.

ومرة أخرى.

ينطلق مدفع رشاش ويضرب المعدن حذاء آخر أو كتف أو عتلة.

يصمد الباب بطريقة إعجازية.

يقول باري: "هيا.."

يسـمع أصـوات تصيـح عـلى درجـات السـلم وبعـد ذلـك يـأتي انفجـار يصـم الآذان ويجعـل أذنيـه تصفـران - قنبلـة يدويـة أو قذيفـة.

يـتراءى حائـط مـن الدخـان في المـكان الـذي كان فيـه البـاب، ويخطـو عـبره جنـدي فـوق البـاب المسـطح عـلى الأرض، مسـددا بندقيـة آليـة نحـو بـاري.

يرفـع بـاري ذراعيـه فـوق رأسـه وينهـض ببـطء مـن المقعـد بينـما يتدفـق مزيـد مـن الجنـود داخـل المختـبر.

الشاشـة في البوابـة الحاسـوبية، التـي تعـرض حالـة المحفـزات، تومـض بتنبيـه: تـم الكشـف عـن إطـلاق ثنـائي ميثيـل التريبتامـين.

هيا. هيا.

داخـل الحـوض، هيلينـا تمـوت، ومخهـا يلقـي بآخـر قـدر مـن المـادة الكيميائيـة التـي سـتقذفها عائـدة ثلاثـة عقـود إلى ذكـرى صباهـا.

يتقدم الجندي القائد نحو باري، صائحا بشيء لا يمكنه فهمه بسبب الصفير في...

الدم يقطر من أنفه، صانعا فتحات صغيرة عنابية اللون في الجليد.

ينظر حوله إلى الأشجار الداكنة دائمة الخضرة، تتدلى أغصانها تحت ثقل العاصفة الأخيرة.

ينظر إلى هيلينا، شعرها مختلف عن المرة الأخيرة التي رآها فيها، في قبو مختبرهما بصحراء سونورا. شعرها الآن يتساوى فيه اللونان الأبيض والأحمر. وهي تطيله الآن وتربطه في ذيل حصان، ووجهها يبدو بشكل ما أكثر صلابة.

يسألها: "ما اليوم؟"

"16 أبريل 2019. الذكرى الثانية للخط الزمني منذ أن مت في حوض داربا."

يقفان مرتديين أحذية الجليد في فرجة غابة على جانب جبل منحدر، تطل على مدينة في سهل، على بعد عشرة أميال.

تقول هيلينا: "تلك دينفر. بنينا مختبرنا هنا حتى أكون قريبة من والديّ." وتنظر إليه: "لا شيء بعد؟"

"يبدو وكأني كنت في بيتنا في توسون منذ ثوانٍ حرفيا."

"آسفة أن أقول أنك انتقلت للتو من يوم 16 أبريل 2019 حقير، إلى آخر أحقر."

"عم تتحدثين؟"

"فشلنا مرة أخرى."

لقاؤهـما الأول في بـار بورتلانـد. لمـرة ثانيـة. ادعـاءات الاسـتبصار. لكنه وقـع في حبهـا بشـكل أسرع؛ لأنهـا بـدت تعرفـه أفضـل مـما يعرف نفسـه.

هجوم الذكريات أكثر حدة هذه المرة.

مؤلم تقريبا.

يسـقط عـلى الجليـد بينـما تـضرب مخـه السـنوات التسـع والعـشرون الماضيـة مـع هيلينـا كقطـار مـن الذكريـات.

قضيـا العِقـد السـابق عـلى وجـود التكنولوجيـا الكافيـة لبنـاء الكـرسي في دراسـة الزمـكان، وطبيعـة المـادة، والأبعـاد، والتشـابك الكمـيّ. تعلـما كل شيء أمكنهـما أن يتعلـماه عـن فيزيـاء الزمـن، لكـن ليـس مـا يكفـي. ليـس مـا يكفـي تقريبـا.

بعـد ذلـك استكشـفا طرقـا للسـفر عائديـن في الذاكـرة دون اسـتخدام الحـوض، باحثـين عـن طريقـة أسرع. لكـن في غيبـة العـزل الحـسي، كان كل مـا حققـاه هـو أن يقتـلا نفسـيهما مـرة بعـد مـرة.

وبعد ذلك تأتي الذكريات التي تكسره.

فقد أمه مرة أخرى.

الشـجارات مـع هيلينـا حـول عـدم الإنجـاب (لا بـد أن هـذا كان مثيرا لغيظهـا للمـرة الثانيـة).

الجنس، الحب، الحب الجميل.

لحظـات الإثـارة لمعرفتهـما أنهـما الشـخصان الوحيـدان في العـالم اللـذان يناضـلان لإنقـاذه.

لحظات الرعب من نفس الإدراك، ومن معرفة أنهما يفشلان.

وعندئـذ يمتـزج تمامـا بنفسـه. بـاري مـع ذكريـات الخطـوط الزمنيـة كلهـا.

ينظر إلى هيلينا. تجلس إلى جواره في الجليد، تحدق عبر ميل أفقي نحو المدينة بنفس تحديقة الجندي المتعب الجوفاء التي اكتسبتها طوال العام الماضي، عارفة أن هذا اليوم قادم إلا إذا حدثت معجزة.

بمقارنة هذا الخط الزمني الجديد بالخط السابق، فإن التغير في هيلينا مقلق، هذه النسخة منها تُعد تراجعا طفيفا عن النسخة السابقة، وأكثر ما يتضح هذا في اللحظات الأكثر هدوءا.

أقل صبرا.

أكثر نأيا.

أكثر غضبا.

أكثر اكتئابا.

أقسى.

ترى كيف كان الأمر بالنسبة لها، أن تعيش من جديد علاقة من البداية، بهذه المعرفة الكلية بنقاط ضعفها ونقاط قوتها، حتى قبل أن تبدأ؟ كيف تمكنت حتى من التواصل معه، مع سذاجته؟ لا بد وأن الأمر بدا أشبه بالحديث إلى طفل أحيانا، لأن الفجوة في وجهة النظر بين من كان باري منذ خمس دقائق ومن هو الآن بكل ذكرياته أشبه بهوة تفغر فاها - رغم أنه تقنيا مازال الشخص نفسه. فقط الآن هو نفسه بالفعل.

يقول: "أنا آسف يا هيلينا."

"علامَ؟"

"لا بد وأنه كان شيئا يبعث على الجنون، أن تعيشي علاقتنا مرة أخرى."

تبتسم تقريبا: "أردت أن أقتلك من وقت لآخر."

"هل مللتِ؟"

"إطلاقا."

يثقل السؤال الهواء.

يقول: "ليس عليكِ أن تفعليها مرة أخرى.."

"ماذا تقصد؟"

"معي."

تنظر إليه متألمة: "أتقول أنك لا تريد؟"

"ذلك ليس ما أقوله. على الإطلاق."

"لا بأس إن قلت."

مكتبة
t.me/t_pdf

"لم أقل."

تسأله: "هل تريد أن تكون معي مرة أخرى؟"

"أحبك."

"هذه ليست إجابة."

يقول: "أريد أن أقضي كل حياة معك. أخبرتك بهذا الأسبوع الماضي."

"الأمر مختلف الآن بما أن لديك ذكريات كاملة عن كل خط زمني. أليس كذلك؟"

"أنا معك يا هيلينا. نحن فقط خدشنا سطح فيزياء الوقت. هناك ما هو أكثر بكثير أمامنا كي نتعلمه."

يشعر بهاتفه يهتز في جيب سترته المبطنة بالفراء. كانت هذه التمشية الأخيرة معا إلى بقعتهما المفضلة تستحق الجهد، لكن ينبغي عليهما المغادرة الآن. العودة إلى الحضارة. مراقبة العالم وهو يتذكر ثم الهروب اللعين قبل أن يأتي الجنود سعيا وراءهما، رغم أنه يشك في

أن يعثروا عليه هو وهيلينا بهذه السرعة. فقد عاشا بهويتين جديدتين هذه المرة.

تُخرج هيلينا هاتفها وتفتح صفحة الشاشة الرئيسية.

تقول: "آه يا ربي!"

تجاهد كي تقف على قدميها، وتبدأ في العدو بحذاء الجليد الذي تنتعله، متحركة بصعوبة في طريق هبوطها عائدة على نفس الدرب.

يسألها: "ماذا تفعلين؟"

"علينا أن ننطلق!"

يصرخ وراءها: "ما الخطب؟"

ترد عليه صائحة: "سأتركك!"

ينهض بصعوبة وينطلق في إثرها.

إنه ربع ميل نزولا من التل عبر أشجار التنوب. يستمر هاتفه في الطنين - شخص ما يمطره بالرسائل النصية - وبالرغم من الحذاء الضخم، يصل إلى بداية الدرب في أقل من خمس دقائق، مرتميا على غطاء محرك سيارتهما الجيب، منقطع الأنفاس ومتعرقا في ملابسه الشتوية.

هيلينا بالفعل تصعد خلف عجلة القيادة، ويندفع هو في المقعد المجاور، وهو مازال يرتدي حذاء الجليد بينما تدير هي المحرك وتنطلق مسرعة من مكان صف السيارات الخالي إلا من سيارتهما، التي تدور إطاراتها بسرعة على الرصيف الثلجي.

"ماذا يحدث بحق الجحيم يا هيلينا؟"

"انظر إلى هاتفك."

ينتزعه من سترته.

ويقـرأ السـطور الأولى مـن رسـالة نصيـة طارئـة عـلى شاشـة الصفحـة الرئيسـية:

تنبيه طارئ

تهديـد بصواريـخ باليسـتية موجهـة إلى أهـداف عديـدة في الولايـات المتحـدة. ابحثـوا عـن ملجـأ فـوري. هـذا ليـس تدريبـا عسـكريا.

وينزلق بأصابعه إلى أسفل بحثا عن المزيد.

تقـول: "كان ينبغـي أن نتوقـع حـدوث هـذا. أتذكـر بيانهـما في الأمـم المتحـدة خـلال الخـط الزمنـي السـابق؟"

"'أي استخدام آخر للكرسي سيُنظر إليه كعمل من أعمال الحرب.'"

تقـود هيلينـا أسرع مـن الـلازم عـبر منحنـى حـاد، والإطـارات تنزلـق عـلى طبقـات الثلـوج المتراكمـة، ونظـام منـع انغـلاق المكابـح يبـدأ في العمـل.

"لو لففتِ بالجيب حول شجرة، لن نستطيع أبدا..."

"لقد شببت هنا، وأعرف كيف أقوم بالقيادة اللعينة في الجليد."

تنطلـق بالسـيارة كالسـهم في اتجـاه مسـتقيم، وأشـجار التنـوب المثقلـة بثلـج كثيـف تندفـع عـلى كلا الجانبـين بينـما يمـران بهـا والسـيارة تزعـق هابطـة الجبـل.

تقول هيلينا: "عليهم أن يهاجمونا.."

"لماذا تقولين هذا؟"

"لـكل الأسباب التـي تحدثنـا عنهـا عندمـا كنـت في (داربـا). السـيناريو الأسـوأ لـدى الجميـع هـو أن تقـوم بلـد واحـدة بإرسـال شـخص مـا نصـف

قرن إلى الوراء وإلغاء وجود المليارات من البشر. عليهم أن يضربونا بكل ما لديهم على أمل أن يدمروا الكرسي قبل أن نستخدمه."

تفتح هيلينا الراديو وتنطلق خارجة من المدخل المؤدي إلى المحمية الحكومية. كانا قد نزلا بالفعل ما يقرب من ألفي قدم، والثلج الوحيد الموجود على الأرض يتكون من بقع ذائبة في الظل.

"...**مقاطعة هذا البرنامج. هذه حالة طوارئ قومية. هناك تعليمات هامة فيما يلي.**" الصوت المسجل المرعب لنظام تنبيه الطوارئ يدوي داخل الجيب. "**الرسالة التالية تُبث بطلب من حكومة الولايات المتحدة. هذا ليس اختبارا. اكتشفت قيادة الدفاع الجوي لأمريكا الشمالية انطلاق صواريخ باليستية روسية وصينية عابرة للقارات. ومن المتوقع أن تضرب هذه الصواريخ أهدافا عديدة في القارة الأمريكية الشمالية خلال الدقائق العشر إلى الخمس عشرة القادمة. هذا تحذير من هجوم. أكرر. هذا تحذير من هجوم. تحذير من هجوم يعني أن هجوما فعليا ضد هذا البلد قد تم اكتشافه وأنه ينبغي اتخاذ إجراء وقائي. ينبغي على كل المواطنين اتخاذ ساتر فورا. تحركوا إلى قبو أو حجرة داخلية في الطابق الأدنى لأي مبنى قوي. ابقوا بعيدا عن النوافذ. إذا كنتم في الشارع أو في مركبة، توجهوا إلى ملجأ. إذا لم يكن أي من هذا متاحا، تمددوا في خندق أو منخفض آخر.**"

تزيد هيلينا السرعة إلى مائة ميل في الساعة على الطريق الريفي، تبتعد سفوح الجبال وراءهما في المرايا الجانبية والخلفية.

ينحني باري ويبدأ في حل الأحزمة التي تربط حذاء الجليد بحذاء المشي المرصع بالجليد.

وعندما يبلغان الطريق السريع، تدفع هيلينا المحرك إلى درجة الانهيار.

بعد ميل، يدخلان ضواحي المدينة.

مزيد ومزيد من السيارات واقفة على جانب الطريق، وقد تُركت أبوابها مفتوحة بينما هجرها سائقوها بحثا عن مخبأ.

تضغط هيلينا بقوة على الفرامل إذ يصبح الطريق مسدودا عبر كل حارات المرور. حشود من الناس تفر من سياراتها، قافزين من فوق السياج، ويتعثرون فوق جسر يشرف على جدول تجري مياهه ثقيلة وبُنِّية بذَوْب الثلج.

يتساءل باري: "هل يمكنك الوصول عبر هذا إلى المخرج القادم؟"

"لا أعرف."

تندفع هيلينا من جديد، مرواغةً الناس ومتحركة بالسيارة عبر حفنة من أبواب السيارات المفتوحة، يقتلعها المصد الأمامي للجيب كي تمر. منحدر الخروج إلى تفريعتهما لا يمكن اجتيازه، لذلك تناور بالجيب صاعدة تلا معشبا مائلا ومنه إلى جانب الطريق، منحشرة في النهاية بين شاحنة لخدمة البريد السريع وسيارة مكشوفة كي تصل إلى قمة المعبر.

على عكس الطريق السريع، كانت الجادة المشجرة فارغة تقريبا، وتسرع هيلينا في منتصف الطريق حتى يكاد يحترق المحرك بينما يدوي تنبيه آخر عبر السماعات.

مختبرهما في ليكوود، وهي ضاحية غربية في دينفر، في مبنى مشيد بالطوب الأحمر كان محطة إطفاء سابقا.

هما الآن على مبعدة ما يزيد على ميل فقط، وباري يحدق من النافذة، مفكرا كم هو غريب أن يرى مثل هذه الحركة القليلة في أي مكان.

لا توجد سيارات أخرى تسير على الطريق.

وتقريبا لا يوجد أشخاص هناك.

في تقديره، مرت على الأقل عشر دقائق منذ سمعا أول بث لتنبيه الطوارئ.

يلتفت إلى هيلينا ليقول ما قاله من قبل بالفعل؛ إنه يريد أن يفعل ذلك من جديد معها مهما يكن، عندما يلمح عبر نافذتها أسطع ضوء رآه في حياته - زهرة وهَّاجة تتفتح على الأفق الشرقي قرب كتلة ناطحات السحاب في وسط المدينة، وهج من الحدة بمكان حتى أنه يُلهب قرنيتيه بينما يضرب العالم على حين غرة.

يغدو وجه هيلينا مشعا، وكل شيء في مجال رؤيته، حتى السماء، يُستلب منه لونه، ويمتقع في بياض باهر حارق.

يصيبه العماء لخمس ثوان، وعندما يتمكن من الرؤية مرة أخرى، يحدث كل شيء فجأة.

ينفجر كل الزجاج في الجيب...

أشجار الصنوبر في منتزه يقع قبالتهما مباشرة تنحني بشدة على جانبيّ الطريق حتى تلمس رؤوسها الأرض...

حطام هيكلي من مجمع تجاري مفكك يتدفق عبر الطريق، مدفوعا بريح هوجاء...

رجل كان يدفع عربة تسوق على الرصيف ينقذف خمسين قدما في الهواء...

وبعد ذلك تنقلب سيارتهما الجيب، واحتكاك المعدن بالإسفلت يصم الآذان بينما يدفع بهما الارتجاج عبر الطريق، والشرارات تتطاير في وجه باري.

عندما تستقر الجيب عند الرصيف، تصل ضجة الانفجار، وهي أعلى صوت سمعه في حياته - علو صوت نهاية العالم، علو صوت

تحطم الصدور - وتمر فكرة واحدة ممزقة عقله: أن موجة صوت الانفجار وصلتهما أسرع من اللازم.

في غضون ثوان.

هما أقرب بكثير لنقطة الانفجار من أن يبقيا على قيد الحياة لوقت طويل.

يغدو كل شيء ثابتا.

أذناه تصفران.

ملابسه كلها موسومة بثقوب حلقات نارية مازالت تأكل النسيج.

ثمة إيصال في أحد تجويفات حمل أكواب القهوة احترق تماما.

الدخان يتدفق عبر فتحات التهوية.

الجيب مستقرة على جانبها الأيمن، وهو مازال مربوطا بحزامه إلى المقعد، يرى من جانب واحد ما تبقى من العالم. يمط رقبته كي يتطلع إلى هيلينا، التي مازالت مربوطة بحزامها خلف عجلة القيادة، ورأسها متدلٍ بلا حراك.

يهتف باسمها، لكنه لا يمكنه حتى أن يسمع صوته في رأسه.

لا شيء غير ذبذبة في حنجرته.

يفك حزام مقعده ويلتفت بألم ليواجه زوجته.

عيناها مغلقتان ووجهها أحمر متوهج، جانبه الأيسر مغطى بشظية زجاج من النافذة.

يمد يده ويفك حزام مقعدها، وعندما تسقط من المقعد عليه، تنفتح عيناها وتشهق فجأة.

تتحـرك شـفتاها، محاولـة أن تقـول شـيئا مـا، لكنهـا تتوقـف عندمـا تـدرك أن لا أحـد منهـما بإمكانـه أن يسـمع شـيئا، ترفـع يدهـا التـي احمـرَّت نتيجـة حـروق مـن الدرجـة الثانيـة وتشـير إلى النافـذة الأماميـة الخاليـة مـن الزجـاج.

يومـئ بـاري برأسـه، ويخرجـا عبرهـا، مجاهديـن في النهايـة كي يقفـا في منتصـف الطريـق، محاطـين بدمـار لا يمكـن إدراكـه إلا في الكوابيـس.

اختفت السماء.

تحولـت الأشـجار إلى هيـاكل عظميـة وأوراقهـا المنصهـرة تنجـرف سـاقطة منهـا كمطـر مـن نـار.

هيلينـا تمـضي بالفعـل متعـثرة في الطريـق. وبينـما يهـرع بـاري في أثرهـا، يلاحـظ يديـه لأول مـرة منـذ الانفجـار. هـما بنفـس لـون وجـه هيلينـا، وتتكـون عليهـما بالفعـل بثـور نتيجـة الوميـض الأبيـض السـاخن للإشـعاع الحـراري.

وعندمـا يرفـع يـده ليلمـس وجهـه ورأسـه، تخـرج فيهـا خصلـة مـن الشـعر.

ياللمسيح!

يدب الذعر.

يحـاذي هيلينـا، التـي تعـرج مهرولـة الآن عـلى الطريـق المرصـوف، المغطـى بحطـام يتصاعـد منـه الدخـان.

الجو مظلم ظلمة المساء، والشمس غير مرئية.

الألم يزحف.

في وجهه، في يديه، في عينيه.

تعاوده قدرته على السمع.

صوت خطواته.

صرخات جهاز إنذار سيارة.

شخص يصرخ ويبكي من بعيد.

الصمت الرهيب لمدينة مذهولة.

ينعطفـان في الشـارع التـالي، ويقـدر بـاري أنهـما مـازالا عـلى بُعـد نصـف ميـل مـن محطـة الإطفـاء.

تتوقف هيلينا فجأة، وتنحني، وتتقيأ في منتصف الشارع.

يحـاول أن يضـع يـده عـلى ظهرهـا، لكـن عندمـا يلمـس كفـه سـترتها، يبعدهـا بصـورة غريزيـة في ألم.

"أنا أحتضر يا باري. وأنت أيضا."

تعتدل واقفة، وتمسح فمها.

يتساقط شعر هيلينا، ويبدو صوت تنفسها متألما وغير منتظم.

بالضبط مثله.

يقول: "أعتقد أنه يمكننا أن ننجح في الأمر.."

"لا بد أن ننجح. لماذا كانوا ليضربون دينفر؟"

"إذا كانـوا قـد أطلقـوا ترسـانتهم كاملـة، فهـم يضربـون كل مدينـة كـبرى في أمريـكا، بـآلاف مـن رؤوس الصواريـخ، ربمـا عـلى أمـل أن يكونـوا محظوظـين ويدمـروا الكـرسي."

"ربما فعلوا."

يسـتمران في التحـرك، أقـرب إلى نقطـة سـقوط الصـاروخ بالنظـر إلى سـحابة الرمـاد والحريـق، التـي مازالـت تلتـف وتتصاعـد عـلى بُعـد غـير محـدد.

يمـران بحافلـة مدرسـية مقلوبـة، وقـد تحـول أصفرهـا إلى السـواد، وتحطـم زجاجهـا، وانبعثـت أصـوات الـصراخ مـن داخلهـا.

يبطـئ بـاري مـن حركتـه وينطلـق نحوهـا، لكـن هيلينـا تصيـح بـه: "الطريقـة الوحيـدة التـي يمكنـك مسـاعدتهم بهـا هـي أن نصـل إلى البيت."

يعلـم أنهـا عـلى حـق، لكـن يتطلـب الأمـر منـه كل طاقتـه كي لا يحـاول عـلى الأقـل أن يسـاعد، حتـى بكلمـة مواسـاة.

يقول: "أتمنى لو أننا لم نعش أبدا لنرى يوما كهذا."

يهـرولان ماريـن بشـجرة تحـترق، وقـد حمـل الانفجـار دراجـة بخاريـة وسـائقها ملقيـا بهـما في غصونهـا، عـلى ارتفـاع ثلاثـين قدمـا.

ثـم تظهـر امـرأة تترنـح صلعـاء وعاريـة في منتصـف الشـارع وجلدهـا متقـشر مثـل لحـاء شـجرة بتـولا وعيناهـا كبيرتـان وبيضـاوان بشـكل غـير طبيعـي، كـما لـو أنهـما قـد اتسـعتا لتسـتوعبا الرعـب المحيـط بهـا مـن كل جانـب. لكـن الحقيقـة أنهـا عميـاء.

"تجاهل هذا!" تقول هيلينا باكية. "سنغير هذا."

يشعر باري بطعم الدم في فمه، والألم يطوق عالمه ببطء.

يشعر وكأن أحشاءه تنصهر.

انفجار آخر، لكنه أبعد بكثير، يرج الأرض تحت أقدامهما.

"ها هي.." تقول هيلينا.

تربض محطة الإطفاء أمامهما مباشرة.

هما واقفان في منتصف حيِّهما، لكنه بالكاد لاحظ.

بسبب الألم.

والأغلب لأنه لا يبدو كشارعهما بأي حال من الأحوال.

كل بيــت مشــيد بالخشــب تســاوى بــالأرض، وانخلعــت خطــوط الكهربــاء، وهــب الهــواء اللافــح فحــرق الأشــجار وجردهــا مــن كل لمحــة خُــضرة.

تناثـرت المركبـات في كل مـكان - بعضهـا مقلوبـة عـلى رؤوسـها، وأخـرى عـلى جوانبهـا، وقلـة منهـا مازالـت تحترق.

تمطـر رمـادا وغبـارا إشـعاعيا سـيصيبهما بالتسـمم الإشـعاعي الحـاد إذا ظـلا في هـذه البقعـة مـن الجحيـم قبـل حلـول الليـل.

الحركـة الوحيـدة في أي مـكان تـأتي مـن أشـكال مسـودة تتلـوى عـلى الأرض.

في الشارع.

في الساحات الأمامية المختنقة بالدخان لما كانت بيوتا ذات يوم.

يشـعر بـاري بموجـة مـن الغثيـان العاجـز إذ يـدرك أن هـذه الأشـكال أشـخاص.

محطة الإطفاء خاصتهما مازالت قائمة.

النوافـذ محطمـة، محاجـر عيـون سـوداء فاغـرة، والطـوب الأحمـر تحـول إلى لـون الفحـم.

يغـدو الألم في وجـه ويـديّ بـاري حـادا بينـما يصعـدان السـلم إلى المدخـل ويدخـلان عـبر البـاب الأمامـي، الـذي يرقـد مشـقوقا ومسـطحا عـبر الردهـة.

رغـم الألم، فـإن صدمـة رؤيـة بيتهـما طـوال واحـد وعشريـن عامـا عـلى هـذا الحـال صدمـة مدمـرة.

يتقاطـر ضـوء ضعيـف عـبر النوافـذ، كاشـفا عـن مـكان مـن الخـراب التـام.

لقد انفجر أغلب الأثاث ببساطة.

تفـوح مـن المطبـخ رائحـة الغـاز الطبيعـي، وفي الركـن القـصي مـن المبنـى، يتدفـق الدخـان في خيـط رفيـع عـبر الـرواق المفتـوح إلى حجـرة نومهـما، حيـث يلـوح عـلى الجـدران ارتعـاش ألسـنة اللهـب.

وبينـما يندفعـان عـبر البيـت، يفقـد بـاري توازنـه في المدخـل المقنطـر بـين حجـرتيّ الطعـام والمعيشـة. يتشـبث بجانـب المدخـل ليمنـع نفسـه مـن السـقوط ويـصرخ في ألم، تـاركا خلفـه طبعـة كـف مـن الدمـاء والجلـد في المـكان الـذي وضـع فيـه يـده عـلى الحائـط.

المدخـل إلى مختبرهـما الآمـن بـاب قبـو آخـر، هـذه المـرة في مقصـورة التخزيـن الكبـيرة لمـا كان سـابقا حجـرة المكتـب. البـاب نفسـه متصـل إليكترونيـا ببقيـة البيـت، لـذا فـإن اسـتخدام لوحـة المفاتيـح مـن الخـارج. تفتـح هيلينـا تطبيـق كشـاف النـور في هاتفهـا وتنقـر المزيـج المكـون مـن خمسـة أرقـام يدويـا في شـبه الظـلام.

تمد يدها للعجلة، لكن باري يقول: "دعيني أقم بهذا."

"لا بأس."

"مازال عليك أن تموتي في الحوض."

"معقول."

يخطـو في اتجـاه البـاب ويمسـك المقبـض ذا الثـلاث شُـعَب، ويـئن متوجعـا بينـما يشـده ليلـوي العجلـة. لا شيء يتحـرك غـير طبقـات الجلـد التـي يتجـرد منهـا، وتخطـر لـه فكـرة مرعبـة - مـاذا لـو أن حـرارة الانفجـار قـد صهـرت الأجـزاء الداخليـة مـن البـاب؟ ثمـة رؤيـة ليومهـما الأخـير معـا - يطهيهـما الإشـعاع الحـراري ببـطء في القـشرة المحترقـة لمـا كان بيتهـما، غـير قادريـن عـلى الوصـول إلى الكـرسي، عارفـين أنهـما فشـلا. وعندمـا

يحـدث الانتقـال التـالي، لـو حـدث أصـلا، سـيختفيان مـن الوجـود تماما أو يكونـان في عـالم مـن صنـع شـخص آخـر.

تتزحزح العجلة، ثم تنصاع أخيرا.

تتراجـع الأقفـال وينفتـح البـاب متأرجحـا، كاشـفا سـلما حلزونيـا يهبـط مؤديـا إلى مختـبر مطابـق تقريبـا لذلـك الـذي شـيداه في الصحـراء خـارج توسـون. لكـن هنـا، وبـدلا مـن الحفـر في الأرض، فقـد بطَّنـا القبـو الحجـري لمحطـة الإطفـاء القديمـة بجـدران فولاذيـة.

ليس هناك ضوء.

يـترك بـاري جـزءا مـن يـده عـلى العجلـة بينـما يفلتهـا ويتبـع هيلينـا، هابطـين في حركـة حلزونيـة السـلم في الضـوء الهزيـل لهاتفهـا مدعومـا بفـلاش الكامـيرا.

المختبر صامت على نحو غريب.

لا طنين المراوح التي تبرد الخوادم.

ولا مضخـة الحـرارة التـي تُبقـي المـاء في حـوض العـزل في درجـة حـرارة ثابتـة تسـاوي درجـة حـرارة الجلـد البـشري.

يمسـح ضـوء الهاتـف الجـدران بينـما يتحـركان في اتجـاه نهايـة رف الخـادم الحاسـوبي، حيـث بنـك طاقـة مـن بطاريـات ليثيـوم أيـون هـي الـشيء الوحيـد المتوهـج في المختـبر.

يتوجـه بـاري إلى لوحـة مفاتيـح عـلى الحائـط تحـول الطاقة من الشـبكة الكهربائيـة إلى البطاريـات. يواجـه لحظـة أخـرى مـن الرعـب الخالـص، لأنه لـو كان الانفجـار قـد دمـر البطاريـات أو الموصـلات لأي مـن الأجهـزة، سـيكون كل هـذا بـلا جـدوى.

"باري؟" تقول هيلينا. "ماذا تنتظر؟"

ينقر المفاتيح.

تومض مصابيح أعلى رأسيهما.

تبدأ الخوادم في الطنين.

تجلس هيلينا بالفعل في بطء على المقعد عند البوابة الحاسوبية، التي كانت قد بدأت تتابعها التمهيدي.

تقول: "ستمنحنا البطاريات ثلاثين دقيقة من الطاقة فقط.."

"لدينا مولدات والكثير من الجاز."

"نعم، لكن سيتطلب الأمر زمنا حتى نعيد توجيه الطاقة."

يلقي بسترته المحترقة وبنطاله المبطن ويجلس على المقعد المجاور لهيلينا، التي تنقر بالفعل على لوحة المفاتيح بأسرع ما تسمح لها أطراف أصابعها المحروقة، والدم يسيل من زوايا فمها وعينيها.

وعندما تبدأ في التخلص من ملابسها الشتوية، يتوجه باري إلى الخزانة ويتناول الخوذة الوحيدة الباقية المشحونة بالكامل. يشغلها ويضعها بحرص على قمة رأس زوجته، التي امتلأت بالبثور.

الحروق من الدرجة الثانية في وجهه تدخل مجال الوجع الطاحن. هناك مورفين في خزانة الأدوية، يدعوه، لكن أيضا ليس هناك وقت.

تقول له: "سأنهي وضع الخوذة. فقط ائتِ بمنفذ الحقن."

يتناول منفذا ويفتحه، متأكدا من أن وصلة البلوتوث مع البوابة متصلة بالإنترنت.

في تناقض حاد مع يديها المسمرتين بالأشعة النووية، فإن ساعديّ هيلينا أبيضان وناعمان، حمتهما سترتها المبطنة بالفراء من الوميض الأول مع عدة طبقات من القمصان والملابس الداخلية الحرارية. يتطلب الأمر منه عدة محاولات بأصابعه التالفة كي يغرس الأنبوب في

وريدهـا. وأخـيرا يربـط المنفـذ بسـاعدها ويتوجـه إلى حـوض العـزل. المـاء أبـرد مـن درجـة الحـرارة المثاليـة 98.6 بدرجـة ونصـف، لكـن سـيتوجب أن تكـون كافيـة.

يرفـع الغطـاء ويلتفـت إلى هيلينـا، التـي تسـير متعـثرة في اتجاهـه كمـلاك مكسـور.

يعرف أنه لا يبدو أفضل حالا.

يقـول: "أتمنـى لـو كان باسـتطاعتي أن أقـوم بهـذا الجـزء التـالي بـدلا منـك.."

"فقـط سيكون هنـاك ألم لفـترة أطـول قليـلا.." تقـول والدموع تنسـكب عـلى وجنتيهـا. "عـلاوة عـلى ذلـك، أنـا أسـتحق هذا."

"هذا ليس صحيحا."

تقول: "ليس عليك أن تسلك هذا الطريق معي مرة أخرى."

"سأسلكه قدر ما يتطلبه من مرات."

"أأنت واثق؟"

"تماما."

تقبض على جانب الحوض وتؤرجح ساقها فوقه.

وعندما تلمس يداها الماء، تصرخ باكية.

يسألها باري: "ما الأمر؟"

"الملح. آه يا إلهي..."

"سأُحضر المورفين."

"لا، قد يفسد إعادة تنشيط الذكرى. فقط أسرع من فضلك."

"طيب. سأراك قريبا."

يغلق الغطاء على زوجته، التي تطفو معذَّبة في الماء المالح.

يندفع عائدا إلى البوابة، ويبدأ تسلسل الحقن. ومع إطلاق العقار المصيب بالشلل، يحاول أن يجلس، لكن الألم أكثر شمولا من أن يستطيع البقاء ساكنا.

يجتاز المختبر ويصعد السلم الحلزوني، ومنه إلى المكتب والبقايا التي فجرتها النيران من بيته هو وهيلينا.

هناك في الخارج على سلم محطة الإطفاء، الجو مظلم كالليل والسماء تمطر نتفا من النيران.

يهبط باري السلم ويسير خارجا إلى منتصف الشارع.

تتطاير جريدة محترقة عبر الرصيف.

وعلى الجانب الآخر من الطريق، يرقد هيكل مسود في الوضع الجنيني، متكوما قرب الرصيف في مستقره الأخيره.

هناك همس رياح ساخنة.

صراخ وأنات بعيدة.

ولا شيء آخر.

يبدو مستحيلا أنه منذ أقل من ساعة، كان يجلس في فرجة غابة مكسوة بالجليد على ارتفاع عشرة آلاف قدم، يطل على دينفر في ظهيرة ربيعية نموذجية.

لقد جعلنا تدمير أنفسنا أمرا أسهل من اللازم.

لم يعد بمقدوره التحمل أكثر من هذا.

تلتوي ركبتاه، ويسقط.

يجلس الآن في منتصف الشارع أمام محطة الإطفاء، مراقبا العالم وهو يحترق ومحاولا ألا يترك الألم يغلبه.

لقد مرت عدة دقائق منذ غادر المختبر.

هيلينا تحتضر في الحوض.

يتمدد على الإسفلت ويحدق في السماء السوداء إلى مطر النار المتساقط عليه.

يشق قضيب لامع من الألم مؤخرة جمجمته، ويميز موجة من الارتياح، عارفا أن هذا يعني أن النهاية قادمة، أن ثنائي ميثيل التريبتامين يغمر مخ هيلينا بينما تعود في النفق المؤدى إلى ذكرى سيرها نحو سيارة تشيفروليه باللونين الأبيض والأزرق كفتاة في السادسة عشرة من عمرها وحياتها بأكملها أمامها.

سيفعلان كل هذا من جديد، والأمل أن يكون على نحو أفضل في المرة القادمة.

وتدريجيا تسقط هباءات النار أبطأ وأبطأ، حتى تغدو معلقة في كل مكان حوله في الهواء مثل مليار حشرة مضيئة...

الجو بارد ورطب.

يشم ملح البحر.

يسمع الأمواج وهي ترتطم بالصخور والطيور تصرخ محلقة فوق المياه المفتوحة.

تتأرجح رؤيته حتى تثبت.

هناك شاطئ وعر على بُعد مائة ياردة، وضباب يمتد فوق المياه ذات الزرقة الرمادية، مشوشا أشجار الصنوبرية على البُعد، الأشجار التي تقف بطول الشاطئ مثل سطر من خط يد مضطرب.

اختفى ألم وجهه المنصهر.

هو جالس في زورق كاياك مرتديا بدلة سباحة مبتلة، وثمة مجداف على حجره، يمسح الدم عن أنفه ويتساءل أين يكون.

أين هيلينا؟

لماذا لا توجد ذكريات من هذا الخط الزمني بعد؟

كان متمددا في منتصف الشارع أمام محطة الإطفاء خاصتهما في دينفر منذ ثوان فقط، ناظرا في ألم بينما تمطر السماء نارا.

والآن هو... حيثما يكون. تبدو حياته أشبه بحلم، يرفرف من واقع إلى آخر، ذكريات تصبح واقعا يصبح كابوسا. كل شيء حقيقي في هذه اللحظة، لكنه عابر كذلك. بقاع من الأرض وعواطف في حالة تدفق دائمة، ومع ذلك ثمة منطق ملتوٍ فيها جميعا - بالطريقة التي يصبح للحلم معنى فقط عندما تكون بداخله.

يغمس مجدافا في الماء ويدفع بالكاياك إلى الأمام.

يتراءى أمامه خليج مظلل، حيث تنحدر الجزيرة صاعدة برفق عدة مئات من الأقدام عبر غابة من شجر التنوب الداكن، تتخلله ضربات فرشاة بيضاء من أشجار البتولا.

على الجانب الأدنى من التل، يقوم منزل على رقعة فسيحة من العشب الزمردي، محاطا ببنايات أصغر - مَضيفتان، برج مراقبة، نزولا إلى قرب الشاطئ حيث حظيرة قوارب ورصيف للرسو.

يجدف إلى داخل الخليج، وتتزايد سرعته مع اقترابه من الأرض، مندفعا بالكاياك إلى الشاطئ فوق قاع من الصخور المحطمة. وبينما

يجذب نفسه بصعوبة من تجويف الزورق، تسقط في عقله ذكرى واحدة - **الجلوس في ذلك البار في بورتلاند بينما تصعد هيلينا فوق مقعد البار إلى جواره للمرة الثالثة في وجودهما العجيب الاستعادي.**

"تبدو وكأنك تريد أن تدعوني إلي شراب."

كم يبدو غريبا أن تحمل ثلاث ذكريات مختلفة لما هو بالأساس نفس اللحظة من الزمان.

يتحرك حافيا عبر الشاطئ الصخري وفوق العشب، متأهبا لموجة مد الذكريات، لكنها تتأخر اليوم.

البيت مشيد على أساس حجري، وقد تحول الخشب إلى ما يشبه خشبا طافيا رماديا بفعل عقود من الملح والشمس والرياح والمياه القاسية.

كلب ضخم يأتي متقافزا نحوه عبر الساحة. إنه كلب أيائل أسكتلندي، بنفس لون كسوة البيت الحائلة بفعل العوامل الجوية، ويحيي باري بمحبة تسيل باللعاب، واقفا على ساقيه الخلفيتين ليلاقيه عينا بعين ويلعق وجهه.

يصعد باري السلم إلى الشرفة، التي تزهو بمنظر آسر للخليج والبحر من خلفه.

يفتح الباب الزجاجي الزلّاق، ويخطو داخلا حجرة معيشة دافئة مشيدة حول مدفأة حجرية قائمة بذاتها وتنهض مرتفعة وسط قلب البيت.

النار الصغيرة المشتعلة على الحامل الحديدي تملأ داخل البيت برائحة دخان الخشب المحترق.

"هيلينا؟"

لا أحد يرد.

يظل البيت صامتا.

يتحـرك عـبر مطبـخ ريـف فرنـسي بعـوارض مكشـوفة ودكـة تحيـط بمنضـدة كبـيرة مغلقـة الجوانـب وعليهـا خشـبة لتقطيـع اللحـم.

ثـم يقطـع ممـرا طويـلا مظلـما، شـاعرا كأنـه يتعـدى عـلى بيت شـخص آخـر. في نهايـة الممـر، يتوقـف عنـد مدخـل مكتـب مكـدس بشـكل يبعـث عـلى الراحـة. ثمـة موقـد حطـب، ونافـذة تطـل عـلى الغابـة، ومائـدة قديمة في وسـط الحجـرة تنـوء بحملهـا مـن أكـوام الكتـب. وبالقـرب منهـا تقـف سـبورة سـوداء، مغطـاة بمعـادلات غـير مفهومـة ورسـوم بيانيـة لمـا يبـدو أنهـا خطـوط زمنيـة متشـعبة بشـكل معقـد.

تهبط عليه الذكريات في لمحة عين.

في لحظة ليس هناك شيء.

وفي اللحظـة التاليـة، يعـرف أيـن هـو بالضبـط، والمسـار الكامـل لحياتـه منـذ وجدتـه هيلينـا، ومـاذا تعنـي المعـادلات الموجـودة عـلى السـبورة بالضبـط.

لأنه كتبها.

إنهـا اسـتقراءات لمصفوفـة شـڤارتسشـيلد؛ وهـي معادلـة تحـدد مـا يجـب أن يكونـه نصـف القطـر لأي شيء، بنـاء عـلى كتلتـه، لتكويـن نقطـة تفـرد. بعـد ذلـك تشـكل نقطـة التفـرد تلـك ثقبـا دودويـا أو جـسر آينشـتين-روزين يمكنـه، نظريـا، الربـط عـلى الفـور بـين مناطـق نائيـة مـن المـكان، وحتـى مـن الزمـان.

ولأن وعيـه القـادم مـن خطـوط زمنيـة سـابقة يمتـزج مـع وعيـه الخاص بهـذا الخـط، فـإن منظـوره لعملهـما خـلال السـنوات العـشر الماضيـة جديـد تمامـا ومألـوف بشـدة في نفـس الوقـت وعـلى نحـو متناقـض. يـراه في نفـس الوقـت بعينـين جديدتـين وفقـدان تـام للموضوعيـة.

قضى وقتا طويلا من حياته يدرس فيزياء الثقب الأسود. ورغم أن هيلينا كانت معه في البداية، إلا أنها خلال السنوات الخمس الماضية، ومع اقتراب يوم 16 أبريل 2019 دون أن يلوح في الأفق أي تقدم كبير، بدأت في الانسحاب.

معرفة أنها ستضطر إلى القيام بكل هذا مرة أخرى كسرتها ببساطة.

على زجاج النافذة المطلة على غابة الشجر، مازالت الأسئلة الجوهرية التي كتبها بقلم التأشير الفلوماستر الأسود منذ سنين عديدة تهزأ به، واقفة بلا إجابة...

ما هو نصف قطر شڤارتسشيلد لأي ذكرى؟

تصور مجنون... عندما نموت، هل تخلق الجاذبية الهائلة لذكرياتنا المنطوية ثقبا أسود متناهي الصغر؟

تصور أكثر جنونا... هل يقوم إجراء إعادة تنشيط الذكرى - في لحظة الموت - بفتح ثقب دودي يربط وعينا بنسخة أقدم من أنفسنا؟

سيفقد كل هذه المعرفة. ليس الأمر أنها كانت بالفعل أكثر من نظرية - محاولة لجذب الستار وفهم لماذا فعل كرسي هيلينا ما فعله. لا شيء من معرفته يعني أي شيء بدون اختبار علمي. فقط خلال السنتين الأخيرة خطر ببال باري أنه ينبغي عليهما أن يأخذا جهازهما إلى مختبر (سيرن) في جنيف بسويسرا، ويقتلا شخصا ما في الحوض في حضور كاشفات الجسيمات (لمُصادم الهدرونات الكبير)[1]. لو

(1) المسارع النووي الكبير أو مصادم الهدرونات الكبير هو أضخم مُعجِّل جسيمات وأعلاها طاقة وسرعة، يستخدم هذا السينكروترون لمصادمة جسيمات دون ذرية وهي البروتونات بطاقة تصل إلى 7 تيرا-إلكترون فولت.

أمكنهم أن يثبتوا ظهور المدخل لثقب دودي متناهي الصغر في اللحظة التي يموت فيها شخص ما في الحوض، وظهور مخرج ثقب دودي في اللحظة التي يولد فيها وعيه من جديد في جسده عند نقطة سابقة من الزمن؛ فقد يبدأوا في فهم الآليات الصحيحة لعودة الذكرى.

كرهت هيلينا الفكرة. لم تصدق أن مكافأة المعرفة تستحق المخاطرة بإخراج تقنيتهما إلى البرية من جديد، وهو ما سيحدث غالبا بشكل مؤكد لو تشاركا معرفتهما بالكرسي مع المجتمع العلمي المختص (بمُصادم الهدرونات الكبير). علاوة على ذلك، سيستغرق الأمر سنوات لإقناع السلطات العليا بالسماح لهما بالوصول إلى كاشف جسيمات، وسنوات فوق هذه، بالإضافة إلى فرق من العلماء لكتابة الخوارزميات والبرمجيات اللازمة لاستخراج البيانات الفيزيائية للنظام. وفي نهاية الأمر، سيكون الوضع أكثر صعوبة واستهلاكا للوقت كي يدرسا فيزياء الجسيم الخاصة بالكرسي مما كان ليغدو عليه لو صنعا ما يحتاجانه بالفعل.

لكن الوقت هو ما يملكانه.

"باري."

يلتفت.

تقف هيلينا في المدخل، وتأتي صدمة رؤية هذه النسخة من زوجته، على النقيض من النسختين السابقتين، لتدوي كجرس إنذار بداخله. تبدو أشبه بنسخة مفككة من المرأة التي يحبها - نحيلة للغاية، وعيناها مسودتان وخاويتان، وعظام محاجرها بارزة أكثر قليلا مما يجب.

ثمة ذكرى تهيمن على عقله - حاولت هيلينا أن تقتل نفسها منذ عامين. ومازالت الندوب البيضاء ظاهرة على ساعديها. وجدها في حوض الاستحمام القديم ذي الأقدام المخلبية في تجويف الحائط ذي

النوافذ المطلة على البحر، وقد تحول ماء الاستحمام إلى لون النبيذ. يتذكر كيف رفعها وهي ميتة تقريبا، وجسدها يقطر ماء، ووضعها على البلاط. كيف لف رسغيها محموما بشاش طبي في الوقت المناسب بالكاد لإيقاف النزيف.

كانت ميتة تقريبا.

أصعب ما في الأمر أنه لم يكن هناك شخص آخر يمكنها الحديث معه. ولا طبيب نفسي يمكنها أن تشاركه عبء وجودها. لم يكن لديها إلا باري، وكان ذنب عدم كفايته لها يأكله منذ سنوات.

في هذه اللحظة، وهو يحدق فيها واقفة في المدخل، يجتاحه إخلاصه لهذه المرأة.

يقول: "أنت أشجع شخص عرفته في حياتي."

ترفع هاتفها: "انطلقت الصواريخ منذ عشر دقائق. فشلنا مرة أخرى." تأخذ رشفة من كأس النبيذ الأحمر في يدها.

"لا ينبغي أن تشربي هذا قبل الدخول في الحوض."

تتجرع البقية الباقية في الكأس. "إنها مجرد رشفة لتهدئة أعصابي."

كان الوضع صعبا بينهما. لا يمكنه تذكر آخر مرة نام فيها في فراشها. آخر مرة مارسا فيها الجنس. آخر مرة ضحكا فيها على شيء غبي. لكنه لا يستطيع أن يحمل ضغينة تجاهها. بالنسبة له، تبدأ علاقتهما مع كل تكرار في بار بورتلاند، عندما يكون في الواحدة والعشرين من عمره وهي في العشرين. يقضيان تسعة وعشرين عاما معا، وبينما تبدو كل حلقة جديدة تماما بالنسبة له (حتى يصلا إلى هذه اللحظة المقدورة ويكتسب هو ذكريات الخطوط الزمنية السابقة)، أما من منظورها؛ فقد كانت مع نفس الرجل لمدة سبعة وثمانين عاما،

تعيـش مـن جديـد - مـرة بعـد مـرة - نفـس الامتـداد الزمنـي مـن عمرهـا في العشريـن إلى التاسـعة والأربعـين.

نفس المعارك.

مكتبة
t.me/t_pdf

نفس المخاوف.

نفس الديناميكية.

نفس... كل شيء.

لا مفاجآت حقيقية.

فقـط الآن، في هـذه اللحظـة القصـيرة، يكونـان متسـاويين. حاولـت هيلينـا أن تفسر سـابقا، لكنـه يفهـم أخـيرا، وهـذه المعرفـة تُذكـره بـشيء قالـه سـليد في مختـبره بالفنـدق، قبـل موتـه بالضبـط - **يتغـير منظـورك عندمـا تعيشـين حيـوات لا حـصر لهـا.**

ربمـا كان لـدى سـليد بعـض الحـق. لا يمكنـك حقـا أن تفهـم نفسـك حتـى تعيـش حيـوات كثـيرة. ربمـا لم يكـن الرجـل مجنونـا يهـذي تمامـا.

تخطو هيلينا داخلة الحجرة.

يسألها: "هل أنت مستعدة؟"

"هـل يمكنـك أن تسـترخي لدقيقـة لعينـة؟ لا أحـد سيرسـل صاروخـا نوويـا إلى سـاحل (مـين). ستسـقط بوسـطن ونيويـورك وميدويسـت، لكـن هـذا بعـد سـاعات."

لقـد تشـاجرا حـول هـذه اللحظـة ذاتهـا - عندمـا أصبـح واضحـا في آخـر سـنتين أنهـما لـن يجـدا حـلا في هـذه الحلقـة، دعـا بـاري إلى قتـل هـذا الخـط الزمنـي وإعـادة هيلينـا إلى الـوراء قبـل أن يتذكـر العـالم نهايتـه العنيفـة في الخـط الزمنـي السـابق، ويعـاني نهايـة جديـدة مـرة أخـرى في هـذا الخـط. لكـن هيلينـا رأت أنـه حتـى أقـل فرصـة لعـدم عـودة أي

ذكريات زائفة كانت لتستحق تركها لتجرب حظها. والأهم أنها أرادت، حتى لو لأقل فسحة من الوقت فقط، أن تكون مع نسخة باري الذي يتذكر كل الخطوط الزمنية وكل شيء مرا به معا. وإذا كان صادقا مع نفسه، فقد أراد ذلك أيضا.

هذه هي اللحظة الوحيدة في وجودهما المشترك بأكمله التي يمكنهما أن يكونا معا حقا فيها.

تتوجه إلى النافذة وتقف إلى جواره.

بإصبع واحد، تبدأ في محو الكتابة على الزجاج.

تقول: "كان هذا كله هباء، هه؟"

"كان ينبغي علينا أن نذهب إلى (سيرن)."

"وإذا ثبتت صحة نظريتك عن الثقب الدودي؟ ماذا إذًا؟"

"أنا أصر على اعتقادي في أننا لو تمكنا من فهم كيف ولماذا يمكن للكرسي أن يرسل وعينا عائدا إلى ذكرى ما، سنكون في مكان أفضل لمعرفة كيف نوقف الذكريات الزائفة."

"هل وضعت في اعتبارك أبدا إمكانية أن يكون هذا أمرا غير قابل للمعرفة؟"

يسألها: "هل تفقدين الأمل؟"

"أوه يا حبيبي، لقد ضاع منذ زمن طويل. بعيدا عن ألمي الشخصي، في كل مرة أعود فيها، أدمر وعي تلك الفتاة ذات الستة عشر عاما التي تسير خارجة إلى الشاحنة في لحظتها الأولى من الحرية الحقيقية. أقتلها مرة بعد مرة بعد مرة. هي لم تحصل قط على فرصة أن تعيش حياتها. بسبب ماركوس سليد. بسببي."

"إذًا دعيني أحمل الألم عن كلينا لفترة."

"لقد حملته."

"دعيني أستمر في حمله."

تنظر إليه. "مازلت تؤمن أننا سنجد طريقة لإصلاح هذا."

"نعم."

"متى؟ في التكرار التالي؟ الثلاثون؟"

يقول: "شيء غريب جدا..."

"ماذا؟"

"دخلت هذه الحجرة منذ خمس دقائق ولم تكن لديّ فكرة عمَّ تعنيه هذه المعادلات. ثم فجأة أتتني ذكريات هذا الخط الزمني وفهمت المعادلات التفاضلية الجزئية." يومض جزء من محادثة من عمر آخر في الهيكل العصبي لمخه. يقول: "أتذكرين ما قاله ماركوس سليد عندما وضعناه تحت تهديد السلاح في مختبره في ذلك الفندق؟"

"أنت تعلم أنه، من منظوري، كان ذلك منذ حوالي مائة عام ومنذ ثلاثة خطوط زمنية."

"أخبرتيه أنه لو حدث وعرف العالم بوجود الكرسي، لن يمكن إعادة هذه المعرفة إلى الوراء قط. وهو بالضبط من نحارب ضده الآن. أتذكرين؟"

"بشكل مشوش."

"وقال هو أن محدوديتك تعميكِ، وأنك مازلتِ لا ترين الصورة كاملة، وأنك لن تريها قط، إلا إذا تمكنتِ من السفر بالطريقة التي سافر هو بها..."

"كان مجنونا."

"هـذا مـا اعتقدتـه أيضـا. لكـن الفـرق بينـك في ذلـك الخـط الزمنـي الأول، وبينـك الآن - قـد يكـون هـذا شـيئا يقـودك إلى الجنـون، لكنـك أتقنـت معرفـة مجـالات علميـة كاملـة، وعشـتِ حيـوات كاملـة لم تكـن هيلينـا الأولى لتحلـم بهـا. تريـن العـالم بطريـق لم ترهـا بهـا قـط. والأمـر نفسـه بالنسـبة لي. ومـن يعـرف كـم حيـاة عاشـها سـليد، ومـاذا تعلـم؟ مـاذا لـو أنـه اكتشـف بالفعـل طريقـة مـا؟ مخـرج مـا للالتفـاف حـول مشـكلة الذكـرى الميتـة؟ شيء كنـت لتحتاجـي مـن هـذه الحلقـات مـا هـو أكـثر بكثـير مـع ذلـك لتكتشـفيه بنفسـك؟ مـاذا لـو كان يفوتنـا طـوال هـذا الوقـت شيء هـام جـدا؟"

"مثل ماذا؟"

"ليست لديّ فكرة، لكن ألا تودين أن تسألي سليد؟"

"وكيف تقترح أن نفعل هذا أيها المحقق؟"

"لا أعرف، لكن لا يمكننا أن نكتفي بالاستسلام."

"لا، أنـا لا يمكننـي أن أستسـلم. يمكنـك الانسـحاب في أي وقـت تريـد وأن تعيـش حياتـك في نعمـة الجهـل بقـدوم هـذا اليـوم."

"أوصـل بـك الأمـر فعـلا إلى التفكـير في وجـودي في حياتـك عـلى هـذا القـدر مـن الاحتقـار؟"

تتنهد. "بالطبع لا."

تخشخش ثقالة ورق على المائدة خلفهما.

ويمتد عبر زجاج النافذة شق مثل شبكة العنكبوت.

دمدمة خفيضة لانفجار بعيد ترج عظامهما.

"هـذا نـوع مـن الجحيـم.." تقـول وقـد اربـدَّ وجههـا. "أمسـتعد أنـت للنـزول إلى المختـبر وقتـلي مـن جديـد، حبيبـي؟"

لم يعـد بـاري موجـودا في المختـبر أسـفل الأرض عـلى جزيرتـه هـو وهيلينـا خـارج سـاحل (مـين)، لكنـه يجلـس بـدلا مـن ذلـك إلى مكتـب مألـوف الشـكل في حجـرة مألوفـة الشـكل. رأسـه تؤلمـه بإحسـاس لم يمـر بـه منـذ بعـض الوقـت - ذلـك النبـض خلـف العينـين الـذي تشـعر بـه مـع دوار شـديد بعـد الـشرب.

يحـدق في إفـادة شـاهد عـلى شاشـة حاسـوب أمامـه، ورغـم أنـه لا توجـد أي ذكريـات لهـذا الخـط الزمنـي بعـد، إلا أنـه يـدرك، برعـب متنـامٍ، أنـه في الطابـق الرابـع لـلإدارة الرابعـة والعشريـن لشرطـة نيويـورك.

غرب الشارع 100.

الجانب الغربي الشمالي.

مانهاتن.

لقـد عمـل هنـا مـن قبـل. ليـس فقـط في هـذا المبنـى. في هـذا الطابـق. في هـذا المـكان. وليـس عـلى مكتـب **مثـل** هـذا. بـل هـذا المكتـب بالضبـط. بـل إنـه يميـز بقعـة الحـبر مـن حادثـة قلـم حـبر.

يُخرج هاتفه، ويتفحص شاشة الصفحة الرئيسية: 16 أبريل 2019.

ذكـرى الخـط الزمنـي الرابـع لمـوت هيلينـا في ذلـك المختـبر الخـاص بداربـا.

ماذا يحدث بحق الجحيم؟

ينهـض مـن مقعـده - شـاعرا أنـه أثقـل بصـورة ملحوظـة مـما كان في (مـين) وكولـورادو وأريزونـا - وداخـل سـترته، يشـعر بثقـل شيء لم يضعـه منـذ عصـور - جـراب كتـف.

حل صمت غريب على مقصورات الطابق الرابع بأكمله.

لا أحد ينقر على لوحة مفاتيح.

لا أحد يتكلم.

مجرد صمت مذهول.

يرفع عينيه لينظر إلى المرأة الجالسة في مواجهته - شرطية يتذكرها، ليس من هذا الخط الزمني، لكن من الخط الأصلي؛ قبل أن يتكسر الوقت بفعل كرسي هيلينا. هي محققة جرائم قتل اسمها شيلا ريدلنج، كانت تلعب في مركز لاعب الانتقال السريع في بطولة دوري السوفتبول الخاص بهم. كان لديها ذراع جبار، كانت أفضل سكيرة في الفريق. الدم يجري سائلا من أنف شيلا ويتساقط على بلوزتها البيضاء، والنظرة على وجهها هي دون شك نظرة امرأة في حالة من الرعب الخالص.

الرجل في المقصورة المجاورة أنفه ينزف أيضا وتجري الدموع على وجهه.

رصاصة تفجر الصمت -الذي كان يمكن أن تسمع فيه صوت دبوس يقع- على الجانب الآخر من الطابق، تتبعها شهقات وصرخات تتماوج عبر متاهة المقصورات.

ثمة رصاصة أخرى، وهذه المرة أقرب.

يصرخ أحدهم: "**اللعنة! ماذا يحدث؟ ماذا يحدث؟**"

بعد الرصاصة الثالثة، يمد باري يده داخل سترته ليسحب مسدسه الجلوك، متسائلا إن كانوا يتعرضون لهجوم، لكنه لا يستطيع رؤية أي تهديدات في المنطقة المحيطة به.

مجرد بحر من الوجوه الحائرة.

تقف شيلا ريدلنج فجأة، وتسحب سلاحها، تضع المسدس على رأسها، وتطلق النار.

وعندما تسقط على الأرض، يندفع الرجل الذي يشاركها مقصورة الحائط من مقعده، ويسحب مسدسها من بركة الدماء، ويضعه في فمه.

يصرخ باري: "لا!"

وعندما يطلق النار ويسقط فوق شيلا، يدرك باري أن هذا كله له معنى فظيع من نوع ما. ذكرياته من الخط الزمني السابق مع هيلينا على ساحل (مين)، لكن هؤلاء الأشخاص كانوا في قلب هجوم نووي على مدينة نيويورك، حيث ماتوا جميعا أو كانوا يعانون سكرات موت رهيب، بعد أن عانوا للتو نفس المصير في الخط الزمني السابق، حيث كان هجوم نووي آخر قد حدث للتو.

والآن تنكسر ذكريات هذا الخط الزمني كموجة متكسرة.

انتقل إلى نيويورك في أوائل عشرينياته وأصبح شرطيا.

تزوج جوليا.

ترقى في صفوف إدارة شرطة نيويورك ليصبح محققا في قسم السطو المركزي.

عاش حياته الأصلية كلها من جديد.

ويصدمه الأمر كطلقة في كليتيه - هيلينا لم تأتِ إليه قط في ذلك البار ببورتلاند. لم يقابلها قط. لم يصله شيء منها قط. لسبب ما، اختارت أن تعيش هذا الخط الزمني دونه. هو فقط يعرفها في ذكريات ميتة.

يُخرج هاتفه الخلوي ليتصل بها، محاولا أن يتذكر رقمها، ويدرك أنه لا يمكن أن يكون نفس الرقم في هذا الخط الزمني. لا طريقة لديه للاتصال بها، وعجز هذه المعرفة تقريبا أكبر مما يحتمل في هذه اللحظة، وتتوالى الأفكار ممزقة عقله...

هل يعني هذا أنها انفصلت عنه؟

وجدت شخصا آخر؟

اكتفت أخيرا من عيش نفس الحلقة من السنوات التسع والعشرين مع نفس الرجل؟

مع انفجار مزيد من الرصاصات حوله وشروع الناس في الهروب من المنطقة، يعود بتفكيره إلى المحادثة الأخيرة التي أجراها مع هيلينا في بيتهما في (مين) وفكرته عن إيجاد سليد.

ركز على هذا. إذا كانت الأعمار السابقة بمثابة دليل إرشادي بأي شكل، فلديك فقط قدر محدود من الوقت قبل أن ينهمر الجحيم على نيويورك.

يتجاهل الفوضى من حوله وينزلق بمقعده نحو مكتبه، موقظا حاسوبه.

البحث في جوجل عن "ماركوس سليد" يؤدي إلى صفحة وفيات في جريدة **سان فرانسيسكو كرونيكل**، تذكر بالتفصيل أن سليد مات من جرعة مخدرات زائدة في الكريسماس الماضي.

اللعنة.

يبحث بعد ذلك عن "جي-وون تشيركوفر" ويجد مصادر عديدة. تشيركوفر يدير مؤسسة (رأس مال مُخاطر) في الجانب الشرقي الشمالي اسمها أبيكس فينتشر. يلتقط باري صورة لبيانات الاتصال من على موقعهم الإليكتروني، ويسحب مفاتيحه، ويندفع نحو السلم.

وبينما يهبط الدرجات، يتصل بشركة أبيكس.

"كل الدوائر مشغولة، من فضلك حاول الاتصال..."

يعـدو بأقـصى سرعتـه عـبر بهـو الطابـق الأرضي، خارجـا إلى الظهـيرة المتأخـرة، حتـى يصـل إلى رصيـف شـارع ويسـت المائـة، مقطـوع الأنفـاس، وثمـة تنبيـه جديـد يـضيء شاشـة صفحتـه الرئيسـية:

تنبيه طارئ

تهديـد بصواريـخ باليسـتية موجهـة إلى أهـداف عديـدة في الولايـات المتحـدة. ابحثـوا عـن ملجـأ فـوري. هـذا ليـس تدريبـا عسـكريا.

وينزلق بأصابعه إلى أسفل بحثا عن المزيد.

يا يسوع!

في الوقـت الـذي تأتيـه ذكريـات هـذا الخـط الزمنـي، تشـمل هويتـه، بطريقـة عابـرة، بـكل الأعـمار التـي عاشـها. لسـوء الحـظ، هـذا المنظـور متعـدد الخطـوط الزمنيـة سـينتهي حالمـا تـضرب الصواريـخ.

يتساءل: ماذا لو أن هذا هو كل ما تبقى من حياته؟

من حياة الجميع؟

نصف ساعة من نفس الرعب اللانهائي المتكرر.

نوع ما من الجحيم.

عاليـا في الطابـق الخامـس عـشر بمبنـى في الجهـة المقابلـة مـن الشـارع، تنكـسر نافـذة، وينهمـر الزجـاج فـوق الرصيـف، متبوعـا بمقعـد وبعـده رجـل في حلـة مقلمـة.

يصطدم هابطا برأسه بسقف سيارة، يبدأ جهاز إنذارها في صراخ حاد.

الناس يجرون مارين بباري.

على الأرصفة.

في الشوارع.

مزيد من الرجال والنساء يتساقطون من ناطحات السحاب؛ لأنهم يتذكرون كيف كان الحال مع الموت في هجوم نووي.

تبدأ سارينة الدفاع المدني في الصراخ، والناس يتدفقون خارجين من المباني المحيطة كالفئران وينصبُّون داخل جراج صف سيارات تحت الأرض ليأخذوا ساترا.

يقفز باري داخل سيارته ويشغل المحرك. أبيكس في الجانب الشرقي الشمالي، في مواجهة المنتزه بالضبط، على مبعدة حوالي ستة مجمعات أبنية من موقعه الحالي.

يستوي بسيارته في منتصف الشارع، لكن كل ما يمكنه فعله هو أن يزحف بها إلى الأمام وسط جحافل الناس.

يبقي باري يده على بوق سيارته، وينعطف أخيرا إلى تقاطع كولومبوس، الذي لا يقل ازدحاما عن سابقه إلا قليلا.

يقود عكس الاتجاه وينعطف يمينا في أول زقاق يقابله، منطلقا بسرعة في الظلال ما بين العمارات.

يشعل وحدة إضاءة الطوارئ أعلى سقف سيارته ويطلق سارينته ويشق طريقه بالقوة عبر شارعين آخرين مليئين بأناس محمومين هيستريين.

ثم يزيد من سرعة سيارته الكراون ڤيك قاطعا ممر مشاة في منتزه سنترال بارك، محاولا أن يتصل بأبيكس مرة أخرى.

هذه المرة، يرن الهاتف.

من فضلك، من فضلك، من فضلك ارفع السماعة.

ويرن.

ويرن.

هنـاك عـدد مـن النـاس أكـبر مـن الـلازم في الممـر أمامـه، لـذا ينحـرف خارجـا إلى داخـل منتـزه نـورث ميـدوّ، مارقـا عـبر ملاعـب البيسـبول التـي كان يلعـب بهـا في المـاضي.

"آلو؟"

يضغـط بـاري الفرامـل ويوقـف سـيارته في منتصـف الملعـب ويفتـح سـماعة الهاتـف.

"من المتحدث؟"

"جي-وون تشيركوفر. هل أنت باري؟"

"كيف عرفت؟"

"كنت أتساءل إن كنت ستتصل."

في المـرة الأخـيرة التـي تعامـل فيهـا بـاري مـع جـي-وون، كان هـو وهيلينـا قـد أطلقـا عليـه الرصـاص في مختـبر سـليد بينـما كان يندفـع عاريـا نحـو مسـدس.

يسأله باري: "أين أنت الآن؟"

"مكتبـي في الطابـق الثلاثـين مـن بنايتـي. أطـل عـلى المدينـة، منتظـرا أن أمـوت مـرة أخـرى، مثلنـا جميعـا. هـل أنـت وهيلينـا مـن تفعلـون هـذا؟"

"كنا نحاول أن نمنع هذا. أردت أن أجد سليد..."

"مات العام الماضي."

"أعـرف. لـذا أحتـاج إلى سـؤالك - عندمـا عثرنـا أنـا وهيلينـا عـلى سـليد في الفنـدق، ألمـح إلى وجـود طريقـة لإبطـال الذكريـات الميتـة. طريقـة مختلفـة مـن السـفر إلى المـاضي. مـن اسـتخدام كـرسي الذاكـرة."

يسود الصمت على الجانب الآخر من الخط.

"تقصد عندما قتلتماني."

"نعم."

"ماذا حدث بعد..."

"اسمع، ليس هناك وقت. أحتاج إلى هذه المعلومات إن كنت تمتلكها. لقد كنت في حلقة لمدة ثلاثة وثلاثين عاما مع هيلينا محاولين أن نجد طريقة لمحو معرفة العالم بكرسي الذاكرة. لا شيء يفلح. لذلك نستمر في بلوغ هذه اللحظة الأبوكاليبسية مرة بعد مرة. وستظل تحدث إلا إذا..."

"يمكنني أن أقول لك هذا، وهو كل ما أعرفه.. آمن ماركوس بوجود طريقة لإعادة ضبط أي خط زمني، وبالتالي لا توجد أي ذكريات ميتة. بل إنه فعل هذا مرة."

"كيف؟"

"لا أعرف التفاصيل. اسمع، أنا بحاجة للاتصال بوالديّ. من فضلك أصلح هذا إن استطعت. نحن جميعا في الجحيم."

يغلق جي-وون الخط. يلقي باري هاتفه على المقعد المجاور ويخرج من السيارة. يجلس على العشب، ويريح يديه على ساقيه.

إنهما ترتعشان.

جسده بأكمله يرتعش.

في الخط الزمني القادم، لن يتذكر المحادثة التي أجراها للتو مع جي-وون حتى 16 أبريل 2019.

هذا إذا كان هناك خط زمني قادم أصلا.

يحط طائر قربه ويمكث ساكنا جدا، ينظر إليه.

تنهض مباني الجانب الشرقي الشمالي أعلى محيط المنتزه، وضوضاء المدينة أعلى بكثير مما ينبغي أن تكون - طلقات رصاص، صرخات، سارينات الدفاع المدني، سارينات سيارات الإطفاء والدوريات والإسعاف - تمتزج كلها في سيمفونية متنافرة.

تخطر بباله فكرة.

فكرة بشعة.

ماذا لو أن هيلينا ماتت في تلك الفترة البالغة أربعة أعوام ما بين 1986 و1990، قبل الوقت الذي كان من المفترض أن تجده فيه في بورتلاند؟ هل يمكن أن يعتمد مصير الواقع نفسه بالفعل على **عدم** تعرض شخص واحد لصدمة عشوائية من حافلة؟

أو ماذا لو قررت ألا تفعل أيا من هذا؟ فقط أن تعيش حياتها ولا تبني الكرسي قط وتترك العالم يدمر نفسه؟ سيكون من الصعب لومها، لكن سيعني هذا أن تحول الواقع التالي سيكون من اختيار شخص آخر. أو لن يحدث أي تحول على الإطلاق لو قضى العالم على نفسه بنجاح.

المباني من حوله والملعب المفتوح والأشجار كلها تتوهج بأسطع بياض رآه باري في حياته - أسطع حتى من دينفر.

ليس هناك من صوت.

يخبو الوهج بالفعل، وفي محله تأتي نار جهنم مندفعة نحوه عبر الجانب الشرقي الشمالي، حرارة شديدة بشكل لا يطاق، لكن فقط لمدة النصف ثانية التي تتطلبها لتحرق أطراف الأعصاب في وجه باري.

من بعيد، يرى الناس يعدون عبر الملعب، محاولين النجاة من لحظتهم الأخيرة.

ويتهيأ لأن يبتلعه جدار النار والموت العكر بلون الحمم البركانية بينما ينتشر عبر سنترال بارك، لكن موجة الصدمة تضرب أولا، قاذفة إياه فوق المرج بمعدل سرعة لا يمكن تخيله لكنه يتباطأ.

يتباطأ.

يتباطأ.

لكن ليس فقط هو.

كل شيء.

يحتفظ بالوعي بينما يتباطأ هذا الخط الزمني حتى يصل إلى التوقف التام، تاركا إياه معلقا على ارتفاع ثلاثين قدما من الأرض ومحاطا بالحطام الذي أتت به موجة الصدمة - قطع من الزجاج والصلب، سيارة شرطة، أناس بوجوه منصهرة.

توقفت كرة النار على بعد ربع ميل، في منتصف الطريق عبر نورث ميدوّ، وتوقفت المباني في كل مكان حوله في لحظة التبخر - الزجاج، الأثاث، المشتملات، الناس، كل شيء ما عدا الإطارات الفولاذية المنصهرة يتفجر مثل عطسة - وسحابة الموت الوشيك المرتفعة فوق مدينة نيويورك من نقطة الاصطدام تتوقف بعد ميل من صعودها في السماء.

يبدأ العالم في فقد الألوان، ورؤية كل شيء مجمدا بينما ينزف الوقت منه تشعل عقله بالأسئلة...

إذا كانت المادة لا تفنى ولا تُستحدث من العدم، أين ستذهب كل هذه المادة عندما يتوقف هذا الخط الزمني عن الوجود؟ ماذا حدث للمادة من كل الخطوط الزمنية التي تركوها خلفهم؟ هل هي محفوظة في كبسولات زمنية بعيدا في أبعاد أعلى لا يمكن الوصول

إليها؟ وإذا كان الأمر كذلك، ماذا تكون المادة دون الزمن؟ المادة التي لا تبقى؟ ماذا ستكون عليه حتى؟

يأتيه إدراك واحد أخير قبل أن ينقذف وعيه من هذا الواقع المحتضر - هذا التباطؤ للزمن يعني أن هيلينا قد تكون حية في مكان ما، تموت داخل الحوض في هذه اللحظة نفسها كي تقتل هذا الخط الزمني وتبدأ خطا آخر.

وتسري بداخله ومضة من الفرح مع احتمال أنها حية، والأمل في أنه خلال هذا الواقع القادم - حتى لو فقط للحظة - سيكون معها مرة أخرى.

باري متمدد على الفراش في ظلمة خفيفة لحجرة باردة. وعبر نافذة مفتوحة، يمكنه سماع مطر خفيف يتساقط. ينظر في ساعته - 9:30 مساء. توقيت غرب أوروبا. يسبق توقيت مانهاتن بخمس ساعات.

يتطلع إلى زوجته طوال أربعة وعشرين عاما، تقرأ بجواره في السرير.

يقول: "الساعة التاسعة والنصف."

في حياتها السابقة، صعدت إلى حوض العزل في حوالي الرابعة وخمس وثلاثين دقيقة مساء، بالتوقيت الشرقي، لذا فهما يقتربان سريعا من ذكرى الخط الزمني الخامس ليوم 16 أبريل 2019.

في هذه اللحظة، منظور باري هو أنه قد عاش عمرا واحدا. هذا العمر. اقتحمت هيلينا باب حياته عندما كان في الواحدة والعشرين في بار بورتلاند، ولم يفترقا قط من وقتها. بالطبع، هو يعرف كل شيء عن حيواتهما الأربع السابقة معا. عملهما. حبهما. كيف ينتهي الأمر

دائمًا بموتها في حوض العزل يوم 16 أبريل 2019، عندما يتذكر العالم وجود كرسي الذاكرة وكل الرعب الذي صنعه. قضيا الخط الزمني السابق متفرقين. مكثت قريبا من والديها في بولدر، وصنعت الكرسي بنفسها، واستخدمته لتحسين نوعية حياة أمها بعد أن تمكن منها الألزهايمر. لكنها لم تحقق أي تقدم قط في منع هجوم الذكريات الميتة، التي تُقسم أنها ستعثر عليه في أي لحظة الآن. لا تعرف ماذا فعل باري بحياته الماضية، ولا هو يعرف.. حتى الآن. في هذه الحياة، استكملا سعيهما لفهم كيف يتعامل المخ مع الذكريات الميتة، وخاضا أعمق في دراسات فيزياء الجسيم المتعلقة باستخدام الكرسي. بل وأقاما بضع علاقات بأشخاص في مختبر (سيرن)، يأملان في استخدامها في الخط الزمني التالي.

لكن الحقيقة هي أنهما، كما هو الحال في التكرارات السابقة من حياتهما، لم يحققا أي تقدم ذي معنى نحو منع ما هو على وشك أن يحدث. فهما في الأخير ليسا إلا شخصين اثنين، والمشكلة التي يواجهانها معقدة على نحو هائل. ربما لا يمكن التغلب عليها.

تغلق هيلينا كتابها وتتطلع إلى باري. ضجة المطر المطقطق على الألواح الخشبية لقصر الإقطاعي من القرن السابع عشر الذي يسكناه ربما يكون صوته المفضل في العالم.

تقول: "أخشى أنه عندما تأتي ذكرياتك من الخط الزمني الماضي، ستشعر وكأني قد هجرتك. كأني خدعتك. لم أقضِ الخط الزمني الماضي معك، لكن هذا ليس لأني لم أحبك أو أحتاجك. آمل أنه يمكنك سماع هذا. فقط أردت لك أن تعيش حياة لا يلوح فيها شبح نهاية العالم، وآمل أنها كانت حياة طيبة. آمل أن تكون قد وجدت الحب. فأنا لم أجده. افتقدتك كل يوم. احتجت إليك كل يوم. كنت أكثر وحدة مما كنت على الإطلاق في حيواتي الكثيرة."

"أنـا متأكـد أنـك فعلـت مـا كنـتِ بحاجـة لفعلـه. أعلـم أن هـذا بالقطـع أصعـب عليـك مـما هـو عـليّ."

ينظر إلى ساعته بينما يتغير الوقت من 9:34 إلى 9:35.

لقـد أخبرتـه بـكل شيء سـيحدث. الصـداع، والفقـدان المؤقـت للوعـي والسـيطرة. كيـف سـيبدأ العـالم عـلى الفـور في التداعـي والانهيـار. ومـع ذلـك هنـاك جـزء منـه مـازال لا يمكنـه أن يصـدق تمامـا أن هـذا سـيحدث. ليـس الأمـر ظنـا منـه بـأن هيلينـا تكـذب. لكـن مـن الصعـب تخيـل أن أزمـات العـالم يمكنهـا الوصـول إليهـما هنـا.

يشعر باري ببارقة ألم خلف عينيه.

حادة وتغشي الأبصار.

يتطلع إلى زوجته. "أعتقد أنها بدأت."

قبـل منتصـف الليـل، يكـون هـو بـاري ذا الأعـمار الكثـيرة، رغـم أن الحيـاة السـابقة - في مدينـة نيويـورك، هـي للغرابـة آخـر مـا يصـل إليـه. ربمـا لأن هنـاك الكثـير للغايـة منهـا، تـأتي الذكريـات ببـطء أكـبر مـن أيٍّ مـن ذكـرى المـرات السـابقة.

ينهـار باكيـا في المطبـخ مـن الفرحـة لأن هيلينـا عـادت إليـه، وتجلـس عـلى حِجـره عنـد المائـدة الصغـيرة وتُقبـل وجهـه وتمـرر أصابعهـا في شـعره وتخـبره كـم هـي آسـفة، واعـدة إيـاه أنهـا لـن تتركـه أبـدا مـرة أخـرى.

"اللعنة.." يقول باري: "فقط تذكرت."

"ماذا؟"

يرفـع عينيـه ناظـرا إلى هيلينـا. "كنـتُ عـلى حـق. هنـاك طريقـة للخـروج مـن هـذه الحلقـة الأبوكاليبسـية. لقـد عـرف سـليد كيـف يوقـف الذكريـات الميتـة."

"عم تتحدث؟"

"بحثـت عـن سـليد في الإنترنـت خـلال اللحظـات الأخـيرة مـن الخـط الزمنـي السـابق. كان قـد مـات في الكريسـماس السـابق، لكنـي تحدثـت إلى جـي-وون. قـال إن سـليد قـد عـاد وبـدأ خطـا زمنيـا جديـدا لم يسـبب أي ذكريـات ميتـة عنـد لحظـة ذكـرى تكـراره."

"يا إلهي! كيف؟"

"لم يعرف جي-وون. أغلق الخط معي، وبعد ذلك انتهى العالم."

تصفر غلاية الشاي.

تتجـه هيلينـا إلى الموقـد وترفـع الغلايـة عـن الحـرارة، ثـم تصـب المـاء المغـلي عـلى كوبيهـما لصنـع الشـاي والمزوديـن بمصفـاة خاصـة لـكل واحد.

يقـول بـاري: "في الخـط الزمنـي التـالي، وحتـى نبلـغ الذكـرى السـنوية، لـن أتذكـر أيـا مـن هـذا. عليـك أن تحمـلي هـذه المعرفـة معـك."

"سأفعل."

يسـهران طـوال الليـل، وفقـط عندمـا ينبلـج النهـار يجـرؤان عـلى تشـغيل الأخبـار. هـذه أطـول مـرة عـلى الإطـلاق يـتركان فيهـا خطـا زمنيـا يسـتمر بمـا يتجـاوز نقطـة ذكـرى التكـرار. يبـدو كـما لـو أنـه قـد تـم إطلاق كل الأسـلحة النوويـة الموجـودة عـلى الكوكـب، وضُربـت كل مدينـة كـبرى في الولايـات المتحـدة وروسـيا والصـين. حتـى مناطـق التجمعـات الكـبرى لحلفـاء الولايـات المتحـدة جـرى اسـتهدافها، بمـا في ذلـك لنـدن وباريـس وبرلـين ومدريـد. كانـت أقـرب ضربـة لهيلينـا وبـاري هـي جلاسـجو، عـلى

بُعد مائة وثمانين ميلا إلى الجنوب. لكنهما آمنان حتى الآن. حيث يأخذ التيار النفاث[1] الغبار النووي شرقا إلى إسكندنافيا.

ينطلقان عند الفجر عبر الساحة الخلفية ليضع باري هيلينا في حوض العزل. اشتريا هذه العزبة منذ خمسة عشر عاما وجددا كل شبر فيها. المنزل عمره أكثر من ثلاثمائة عام، وتطل الحقول المحيطة به على بحر الشمال، حيث يحيط بشبه الجزيرة عند ذراع (كرومارتي فيرث)، وفي الاتجاه المقابل؛ جبال المرتفعات الأسكتلندية الشمالية.

لقد أمطرت طوال الليل؛ فكل شيء يقطر ماء.

مازالت الشمس أسفل البحر، لكن السماء مليئة بالضوء. رغم الفظائع في الأخبار، إلا أن كل شيء يبدو عاديا بشكل صادم. الأغنام ترقبهما من المراعي. الهدوء البارد. رائحة التربة المبتلة. الطحالب على الجدران الحجرية. وقع أقدامهما على الممشى المفروش بالحصى.

يتوقفان عند مدخل المَضيفة، التي حولاها إلى مختبرهما، ويلتفت كلاهما إلى المنزل الذي قضيا فيه حياتهما، والذي لن يرياه مرة أخرى قط. من بين كل الأماكن التي جعلوها بيتا لهما معا، من بين كل الأعمار، كان هذا أكثر بيت أحبه باري.

يقول: "لدينا خطة، أليس كذلك؟"

"نعم."

يقول: "سأنزل معك.."

---

(1) التيار النفاث أو التيار المنطلق عبارة عن تدفق للهواء بصورة أفقية تقريبًا وبسرعة عالية جدا، وذلك في أعالي التروبوسفير، ويتخذ هذا التيار شكل حزمة ضيقة سمكها يزيد عن 1000 م وعرضها يتراوح بين 500-650 كم، وسرعة تدفق الهواء تتراوح بين 150-500 كم في الساعة وأحياناً أكثر.

"لا، لماذا لا تذهب لتطل على الحقول حتى ينتهي الأمر؟ أنت تحب ذلك المنظر."

"متأكدة؟"

"متأكدة. هكذا أريد أن أتركك في هذه الحياة."

تُقبله.

يمسح دموعها.

مكتبة
t.me/t_pdf

في الحياة التالية، يسير باري مع هيلينا في اتجاه الإسطبل. هواء الليل عذب، والتلال المتموجة المحيطة بواديهما تلمع أسفل النجوم.

تسأله: "لا شيء بعد؟"

"لا."

يبلغان الباب في الحظيرة ذات الهيكل الخشبي ويدخلان، عبر حجرة سروج، وبعد ذلك عبر ممر من المرابط الشاغرة التي لم تأوِ خيولا لأكثر من عِقد.

المدخل مخفي خلف زوج من الأبواب الزلاَّقة. تُدخل هيلينا الشفرة، ويهبطان السلم الحلزوني إلى قبو عازل للصوت.

الصومعة مطوقة من جانبين بحائطين حجريين، ومن الجانبين الآخرين بألواح من الزجاج فائق القوة المثقوب بفتحات للتهوية. وداخل الصومعة، هناك مرحاض، ودُش، ومنضدة صغيرة، وسرير يرقد فوقه ماركوس سليد.

يغلق الكتاب الذي كان يقرأه وينهض واقفا، محدقا في خاطفيه.

في هذا الخط الزمني، جعلا بيتهما في ريف مقاطعة مارين، على بعد ثلاثين دقيقة شمال سان فرانسيسكو، كي يكونا قريبين من سليد

ويستعدا لهذه اللحظة بالضبط. اختطفاه قبل أن يتمكن من الإفراط في الشرب في الكريسماس الأخير، وجلباه عائدين إلى مزرعة الخيول.

استيقظ سليد في هذه الصومعة أسفل الحظيرة، حيث احتجزاه من وقتها.

يجذب باري مقعدا ناحية الزجاج ويتخذ مجلسه.

تذرع هيلينا محيط الصومعة.

سليد يراقبهما.

لم يخبراه لِمَ هو هنا. ولا عن الخطوط الزمنية السابقة أو كرسي الذاكرة. لا شيء.

ينهض سليد من فوق طرف السرير ويقترب من الزجاج. يحدق في باري، وهو يرتدي بنطالا رياضيا، ولا يرتدي قميصا. لحيته مشعثة، وشعره ملبد غير مغسول، وعيناه خائفتان وغاضبتان في نفس الوقت.

وبينما يراقبه باري عبر الزجاج، لا يملك إلا أن يشعر بالشفقة تجاه الرجل، رغم ما فعله في خطوط زمنية أقدم. ليس لديه فكرة عن سبب وجوده هنا. لقد أقسم له باري وهيلينا في مناسبات عديدة أنهما لا يمتلكان أي نوايا لإيذائه، لكن لا شك أن هذه التطمينات بدت خاوية.

للحق، كان باري غير مرتاح بعمق تجاه ما يفعلانه. لكن بين معرفة هيلينا المسبقة وبنائها لكرسي الذاكرة بقدراته المستحيلة، هو يثق في زوجته على نحو مطلق. حتى عندما أخبرته أنهما بحاجة لاختطاف رجل اسمه ماركوس سليد قبل أن يموت من جرعة مخدر زائدة في شقته ذات الدور العلوي بحي دوجباتش.

"ماذا؟" يسأل سليد. "هل جئتما أخيرا إلى هنا كي تخبراني لماذا تفعلان هذا؟"

"في غضون لحظات.." تقول هيلينا "ستفهم كل شيء."

"ماذا يعني هذا بحق اللعنة..."

يسيل الدم من أنف سليد. يترنح عائدا إلى الوراء، ممسكا بصدغيه، ووجهه ملتوٍ في ألم، والآن يضرب ألم طاعن خافق خلف عينيّ باري، جاعلا إياه ينثني فوق المقعد.

لقد حلت ذكرى الخط الزمني، ويئن الرجلان بينما تبدأ الأعمار السابقة في اللحاق بهما.

سليد جالس الآن على طرف فراشه. ذهب الخوف من عينيه. حتى لغة جسده تغيرت لتعكس ثقة داخلية ورباطة جأش لم تكن موجودة من قبل.

يبتسم، ويومئ برأسه.

يقول: "باري.. من اللطيف رؤيتك مرة أخرى يا هيلينا."

باري يترنح. أن يقال له ما حدث في كل تلك الخطوط الزمنية الأخرى شيء، وشيء آخر تماما أن تأتيه ذكريات ابنته الميتة ومشاهدة العالم يدمر نفسه مرة بعد مرة. أو الموت في وسط منتزه سنترال بارك بينما تضربه موجة الصدمة. لا يذكر الخط الزمني الأخير بعد. لقد أخبرته هيلينا أنه حدث في أسكتلندا، حيث من الواضح أنه جاء بهذه الفكرة، لكن الذكريات تجيء ببطء كقطرة في أنبوب وريدي.

ينظر باري إلى سليد ويقول: "هل تذكر فندقك في مانهاتن؟"

"بالطبع."

"هل تذكر الليلة التي مت فيها هناك؟ ما قلته لهيلينا قبلها مباشرة؟"

"قد أحتاج إلى القليل من الإنعاش حول هذا."

"أخبرتهـا أن الذكريـات الميتـة مـن الخطـوط الزمنيـة الأقـدم يمكـن إبطالهـا لـو عرفـت كيـف تسـافر بالطريقـة التـي سـافرت أنـت بهـا."

"آه." ويبتسـم سـليد مـرة أخـرى. "لقـد بنيتـما أنتـما الاثنـان كرسـيكما الخـاص."

تقـول هيلينـا: "بعـد أن مـتَ في فندقـك، جـاءت (داربـا) وأخـذت كل شيء. كانـت الأمـور طيبـة في البدايـة، لكـن يـوم 16 ابريـل 2019، منـذ سـتة خطـوط زمنيـة اليـوم، اندلعـت التكنولوجيـا في البريـة. كانـت هنـاك مقاعـد ذاكـرة تُسـتخدم في كل مـكان في العـالم. ونُـشرت التخطيطـات عـلى ويكيليكـس. بـدأ الواقـع في التحـول بشـكل مسـتمر. عـدت إلى الـوراء ثلاثة وثلاثـين عامـا كي أبـدأ خطـا زمنيـا جديـدا، حتـى تكـون لـديّ فرصـة كي أجد طريقـة لإيقـاف الذكريـات الميتـة. لكنهـا تـأتي دائمـا. العـالم يتذكـر الكـرسي دائمـا، مهـما نفعـل."

"إذاً أنـت تبحثـين عـن طريقـة للخـروج مـن هـذه الحلقـة؟ إعـادة ضبـط؟"

"نعم."

"لماذا؟"

"لأن مـا أخبرتـك أنـه سـيحدث حـدث بالضبـط. لقـد انفتـح صنـدوق بانـدورا عـلى مصراعيـه. ولا أعـرف كيـف أغلقـه."

يتوجه سليد إلى الحوض، ويرش وجهه بالماء.

ويعود ليقترب من الزجاج.

تسأله هيلينا: "كيف نوقف الذكريات الميتة؟"

"لقـد قتلتينـي في حيـاة. وخطفتينـي في أخـرى. لـذا دعينـي أسـألك - لمـاذا سأسـاعدك؟"

"لأنه ربما مازال لديك ذرة من شرف؟"

"تسـتحق البشريـة فرصـة للتطـور بمـا يتجـاوز سـجن الزمـن. تسـتحق فرصـة لتقـدم حقيقـي. كان عمـل حياتـك هـو الكـرسي. أمـا تقديمـه للبشريـة فـكان عمـل حيـاتي."

يشعر باري بموجة من الغضب تجتاحه.

يقـول: "ماركـوس، اسـمعني.. ليـس هنـاك أي تقـدم يحـدث. الآن حـالا، يتذكـر العـالم وجـود كـرسي الذاكـرة؛ وهـذه الذكريـات الميتـة سـتطلق نهايـة نوويـة للعـالم."

"لماذا؟"

"لأن أعداءنا يعتقدون أن الولايات المتحدة تحور التاريخ."

"أتعرف كيف يبدو هذا لي؟" يسأله سليد. "هراء."

ينهـض بـاري ويتحـرك نحـو الزجـاج. "لقـد رأيـت مـا يكفـي مـن الرعب لألـف عمـر. قُتلنـا أنـا وهيلينـا تقريبـا في دينفـر عندمـا ضربتهـا الصواريـخ. رأيـت مدينـة نيويـورك تتبخـر. مئـات الملايـين مـن النـاس لديهـم أربـع مجموعـات مختلفـة مـن الذكريـات عـن موتهـم في محرقـة نوويـة."

تنظـر هيلينـا إلى بـاري وترفـع الهاتـف. "لقـد جـاء التنبيـه للتـو. علـيّ أن أدخـل المختـبر."

يقول باري: "فقط انتظري لحظة.."

"نحـن قريبـان مـن سـان فرانسيسـكو أكـثر مـن الـلازم. لقـد تحدثنـا عـن هـذا."

يحدق باري بغضب في سليد عبر الزجاج. "ما هي تلك الطريقة الخاصة للسفر؟"

يأخذ سليد خطوة إلى الوراء ويجلس ببطء على طرف الفراش.

يقول باري: "لقد عشت ما يقرب من سبعين عاما كي أسألك هذا السؤال، وأنت فقط ستحدق في الأرض؟"

يشعر بهيلينا تلمس كتفه. "**عليّ** أن أذهب."

"انتظري."

"لا **أستطيع**. أنت تعرف هذا. أحبك. سأراك في قاع العالم. ستستمر في مطاردة الثقوب الدودية المجهرية. أظن أن هذا هو كل ما يمكننا فعله، أليس كذلك؟"

يلتفت باري ويُقبلها. تهرع صاعدة السلم الحلزوني، ووقع أقدامها يدوي على الدرجات المعدنية.

ثم لا يكون إلا باري وسليد في القبو.

يُخرج باري هاتفه، ويُري سليد تنبيه الطوارئ، القائل بوجود صواريخ باليستية موجهة إلى أهداف عديدة في الولايات المتحدة.

يبتسم سليد. "كما قلت، قتلتني، وخطفتني، وربما تكذب عليّ الآن..."

"أقسم أني أخبرك بالحقيقة."

"اثبت ذلك. اعطني دليلا أن هذا ليس تنبيها زائفا يمكنك أن تجعله يُرسَل إلى هاتفك. دعني أرى ذلك بعينيّ أو اذهب إلى الجحيم."

"ليس لدينا وقت."

"لديّ كل ما في العالم من وقت."

يتوجه باري إلى الباب الزجاجي في الصومعة، يُخرج المفتاح ويفتح القفل.

"ماذا؟" يسأله سليد. "أتعتقد أن بإمكانك الحصول على السر عن طريق ضربي؟"

بالتأكيد لا يود باري شيئا أكثر من أن يخبط رأس سليد في الحائط الحجري حتى لا يبقى منها شيء.

يقول باري: "هيا نذهب.."

"أين؟"

"سنشاهد نهاية العالم معا."

يصعدان السلم، ويمران بالمرابط، ويخرجان من الحظيرة، ويتسلقان عبر العشب الطويل لأحد التلال حتى يكونا في موضع عال فوق المزرعة.

القمر عال في السماء، يسطع بنوره على الريف. إلى الغرب، على مبعدة عدة أميال، يتلألأ الامتداد المظلم للمحيط الهادي.

أضواء منطقة خليج سان فرانسيسكو تلتمع إلى الجنوب.

يجلسان في صمت للحظة.

ثم يسأل باري: "ما الذي جعلك تقتل هيلينا في ذلك الخط الزمني الأول؟"

يتنهد سليد. "كنت لا شيء. نكرة. كنت لأمضي كالسائرين نياما عبر الحياة. وعندئذ قُدمت لي هذه... المنحة بفرصة. لأن لأقوم بالأمر كله مرة أخرى من جديد. فلتظن ما تشاء بي، لكنني لم أحتفظ بالكرسي لنفسي."

تنفجر كرة من الضوء الأبيض الساخن قرب جسر جولدن جيت، مضيئة السماء والبحر بشكل أكبر من أسطع ظهيرة. ضوء مغش للأبصار حتى أن باري لا يملك إلا أن يشيح بناظريه بعيدا. وعندما يلتفت من جديد، يجد موجة الصدمة تنتشر عبر الخليج ومنتزه بريسيديو، متمددة نحو حي المال والأعمال.

مع انفجار رأس صاروخ ثان فوق مدينة بالو ألتو، ينظر باري إلى سليد. "كم من الناس تعتقد ماتوا للتو في هذه الومضة التي دامت جزءا من الثانية؟ وكم سيعاني عدد أكبر من موت معذب نتيجة التسمم الإشعاعي خلال الساعات القليلة التالية إذا لم تعد هيلينا ضبط هذا الخط الزمني؟ ما يحدث لسان فرانسيسكو يحدث في كل أنحاء أمريكا. وللمدن الكبرى لحلفائنا. ونحن نفرغ ترسانتنا فوق روسيا والصين. هذا هو ما قادنا إليه حلمك العظيم. وهذه هي المرة الخامسة التي يحدث فيها ذلك. فكيف تجلس هناك فقط عارفا أن دماء كل هؤلاء الناس في عنقك؟ أنت لا تساعد البشرية على التطور يا ماركوس. أنت تعذبنا. لا يوجد أي مستقبل لجنسنا بعد هذا."

وجه سليد جامد بينما يشاهد برجين من النار يصعدان في السماء كشعلتين. شبكات الإضاءة لسان فرانسيسكو وأوكلاند وسان خوسيه أظلمت، لكن المدن تحترق بطيئا بدخانها مثل بقايا نار تموت.

يصل إليهما الانفجار الارتجاجي لرأس الصاروخ الأول، وعلى هذا البُعد، يبدو مثل مدفع تتردد أصداؤه من جوانب التلال. ويجعل الأرض ترتعش أسفلهما.

يحك سليد ذراعيه العارين. "عليكما أن تعودا إلى ما حدث أولاً."

"حاولنا ذلك. مرات عديدة. عادت هيلينا إلى عام 1986..."

"توقـف عـن التفكـير بطريقـة خطيـة. ليـس إلى بدايـة هـذا الخـط الزمنـي. ولا حتـى الخمسـة أو السـتة السـابقة. عليكـما أن تعـودا إلى الواقعـة التـي بـدأت كل هـذا، وتلـك موجـودة في الخـط الأصـلي."

"الخط الزمني الأصلي موجود فقط في ذكرى ميتة."

"بالضبـط. عليكـما أن تعـودا وتعيـدا تشـغيلها. تلـك هـي الطريقـة الوحيـدة لمنـع النـاس مـن التذكـر."

"لكنك لا تستطيع أن ترسم خريطة ذكرى ميتة."

"هل حاولت؟"

"لا."

"سـيكون أصعـب شيء فعلتـه عـلى الإطـلاق. ربمـا ستفشـل، وهـو مـا يعنـي أنـك سـتموت. لكنـه ممكـن."

"كيف تعرف؟"

"اكتشفت هيلينا كيف تفعلها على منصة النفط خاصتي."

"هذا ليس صحيحا. لو كانت قد فعلت هذا، لكنا..."

يضحـك سـليد. "حـاول أن تتابـع هنـا يـا بـاري. كيـف تعتقـد أني أعلـم أنهـا تفلـح؟ بمجـرد أن اكتشـفنا التكنيـك، اسـتخدمته. عـدت إلى ذكـرى ميتـة وأعـدت ضبـط الخـط الزمنـي قبـل أن تكتشـف هـي الأمـر بالضبط." يطرقـع أصابعـه. "و، بـوم، مسـحتْ ذكرياتهـا عـن الاكتشـاف. ذكرياتهـا وذكريـات كل شـخص آخـر."

"لماذا؟"

"لأن أي شـخص عـرف كان يمكنـه أن يفعـل بالضبـط مـا تقترحـه الآن. كان بمقدورهـم أن ينتزعـوا الكـرسي منـي، أن يجعلـوه وكأنـه لم يكـن موجـودا قـط." ينظـر في عينـيّ بـاري مبـاشرة، وضـوء النـيران القـادم

من المدن المحترقة يلتمع في بؤبؤيه. "كنت لا شيء. مدمن مخدرات. ضاعت حياتي. جعلني الكرسي شيئا مميزا. أعطاني فرصة كي أفعل شيئا سيغير مسار التاريخ. لم يكن بمقدوري أن أجازف بكل هذا." يهز رأسه ويبتسم. "وهناك أناقة ما في الحل، ألا تظن ذلك؟ أن تستخدم الاكتشاف ليمحو نفسه."

"ما الواقعة التي بدأت كل هذا؟"

"قتلتُ هيلينا يوم 5 نوفمبر 2018، في الخط الزمني الأصلي. ارجع إلى أقرب ما يمكنك من هذا التاريخ... وامنعني."

"كيف يمكننا..."

ومضة ضوء أخرى، إلى الجنوب بمائة ميل، تشعل البحر كله.

"اذهب.." يقول سليد. "إذا لم تنجح في الوصول إلى هيلينا قبل أن تموت في الحوض، لن تتذكر ما أخبرتك إياه للتو حتى الخط التالي من..."

وينهض باري ويجري، هابطا التل بأقصى سرعته نحو البيت الأساسي، باحثا عن هاتفه الخلوي في جيبه حتى يخرجه، يقع، ويعود زاحفا ليقف على قدميه، ويتصل أخيرا برقم هيلينا.

يرفع الهاتف إلى أذنه بينما يعدو نحو أضواء بيتهما.

يرن.

يرن.

تصله الموجة الصوتية من الانفجار الثاني.

مازال الهاتف يرن.

ويؤدي به إلى البريد الصوتي.

يلقي به أرضا عندما يصل إلى مستوى الأرض، والعرق يلسع عينيه، والبيت أمامه مباشرة.

يصرخ: "هيلينا! انتظري!"

البيت منزل ريفي ضخم مشيد بمحاذاة جدول يتلوى عبر الوادي.

يعدو باري صاعدا درجات الشرفة الأمامية ويندفع عبر الباب الأمامي، صارخا باسم هيلينا بينما يسابق نفسه عبر حجرة المعيشة، مصطدما بمائدة وموقعا بكوب من الماء يتهشم على البلاط.

ثم يقطع ممر الجناح الشرقي، مارا بالجناح الرئيسي، متجها نحو آخر البيت، حيث تُرك باب القبو المؤدي إلى المختبر مفتوحا.

"هيلينا! توقفي!"

يطوي السلالم طيا هابطا نحو المختبر تحت الأرض الذي يأوي كرسي الذاكرة وحوض العزل. لديهما الإجابة. أو على الأقل شيء يجربانه ولا يتطلب ثلاثة وثلاثين عاما أخرى. النظرة التي كانت على وجه سليد، المتوهج في ضوء الحرائق النووية البعيدة، لم تكن نظرة لرجل يكذب؛ بل لرجل بدأ يتفهم فجأة ما فعله. الألم الذي سببه.

يهبط باري من الدرجة الأخيرة داخلا المختبر. هيلينا غير ظاهرة للعين في أي مكان، وهو ما يعني أنها بالفعل في حوض العزل. وتؤكد هذا شاشات البوابة الحاسوبية، حيث تومض إحداها برسالة باللون الأحمر: تم الكشف عن إطلاق ثنائي ميثيل التريبتامين.

يصل إلى حوض العزل، ويضع يديه على الغطاء ليرفعه...

يبطئ العالم من سرعته حتى يتوقف.

يفرغ المختبر من ألوانه.

يـصرخ بـاري مـن داخلـه، عليـه أن يمنـع هـذا مـن الحـدوث، فلديهـما الإجابـة.

لكنه لا يستطيع أن يتحرك، لا يستطيع أن يتكلم.

هيلينا رحلت، وكذلك رحل هذا الواقع.

يغدو واعيا أنه راقد على جانبه في ظلمة تامة.

ينهـض جالسـا، وتحفـز حركـة بـاري لـوح إضـاءة أعـلاه، خافتـا في البدايـة، ثـم يسـطع ببـطء، مُظهـرا إلى الوجـود حجـرة صغـيرة بـلا نوافـذ تضـم السريـر وخزانـة ومنضـدة سريـر.

يلقي بالبطاطين عنه ويهبط من السرير، واقفا مترنحا.

يذهـب إلى البـاب ويخطـو خارجـا إلى رواق مقفـر. بعـد خمسـين قدمـا، يتفـرع إلى شريـان أسـاسي يصـل إلى هـذا الممـر وثلاثـة آخريـن بينـما ينفتح أيضـا عـلى الجانـب الآخـر مؤديـا إلى حجـرة معيشـة أسـفله بطابـق واحد.

يرى مطبخا كاملا.

طاولات بلياردو وتنس طاولة.

وتلفـاز كبـير توقفـت شاشـته عـلى وجـه امـرأة. لديـه معرفـة غامضـة بوجههـا، لكنـه لا يسـتطيع اسـتحضار اسـمها. تاريـخ حياتـه كامـلا يربـض أسـفل السـطح فقـط، لكنـه لا يسـتطيع أن يقبـض عليـه تمامـا.

"أهلا؟"

يتردد صدى صوته عبر البناء.

ولا من مجيب.

يتوجـه قاطعـا الـرواق الرئيـسي، مـارا بلافتـة مثبتـة عـلى الحائـط إلى جـوار الفتحـة المؤديـة إلى الممـر التـالي.

الجناح 2 - المستوى 2 - المختبر

ولافتة أخرى.

الجناح 1 - المستوى 2 - المكاتب

ثم يهبط بعض الدرجات ويصل إلى المستوى الرئيسي.

هنـاك دهليـز منحـدر قليـلا أمامـه مبـاشرة تتزايـد الـبرودة فيـه مـع كل خطـوة، ينتهـي أخـيرا عنـد بـاب يبـدو معقـدا بمـا يكفـي ليوصـد مركبـة فضائيـة.

ثمـة شاشـة رقميـة عـلى الحائـط بجـواره تعـرض أحـوال الوقـت الحـالي عـلى الجانـب الآخـر:

الرياح: شمالية شرقية بسرعة 56.2 ميلا في الساعة؛ 90.45 كيلومتر في الساعة

درجة الحرارة: -51.9 فهرنهيت؛ -46.6 درجة مئوية

برودة الرياح: -106.9 فهرنهيت؛ -77.2 درجة مئوية

الرطوبة: 27%

قدمـاه تتجمـدان في الجـورب، وهنـا بالداخـل تحمـل الريـاح أنينـا كأنـه صـادر عـن شـبح عميـق الصـوت. يقبـض عـلى الرافعـة المثبتـة بالبـاب، واتباعـا للتعليـمات البصريـة، يجذبهـا بقـوة إلى أسـفل وعكـس حركـة عقـارب السـاعة.

تتحرر سلسلة من الأقفال، وينعتق الباب ليتأرجح على مفصلاته.

يدفعـه لينفتـح، وتلفـح وجهـه أبـرد هبـة هـواء واجههـا مـن قبـل بإحسـاس يتجـاوز درجـة الحـرارة. كأنهـا أظافـر تنشـب في جلـده. وعـلى

الفور، يشعر بشعيرات أنفه تتجمد، وعندما يجذب نفسا، يغص بالألم منه وهو ينزلق في مريئه.

عبر النافذة المفتوحة، يرى ممرا يهبط بزاوية من المحطة إلى الغطاء الجليدي، والعالم متسربل بالظلام وبدوامات من إبر الثلج التي تلسع وجهه كالشظايا.

مدى الرؤية أقل من ربع ميل، لكن في ضوء القمر يمكنه فقط أن يميز أبنية أخرى في الجوار. سلسلة من خزانات أسطوانية كبيرة يظن أنها محطة لمعالجة المياه. برج متمايل إما أنه نوع من الروافع أو منصة حفر. تليسكوب مُنكّس في مواجهة العاصفة. مركبات من أحجام متنوعة على مسارات متواصلة.

لا يمكنه تحمل الأمر أكثر من ذلك. يقبض على الباب بأصابع بدأت بالفعل في التصلب ويجذبه بقوة ليغلقه. تنعقد الأقفال. تنتقل الرياح من الصراخ إلى ذلك الأنين الدائم والشبحي.

يخرج من الدهليز وتحت أضواء المحطة الأصلية والتي يبدو أنها فارغة، يشتعل وجهه إذ يستيقظ مرة أخرى من أبسط لمسة لعضة الصقيع.

في هذه اللحظة، هو رجل بلا ذاكرة، والشعور بأنه جانح في الزمان عبارة عن رعب وجودي ساحق. أشبه بالاستيقاظ من نوم قلق، بينما مازالت الخطوط الفاصلة بين الواقع والحلم مشوشة وأنت تنادي على أشباح.

كل ما يتذكره اسمه الأول، وإحساس مشوش بنفسه.

في مساحة الجلوس حول التلفاز، يرى علبة دي ڤي دي مفتوحة وجهاز تحكم عن بعد. يجلس على إحدى الأرائك، ويتناول جهاز التحكم، ويضغط زر التشغيل.

على الشاشة، تجلس المرأة بالضبط حيث يجلس، على كتفيها فردت بطانية وعلى المنضدة أمامها كوب من الشاي يتصاعد منه البخار.

تبتسم للكاميرا وتزيح خصلة من الشعر الأبيض عن وجهها، يخفق قلبه لمرآها.

"هذا شيء غريب." وتضحك بعصبية. "ينبغي أن تشاهد هذا يوم *16* أبريل *2019* - يومنا المفضل في التاريخ. لقد انتقل وعيك وذكرياتك للتو من الخط الزمني السابق. أو ينبغي أن يكون. مع كل تكرار جديد، تأتي ذكرياتك ببطء أكبر وأكثر عشوائية. أحيانا تفقد أعمارا كاملة. لذا صنعت هذا الفيديو - أولا لأخبرك ألا تخاف، لأنك ربما تتساءل لماذا أنت موجود في محطة أبحاث في أنتاركتيكا. وثانيا، لأني أريد أن أن أقول شيئا لباري الذي يتذكر كل الخطوط الزمنية، الذي يختلف إلى حد كبير عن الرجل الذي أعيش معه الآن. لذا من فضلك، أوقفني حتى تصل ذكرياتك."

يوقف الفيديو.

الجو هادئ للغاية هنا.

لا شيء غير هدير الرياح.

يذهب إلى المطبخ، وبينما يصنع لنفسه كوبا من القهوة، يشعر بضيق في صدره.

ثمة عاصفة من المشاعر تلوح في الأفق.

تدق رأسه بشدة عند قاعدة جمجمته، ويفاجئه نزيف من الأنف.

بار بورتلاند.

هيلينا.

كشفها البطيء عمن تكون.

شراء هذه المحطة القديمة للأبحاث في مطلع الألفية.

قاما بتجديدها، ثم طارا بالكرسي وأجزاء مكوناته إلى هنا بطائرة شارتر *737* علقت في هبوط مروع على مدرج الهبوط والإقلاع القطبي.

أحضرا معهما فريقا من علماء فيزياء الجسيمات كانا قد تحريا عنهم على ما يبدو في خط زمني سابق، ولم يكن لديهم أي تصور عن الطبيعة الحقيقية لبحثهم. حفروا في دائرة قطر نواها *1.5* قدما وبعمق *8000* قدم في الغطاء القطبي وأنزلوا كاشفات ضوء عالية الحساسية لأكثر من ميل تحت الثلج. كانت أجهزة الاستشعار مصممة لكشف النيوترينوات، أحد أكثر الجسيمات غموضا في الكون. فالنيوترينوات لا تحمل أي شحنة، ونادرا ما تتفاعل مع المادة العادية، وتظهر عادة من (ولذلك تشير إلى) أحداث كونية مثل المستعر الأعظم[1] ونويات المجرة والثقوب السوداء. وعندما يتصادم نيوترينو مع ذرة على الأرض، يخلق جسيما يُسمى ميون، وهو يتحرك أسرع من الضوء في محيط صلب، جاعلا الثلج يبعث الضوء. هذه الموجات الضوئية التي تسببها الميونات المارة عبر الثلج الصلب هي ما يبحثون عنه.

(1) المُستَعِرُ الأعظم هو حدث فلكي يحدث خلال المراحل التطورية الأخيرة لحياة نجم ضخم، حيث يحدث انفجار نجمي هائل يقذف فيهِ النجم بغلافهِ في الفضاء عند نهاية عمره، ويؤدي ذلك إلى تكون سحابة كروية حول النجم، وبراقة للغاية من البلازما، وسرعان ما تنتشر طاقة الانفجار في الفضاء وتتحول إلى أجسام غير مرئية في غضون أسابيع أو أشهر.

كانت نظرية باري، المنتقلة من خطوط زمنية أسبق، أنه إذا كانت الثقوب السوداء والثقوب الدودية متناهية الصغر تومض وتنطفئ في الوجود سريعا عندما يولد وعي شخص ما من جديد في ذكرى أقدم، فإن كاشفات الضوء تلك ستسجل الموجات الضوئية التي تسببها الميونات التي تسببها النيوترينوات المنبعثة من الثقوب السوداء والمصطدمة بنوى الذرات الأرضية.

لم يصلوا إلى أي مكان.

لم يكتشفوا أي شيء.

عاد فريق فيزيائيي الجسيمات إلى ديارهم.

ست أعمار يسعون فيها وراء فهم أعمق لكرسي الذاكرة، وكل ما استطاعوا أن يفعلوه هو تأجيل المحتوم.

يتطلع إلى الشاشة، حيث تجلس هيلينا مجمدة في منتصف إيماءة.

الآن تأتي الذكريات الميتة للخطوط الزمنية الأسبق. حيواتهما في أريزونا ودينفر وعلى ساحل مين الوعر. حياته بدونها في مدينة نيويورك، حياتهما معا في أسكتلندا. لكن مازالت هناك فجوات. لديه ومضات من الخط الزمني الأخير قرب سان فرانسيسكو، لكنها غير كاملة - لا يمكنه تذكر آخر أيامه، عندما تذكَّر العالم.

يضغط زر التشغيل.

"إذًا تذكرت؟ طيب. السبب الوحيد في مشاهدتك لهذا هو أني رحلت."

تنفلت الدموع. إنه أغرب إحساس. في الوقت الذي يعلم باري ابن هذا الخط الزمني أنها ميتة، تشعر نسخ باري من الخطوط الزمنية الأسبق في نفس الوقت بألم فقدها لأول مرة.

"أنا آسفة، حبيبي."

يتذكـر اليـوم الـذي ماتـت فيـه، منـذ ثمانيـة أسـابيع. كانـت قـد أصبحـت طفلـة تقريبـا قبـل تلـك اللحظـة، بعـد أن ذهـب عقلهـا. كان عليـه أن يطعمهـا، ويلبسـها، ويحمّيهـا.

لكـن كان هـذا أفضـل مـن الوقـت الـذي سـبق هـذه الفـترة مبـاشرة، عندمـا كانـت لديهـا وظائـف معرفيـة باقيـة تكفـي لإدراك حيرتهـا الكاملـة. في لحظـات صفـاء تفكيرهـا، كانـت تصـف هـذا الإحسـاس بأنهـا كالضائعـة في غابـة مـن غابـات الأحـلام - بـلا هويـة، بـلا وعـي بمتـى أو أيـن كانـت. أو بـدلا مـن ذلـك، تكـون واثقـة بشـكل مطلـق أنهـا في الخامسـة عـشرة مـن عمرهـا ومازالـت تعيـش مـع والديهـا في بولـدر، وتحـاول أن تقيـس محيطاتهـا الغريبـة بإحساسـها بالمـكان والزمـان والـذات. وكثـيرا مـا تسـاءلت إن كان هـذا مـا أحسـت بـه أمهـا في عامهـا الأخـير.

"هـذا الخـط الزمنـي - قبـل أن يبـدأ عقـلي في التشـقق - كان أفضلهـا جميعـا. الأفضـل في حيـاتي الطويلـة للغايـة. هـل تذكـر تلـك الرحلـة التـي قمنـا بهـا - أعتقـد أنهـا كانـت خـلال حياتنـا الأولى معـا - لرؤيـة طيـور بطريـق الإمبراطـور أثنـاء هجرتهـا؟ أتذكـر كيـف وقعنـا في حـب هـذه القـارة؟ في حـب الطريقـة التـي تُشـعرك بهـا وكأنـك الشـخص الوحيـد في العـالم؟ طريقـة ملائمـة بعـض الـشيء، أليـس كذلـك؟" تنظـر بعيـدا عـن الكامـيرا وتقـول: **"مـاذا؟ لا تكـن غيـورا. ستشـاهد هـذا يومـا مـا. سـتحمل المعرفـة بـكل لحظـة قضيناهـا معـا، كل السـنوات المائـة والأربـع والأربعـين."**

تعـود للنظـر إلى الكامـيرا. **"يجـب أن أخـبرك يـا بـاري، أننـي لم أكـن لأسـتطيع أن أتحمـل كل هـذا الوقـت بدونـك. لم أكـن لأسـتمر في محاولـة إيقـاف المحتـوم. لكننـا نتوقـف اليـوم. كـما تعـرف قبـل قليـل مـن الآن، لقـد فقـدتُ القـدرة عـلى رسـم خريطـة الذكريـات. مثـل سـليد،**

استخدمتُ الكرسي مرات أكثر من اللازم. لذا لن أعود. وحتى لو عدت أنت إلى نقطة في خط الزمن كان فيها وعيي شابا وغير منهك، لا توجد ضمانة أن بإمكانك إقناعي ببناء الكرسي. ولأي غاية؟ لقد جربنا كل شيء. الفيزياء، علم الأدوية، علم الأعصاب. بل إننا فشلنا في محاولتنا مع سليد. لقد حان الوقت كي نعترف بفشلنا ونترك العالم يمضي نحو تدمير نفسه، والذي يبدو أنه حريص على أن يفعله."

يرى باري نفسه يخطو داخل الكادر ويتخذ مجلسه إلى جوار هيلينا. يضع ذراعه حولها. وتشد نفسها إليه، واضعة رأسها على صدره. ياله من إحساس سريالي وهو يتذكر الآن ذلك اليوم عندما قررت أن تسجل رسالة لباري الذي سيندمج مع وعيه يوما ما.

"لدينا أربعة أعوام قبل يوم القيامة."

"أربعة أعوام وخمسة شهور وثمانية أيام.." يقول باري الذي على الشاشة. **"لكن من سيحسب؟"**

"سنقضي هذا الوقت معا. لديك هذه الذكريات الآن. آمل أن تكون جميلة."

وهي كذلك.

قبل أن ينهار عقلها تماما، قضيا عامين طيبين، عاشاهما متخففين من عبء محاولة منع العالم من التذكر. عاشا هذين العامين ببساطة وهدوء. تمشيات على الغطاء الجليدي لمشاهدة أضواء الشفق القطبي العجيبة. ألعاب وأفلام وطبخ هنا في الطابق الرئيسي. الرحلة من وقت لآخر إلى جزيرة نيوزيلندا الجنوبية أو إلى باتاجونيا. مجرد أن يكونا معا. ألف لحظة صغيرة، لكنها كافية لجعل الحياة تستحق العيش.

كانت هيلينا على حق. كانت أفضل سنوات حياته أيضا.

تقول: "هذا غريب. أنت تشاهد هذا الآن، من المحتمل بعد أربعة أعوام من هذه اللحظة، رغم أني واثقة من أنك ستشاهده قبل ذلك لترى وجهي وتسمع صوتي بعد أن أرحل."

هذا صحيح. لقد فعل هذا.

"لكن لحظتي تبدو حقيقية بالنسبة لي كما تبدو لحظتك لك. هل كلتاهما حقيقيتان؟ هل هو وعينا فقط ما يجعلها كذلك؟ يمكنني تخيلك جالسا هناك بعد أربعة أعوام، رغم أنك إلى جواري هنا في هذه اللحظة، في لحظتي، وأشعر كما لو كان بمقدوري أن أمد يدي عبر الكاميرا وألمسك. أتمنى لو أستطيع. لقد جربت أكثر من مائتي عام، وفي نهاية هذا كله، أعتقد أن سليد كان على حق. إن الطريقة التي ندرك بها الواقع والزمن من لحظة إلى لحظة هي مجرد نتاج لتطورنا. كيف نفرق بين الماضي والحاضر والمستقبل. لكننا نملك ما يكفي من الذكاء كي نعي وجود الوهم، حتى ونحن نعيش به، وبالتالي؛ في لحظات مثل هذه - عندما يمكنني تخيلك جالسا بالضبط حيث أجلس، منصتا لي، محبا لي، مفتقدا لي - نتعذب نحن الاثنان. لأني محبوسة في لحظتي، وأنت محبوس في لحظتك."

يمسح باري عينيه، وهو ينوء تحت الثقل العاطفي الكامل لآخر عامين معها، والشهرين اللذين قضاهما وحيدا. لقد انتظر فقط أن يمر بهذه الذكرى للخط الزمني السابع ليرى كيف يبدو شعور شخص له تواريخ عديدة. ليفهم نفسه بشكل تام. أن يخبروك بأنه كانت لك ابنة شيء، وأن تتذكر صوت ضحكتها شيء آخر تماما. اللحظات الأولى لحملها. إن إجمالي اللحظات كلها أكثر مما يمكنه أن يتحمل.

"لا تعد من أجلي يا باري."

لكنه عاد بالفعل. في صباح اليوم الذي انقلب فيه مستيقظا ووجدها ميتة إلى جواره، استخدم الكرسي ليعود شهرا ليكون معها

وقتا أطول قليلا. ثم عندما ماتت، فعلها مرة أخرى. ومرة أخرى. قتل نفسه عشر مرات في الحوض كي يؤجل الصمت والوحدة الهائلين للحياة بدونها في هذا المكان.

تقول هيلينا: "'والآن ها هو قد رحل عن هذا العالم الغريب قبلي بقليل. وهذا لا يعني شيئا. فالأشخاص الذين على شاكلتي، هؤلاء الذين يؤمنون بالفيزياء، يعرفون أن الفرق بين الماضي والحاضر والمستقبل ما هو إلا مجرد وهم مستمر بعناد.' هذا ما قاله أينشتين عن صديقه ميشيل بيسو. جميل، أليس كذلك؟ أعتقد أنه كان على حق."

باري الذي في الشاشة يبكي.

وباري ابن هذه اللحظة يبكي.

"كنت لأقول إن الأمر كان يستحق أن أبني بالصدفة كرسيا مدمرا للعالم لأنه أتى بك إلى حياتي، لكن ربما تكون هذه صيغة سيئة. لو استيقظت يوم *16* أبريل *2019*، ولم يتذكر العالم بطريقة ما وينهار، أتمنى أن تكمل بدوني وتعيش حياة رائعة. ابحث عن سعادتك. لقد وجدتها معي، وهو ما يعني أنها ممكنة التحقيق. أما لو تذكر العالم، فقد فعلنا ما بمقدورنا، وإذا شعرت بالوحدة في النهاية يا باري، اعلم أني معك. ربما ليس في لحظتك. لكني في هذه اللحظة. يا قلبي."

تُقبل باري الذي إلى جوارها وتلقي بقبلة إلى الكاميرا.

تظلم الشاشة.

يفتح نشرة الأخبار، ويشاهد لمدة خمس ثوان قارئا متوترا للأخبار على قناة بي بي سي يقول أن كتلة اليابس الأساسية للولايات المتحدة

قـد تعرضـت للـضرب بعـدة آلاف مـن رؤوس الصواريـخ النوويـة، وبعـد ذلـك يغلـق التليفزيـون.

يقطع باري الدهليز، نحو الباب الذي يبقيه محميا من البرد القاتل.

لديـه الآن ذكـرى قديمـة لجوليـا. فيهـا جوليـا شـابة، وكذلـك هـو. ميجـان موجـودة، وهـم يخيمـون عنـد بحـيرة (دمعـة الغيـوم)، عاليـا في جبـال آديرونـداك.

تبـدو اللحظـة قريبـة بمـا يكفـي للمسـها. رائحـة الأشـجار دائمـة الخـضرة. صـوت ابنتـه. لكـن ألم الذكـرى يعلـق كغيمـة سـوداء في صـدره.

مؤخـرا كان يقـرأ الفلاسـفة والفيزيائيـين العظـام. مـن أفلاطـون إلى أرسـطو. مـن زمـن نيوتـن المطلـق إلى نسـبية أينشـتين. تطفـو عـلى السـطح حقيقـة واحـدة مـن كل هـذا الخليـط مـن النظريـات والفلسـفات - لا أحـد يملـك مفتـاح الـسر. قالهـا القديـس أوغسـطين بطريقـة نموذجيـة قديمـا في القـرن الرابـع: "مـا هـو الزمـن إذًا؟ إذا لم يسـألني أحـد، فأنـا أعـرف. وإذا أردت أن أشرحـه لهـذا الـذي يسـأل، لا أعـرف."

في بعـض الأيـام، يبـدو أشـبه بنهـر يتدفـق بجـواره. وفي أيـام أخـرى، يشـبه شـيئا ينزلـق هـو عـلى سـطحه. أحيانـا، يبـدو وكأنـه قـد حـدث كلـه بالفعـل، وهـو فقـط يمـر بشرائـح تدريجيـة، مـن لحظـة إلى أخـرى، ووعيـه مثـل إبـرة في لفـات أسـطوانة موجـودة بالفعـل - بدايـة، ووسـط، ونهايـة.

وكأن اختياراتنا، وأقدارنا، مثبَّتة منذ أول أنفاسنا.

يفحص الشاشة على الباب:

الرياح: هادئة

درجة الحرارة: -83.9 فهرنهيت، -64.4 درجة مئوية

برودة الرياح: -83.9 فهرنهيت، -64.4 درجة مئوية

الرطوبة: 14%

لكـن في ليلـة مثـل هـذه، ليلـة عقـل لا يقـر لـه قـرار وأحـلام بأشـباح، يبـدو الوقـت ثانويـا بالنسـبة للمحـرك الأسـاسي الحقيقـي - الذاكـرة. ربمـا الذاكـرة هـي الأساسـية، الـشيء الـذي ينبثـق منـه الزمـن.

لقـد ولى ألم الذكـرى، لكنـه لا يحمـل ضغينـة ضـد زيارتـه. لقـد عـاش طويـلا بمـا يكفـي كي يعـرف أن الذكـرى تـؤلم لأنـه منـذ سـنوات عديـدة، في خـط زمنـي ميـت، مـر بلحظـة رائعـة.

لا يهـم مـا الوقـت. لأنـه طـوال الشـهور السـتة التاليـة، سـيكون ليـلا دائمـا.

لقـد همـدت الريـاح، لكـن درجـة الحـرارة تراجعـت إلى درجـة تجمـد رمـوش العـين بلغـت ثمانـين تحـت الصفـر. تقـف محطـة الأبحـاث عـلى بُعـد نصـف ميـل، الأثـر الوحيـد لضـوء مـن صنـع الإنسـان في الصحـراء القطبيـة الفسـيحة.

لا توجـد ملامـح لـلأرض يمكـن الحديـث عنهـا. مـن حيـث يجلـس، ليـس هنـاك مـن شيء إلا سـهل أبيـض مسـطح مـن جليـد نحتتـه الريـاح يمتـد بعيـدا نحـو كل أفـق.

يبـدو مـن المسـتحيل، وهـو جالـس هنـا وحيـدا تمامـا في السـكون التـام، أن بقيـة العـالم سـتتحطم أشـلاء. والأغـرب أن هـذا كلـه بسـبب كـرسيّ خلقتـه بالمصادفـة المـرأة التـي يحـب.

هـي مدفونـة في الجليـد إلى جـواره، عـلى عمـق أربعـة أقـدام في تابـوت صنعـه مـن كـسرات صنوبـر مـن محـل الأخشـاب. وصنـع لافتـة صغـيرة مـن أفضـل قطعـة بلـوط اسـتطاع أن يجدهـا وحفـر عليهـا كلمـة قصـيرة - هـي غايتـه الوحيـدة في هذيـن الشـهرين الأخيريـن.

هيلينا جراي سميث

ولدت 19 يوليو 1970، بولدر، كولورادو

ماتت 14 فبراير 2019، شرقي أنتاركتيكا

عبقرية شجاعة جميلة

معشوقة باري ساتون

منقذة باري ساتون

يتطلع عبر الغطاء الجليدي.

ولا حتى هبة ريح.

مكتبة
t.me/t_pdf

لا شيء يتحرك.

عالم متجمد على نحو مثالي.

وكأنه خارج الزمن.

الشهب ترسم خطوطا في السماء، وأضواء الشفق القطبي بدأت للتو الرقص في الأفق - شريط رجراج من الأخضر والأصفر.

يحدق باري من فوق حافة الحفرة المجاورة لحفرة هيلينا.

يأخذ نفسا متجمدا، ثم ينزلق بإحدى ساقيه من فوق الجانب ويهبط بجسده أسفل سطح الوادي.

تلمس كتفاه الجانبين، وثمة فراغ مجوف بين حفرته وحفرة هيلينا بحيث يمكنه أن يمد يده عبره ويلمس تابوتها المصنوع من خشب الصنوبر.

إحساس جيد أن يكون بقربها مرة أخرى. أو ما كانت هي يوما ما.

تؤطر أبعاد قبره سماء الليل.

النظـر إلى الفضـاء مـن أنتاركتيـكا يبـدو مثـل النظـر إلى الفضـاء مـن الفضـاء. في ليلـة كهـذه - بـلا ريـاح، بـلا طقـس، بـلا قمـر - تبدو آثـار درب اللبانـة أقـرب إلى نـار سـماوية، مترعـة بألـوان لم تكـن لتراهـا قـط مـن أي مـكان آخـر عـلى الأرض.

الفضـاء واحـد مـن الأماكـن القليلـة التـي يكـون للزمـن معنـى فيهـا بالنسـبة لـه. هـو يعـرف، عـلى مسـتوى فكـري، أنـه عندمـا ينظـر إلى أي شيء، فهـو ينظـر إلى الـوراء في الزمـن. في حالـة النظـر إلى يـده، يسـتغرق الضـوء نانوثانيـة - أي جـزء مـن مليـار مـن الثانيـة - لينقـل الصـورة إلى عينيـه. وعندمـا ينظـر إلى محطـة الأبحـاث مـن عـلى بُعـد نصـف ميـل، فهـو يـرى الهيـكل كـما كان موجـودا منـذ 2.640 نانوثانيـة.

يبدو الأمر فوريا، وبكل المعاني، هو كذلك.

لكـن عندمـا ينظـر بـاري إلى سـماء الليـل، فهـو يـرى نجومـا اسـتغرق ضوؤهـا عامـا أو مائـة عـام أو مليـون عـام كي يصلـه. التلسـكوبات التـي تحـدق في الفضـاء البعيـد تنظـر إلى ضـوء عمـره عـشرة مليـارات عـام مـن نجـوم التحمـت بعـد أن بـدأ الكـون للتـوّ.

هو ينظر إلى الوراء، ليس فقط عبر المكان، بل عبر الزمان.

يشـعر بـبرودة أكـبر مـما كان يشـعر بهـا عندمـا يخـرج للتمشـية إلى موقـع القـبر، لكنهـا ليسـت بـرودة كافيـة. سـيكون عليـه أن يفتـح معطفـه المبطـن بالفـراء ويزيـل بعـض الطبقـات.

ينهـض في جلسـته، ويخلـع القـشرة الخارجيـة لقفـازه الأيمـن، ويبحـث في جيبـه.

يُخـرج قـارورة ويسـكي، ظلـت بشـكل مـا دافئـة بقربهـا مـن جسـده والهـواء المحبـوس بـين طبقـات الملابـس. خارجـا في الخـلاء، الجـو أبـرد مـما يكفـي لتجميـد مـا بداخلهـا خـلال دقيقـة.

بعـد ذلـك، يُخـرج زجاجـة أوكـسي. تحتـوي عـلى خمسـة أقـراص بتركيـز 20 مجـم، وإذا لم تقتلـه عـلى الفـور، فسـتجعله بالتأكيـد يذهـب في سـبات عميـق بينـما يتكفـل الـبرد بالقضـاء عليـه.

يفتـح الزجاجـة ويلقـي بالحبـوب في فمـه، ويبلعهـا بعـدة جرعـات مـن الويسـكي البـارد كالثلـج الـذي مـازال يشـعره بالحـرارة عندمـا يـضرب معدتـه.

لقد كان يتخيل هذه اللحظة بطريقة مُلحة منذ ماتت هيلينا.

كانـت الوحـدة لا تطـاق بدونهـا، ولم يبـق لـدى العـالم بعدهـا أي شيء مـن أجلـه، هـذا إذا اسـتمر أصـلا في الوجـود. هـو لم يعـد يريـد أن يعـرف مـا سـيحدث بعـد ذلـك.

يعـود للتمـدد في القـبر، مفكـرا أنـه سـينتظر كي يفتـح سـترته حتـى يشـعر بـأول آثـار المخـدر، عندمـا تأتيـه ذكـرى.

ظـن أنـه تذكـر كل شيء، لكـن الآن تومـض في ذهنـه اللحظـات الأخـيرة مـن الخـط الزمنـي السـابق.

سليد يقول...

"عليكما أن تعودا إلى ما حدث أولاً."

"حاولنا ذلك. مرات عديدة. عادت هيلينا إلى عام *1986*..."

"توقـف عـن التفكـير بطريقـة خطيـة. ليـس إلى بدايـة هـذا الخـط الزمنـي. ولا حتـى الخمسـة أو السـتة السـابقة. عليكـما أن تعـودا إلى الواقعـة التـي بـدأت كل هـذا، وتلـك موجـودة في الخـط الأصـلي."

"الخط الزمني الأصلي موجود فقط في ذكرى ميتة."

"بالضبـط. عليكـما أن تعـودا وتعيـدا تشـغيلها. تلـك هـي الطريقـة الوحيـدة لمنـع النـاس مـن التذكـر. قتلـتُ هيلينـا يـوم 5 نوفمـبر *2018*، في

الخط الزمني الأصلي. ارجع إلى أقرب ما يمكنك من هذا التاريخ... وامنعني."

اللعنة.

يتذكر العدو هابطا التل بأقصى سرعته، إلى داخل البيت، صارخا باسمها. يداه مجمدتان على غطاء حوض العزل بينما ينتهي الخط الزمني.

ماذا لو كان سليد على حق؟ ماذا لو أن هذه الخطوط الزمنية القديمة مازالت موجودة هناك؟ مثلا ذكرى بحيرة دمعة الغيوم. بإمكانه رؤية وجهيّ جوليا وميجان بوضوح. تذكر صوتيهما. ماذا لو كان بمقدوره أن ينعش ذكرى ميتة بالقوة الخالصة لوعيه نافخا الحياة والنار في الرماد؟

هل هناك فرصة قد تعيد وعي كل شخص آخر إلى ذلك الخط الزمني الميت كذلك؟

وإذا كان بمقدوره العودة، ليس فقط إلى خط زمني سابق، بل إلى الخط الأصلي، لن تكون هناك أي ذكريات زائفة من الخطوط الزمنية اللاحقة، ولا ذكريات من خطوط سابقة أيضا.

لأنه لا توجد خطوط زمنية تسبق الأصلي.

سيكون الأمر وكأن شيئا من هذا لم يحدث.

لقد تناول الحبوب بالفعل. لعل أمامه نصف ساعة، وربما أطول، قبل أن يسيطر عليه المخدر.

ينهض في جلسته بالقبر، بيقظة حادة.

والأفكار تتسابق.

ربما كان سليد يكذب، لكن أليس البقاء هنا، قاتلا نفسه إلى جوار جسد هيلينا بينما يغرق في ذكراها هو نفس الهوس الفيتشي بالنوستالجيا الذي فعله مع ميجان؟ مجرد مثال آخر للحنين إلى الماضي الذي لا يمكن الوصول إليه؟

هناك في المحطة، يمسك باري بخوذة وباللوح الذي يتحكم عن بعد في البوابة الحاسوبية. يعتلي الكرسي ويخفض ميكروسكوب ميج على الخوذة، التي تبدأ في الطنين بنعومة.

لقد عدا نصف الميل من موقع قبر هيلينا إلى المحطة، ويتصور أن لديه من عشر إلى خمس عشرة دقيقة قبل أن يبدأ تأثير الأوكسي.

لقد عاش وقائع الخط الزمني الأصلي عدة مرات - جوليا، ميجان، موت ابنته، طلاقه، حياته كشرطي في مدينة نيويورك. في ذهنه، تكسو الذكريات الميتة إحداها الأخرى، وكل عمر يتجلى في عين عقله كلوحة رمادية مسكونة بالأشباح. لكن كلما كان الخط الزمني أقدم، كلما أصبح أكثر سوادا، مثل الويسكي المتبقي في البرميل. وأخيرا يحيط بأقدم خط زمني - أكثر سوادا من أكثر (فيلم نوار) كآبة ويحمل الجاذبية الملموسة للخط الأصلي.

يوقظ اللوح ويفتح ملفا جديدا ليسجل الذكرى.

الوقت ينفد منه.

لا يتذكر أي شيء عن يوم 5 نوفمبر 2018. إنه مجرد تاريخ في رأسه سمعه من سليد، ومن محادثة أجراها مع هيلينا منذ أعمار كثيرة، كثيرة.

لكن يوم 4 نوفمبر هو عيد ميلاد ميجان. وهو يعرف بالضبط أين كان.

يضغط باري زر التسجيل ويتذكر.

وعندما ينتهي، ينتظر حتى يحسب البرنامج عدد المشبكيات العصبية للذكرى. يخطر له أن إذا تبين أن الرقم أقل من اللازم، سيكون عليه أن ينبش في البرنامج ويعطل جدار الحماية، وسيستغرق هذا وقتا أطول مما لديه.

يومض اللوح برقم.

.121

بالكاد في المنطقة الآمنة.

يلصق باري منفذ حقن بساعده الأيسر ويُحمل كوكتيل العقاقير داخل الآلية.

يظل مفكرا أنه يشعر بأول علامات الأوكسي بينما يبرمج تسلسل إعادة تنشيط الذكرى عند البوابة، لكنه سرعان ما يتعرى ويصعد إلى داخل الحوض.

طافيا على ظهره في الماء، يمد يده إلى أعلى ويجذب الغطاء ليغلقه فوقه.

عقله يذهب في ألف اتجاه مختلف.

سيفشل هذا وستموت فقط في هذا الحوض.

اللعنة على العالم، انقذ ميجان.

عد إلى هناك ومت إلى جوار زوجتك مثلما كنت تنوي طوال الشهرين الماضيين.

عليك أن تستمر في المحاولة. كانت هيلينا ستريد هذا.

ثمة ذبذبة خفيفة في ساعده الأيسر. يغلق عينيه ويأخذ نفسا عميقا، متسائلا إن كان هذا هو نفسه الأخير.

باري

يقف العالم ساكنا كلوحة - لا حركة، ولا حياة، ولا لون - ومع ذلك، هو واعٍ بوجوده نفسه.

لا يمكنه أن يرى إلا في الاتجاه الذي يواجهه، محدقا عبر صف من الموائد غربا نحو النهر، والماء أسود غالبا.

كل شيء مجمد.

كل شيء في ظلال من الرمادي.

أمامه مباشرة، نادل - أسود كخيال ظل - يحمل إبريق ماء مثلج.

يشغل الناس موائد تعلوها مظلات، عالقين في لحظات ضحك وأكل وشرب، حاملين مناديل إلى أفواههم. لكن ليست هناك أي حركة. قد يكونون كذلك نقوشا على جرة.

أمامـه مبـاشرة، يـرى جوليـا، جالسـة بالفعـل إلى مائدتهـما. هـي تنتظـره، متوقفـة في لحظـة تأمليـة قلقـة، ويشـعر بخـوف مرعـب مـن كونهـا سـتنتظر إلى الأبـد.

لا يشـبه هـذا إطلاقـا العـودة إلى ذكـرى في خـط زمنـي حـيّ. تلـك عمليـة تتجسـد فيهـا ذاتـك ببـطء بينـما تجتاحـك أحاسـيس الذكـرى. تصـل إلى الفعـل والطاقـة.

أما هنا، فلا شيء من هذا.

ويخطر له - أنا أخيرا في لحظة اسمها الآن.

أيـا كان مـا هـو عليـه أو مـا قـد أصبـح عليـه، يشـعر بـاري بحريـة حركـة لم يعرفهـا قـط. هـو لم يعـد في فضـاء ثـلاثي الأبعـاد، ويتسـاءل إن كان هـذا مـا قصـده سـليد بجملـة: **وربمـا لـن تريهـا قـط، إلا إذا تمكنـتِ مـن السـفر بالطريقـة التـي سـافرت بهـا.** هـل هكـذا عايـن سـليد الكـون؟

على نحو مستحيل، يتلفت داخل نفسه ويحدق إلى الوراء عبر...

لا يعرف ما هو بالضبط.

ليس حالا، على الأقل.

هـو عالـق عنـد الحافـة الأماميـة لـشيء يُذكـره بمسـار نجـم جـرى تصويـره بتقنيـة التصويـر المتقطـع لإظهـار مـرور الوقـت، غـير أن هـذا المسـار جـزء منـه، امتـداد لكيانـه بنفـس القـدر الـذي لذراعـه أو لعقلـه، مسـار يمتـد بعيـدا ويتلولـب حـول نفسـه ليتخـذ شـكلا متوهجـا جزئيـا أجمـل وأكـثر غموضـا مـن أي شيء في خبرتـه. وهـو يعـرف، عـلى مسـتوى لا يمكنـه أن يبـدأ في شرحـه، أن هـذا هـو خـط عالمـه الأصـلي، وأنـه يحتـوي عـلى اتسـاع وجـوده كـما شـكلته الذاكـرة.

كل ذكرى صنعها.

كل ذكرى صنعته.

لكـن هـذا ليـس هـو هـو خـط عالمـه الوحيـد. ثمـة خطـوط أخـرى تتفـرع مـن هـذا الخـط، تتلـوى وتلتـف عـلى أنفسـها عـبر الزمـكان.

يشـعر بخـط عـالم الذكريـات الـذي أنقـذ فيـه ميجـان مـن حادثـة صدمـة وفـرار.

ثـلاثي مـن خطـوط عـالم أصغـر، انتهـى كل واحـد منهـا بموتـه في فنـدق سليد .

الأعـمار التاليـة التـي عاشـها هـو وهيلينـا في محاولاتهـما لتجنـب نهايـة الواقع.

حتـى التفرعـات التـي خلقهـا في حياتهـما الأخـيرة في أنتاركتيـكا - خطـوط ذكريـات كمحـاور العجلـة تشـكل المـرات العـشر التـي مـات فيهـا في الحـوض كي يكـون معهـا مـرة أخـرى.

لكن لا شيء من هذا يهم بعد ذلك.

الخـط الزمنـي الـذي هـو فيـه الآن هـو الخـط الأصـلي، وهـو يـسرع سـابحا ضـد التيـار في نهـر حياتـه، مصطدمـا بلحظـات منسـية، مسـتوعبا أخـيرا أن الذاكـرة هـي كل مـا يكوّنـه.

هي كل ما يتكوّن منه أي شيء.

عندمـا تلمـس إبـرة وعيـه ذكـرى مـا، تبـدأ حياتـه في العمـل، ويجـد نفسـه في لحظـة مجمـدة...

رائحـة أوراق الشـجر الميتـة ولسـعة بـرد الخريـف في المدينـة، جالسـا في غابـة الشـجر في سـنترال بـارك، يبـكي بعـد توقيـع أوراق طلاقـه.

يتحرك مرة أخرى...

أسرع الآن...

عبر ذكريات أكثر مما يمكنه أن يحصي.

كثيرة كالنجوم - مثل التحديق عبر كون ليس إلا هو نفسه.

جنـازة أمـه، يُطـرق ناظـرا في تابوتهـا المفتـوح، يـداه عـلى يديهـا وتصلبهـما البـارد بينـما يتفحـص وجههـا مفكـرا: ليسـت تلـك أنـتِ...

جسـد ميجـان عـلى منضـدة التشريـح - جذعهـا المحطـم مغطـى بكدمـة سـوداء.

العثور عليها على جانب الطريق قرب بيتهم.

لماذا هذه اللحظات؟ يتساءل.

قيـادة السـيارة عـبر الضواحـي في ليلـة بـاردة مظلمـة مـا بـين عيـد الشـكر وليلـة الكريسـماس، جوليـا في المقعـد المجـاور، ميجـان في الخلـف، الـكل هـادئ وراض، يشـاهدون أضـواء الكريسـماس عـبر النوافـذ - زفـرة ارتيـاح وسـط رحلـة الحيـاة، مـا بـين العواصـف، حيـث اسـتقر كل شيء في انتظـام عابـر.

يُنتـزع بعيـدا مـن جديـد، مندفعـا الآن عـبر نفـق تصـب جـدران ذاكرتـه نارهـا عليـه.

ميجـان خلـف عجلـة قيـادة سـيارته الكامـري، ونصفهـا الخلفـي قـد اخـترق بـاب الجـراج، وجـه ميجـان أحمـر والدمـوع تنسـاب فوقـه بينـما تتشـبث يداهـا في ذعـر بعجلـة القيـادة.

ركبتـا ميجـان الملطختـان بالعشـب بعـد مبـاراة كـرة قـدم، في السادسـة مـن عمرهـا، وجههـا متـورد وسـعيد.

أول خطـوات ميجـان المتهاديـة في الاسـتوديو الـذي كان لهـما في بروكلـين.

ما هو واقع هذه اللحظة؟

أول مـرة يلمـس فيهـا ابنتـه في حجـرة مستشـفى - يـده عـلى جانـب وجنتهـا الضئيلـة.

جوليـا وهـي تأخـذه مـن يـده، وتقـوده إلى حجـرة النـوم في شـقتهما الأولى، تُجلسـه وتخـبره أنهـا حامـل.

أأنـا في لحظـاتي الأخـيرة داخـل حـوض العـزل في أنتاركتيـكا، أسـتعرض حيـاتي بينـما تنسـل مبتعـدة؟

قيـادة السـيارة عائـدا إلى البيـت بعـد موعـده الأول مـع جوليـا وبهجة وخفـة الأمـل في أنـه ربمـا قـد وجـد شـخصا ليحبه.

مـاذا لـو أن هـذا ليـس أكـثر مـن الانبعاثـات الكهربيـة الأخـيرة لعقـلي المحتـضر؟ نشـاط عصبـي محمـوم يلـوي إدراكي للواقـع ويسـتحضر ذكريات عشوائية؟

هل هذا ما يمر به كل إنسان عند الموت؟

النفق والضوء؟

هذه الجنة الزائفة؟

هـل يعنـي هـذا أني فشـلت في إنعـاش الخـط الزمنـي الأصـلي وانتهـى العـالم؟

أم أني خـارج الزمـان، أنجـذب إلى داخـل الثقـب الأسـود السـاحق، ثقـب ذكرياتي الأسـود؟

يـداه عـلى تابـوت والـده والإدراك القـاسي أن الحيـاة ألم وسـتكون دومـا هكـذا.

في الخامسـة عـشرة مـن العمـر، يُسـتدعى إلى مكتـب الناظـر حيـث تجلـس أمـه عـلى الأريكـة، تبـكي، ويعـرف حتـى قبـل أن يخـبروه أن شـيئا حـدث لوالـده.

الشفتان الجافتان واليدان المرتعشتان لأول فتاة قبّلها على الإطلاق في الصف الأول الثانوي.

أمه وهي تدفع عربة تسوق عبر ممر القهوة لمتجر بقالة وهو في أثرها، وفي جيبه قطعة حلوى مسروقة.

واقف مع أبيه ذات صباح في ممر السيارات المؤدي لبيتهم في بورتلاند، أوريجون، وقد هدأت الطيور، كل شيء ساكن، والهواء بارد كالليل. وجه أبيه وهو يشاهد لحظة اكتمال الخسوف أكثر تأثيرا من الخسوف نفسه. كم مرة في حياتك تشهد والديك ممتلئين بالرهبة؟

راقد في الفراش بالطابق الثاني من بيت جديه الريفي المبني في القرن التاسع عشر في نيوهامبشير بينما تهب عاصفة صيفية قادمة من جبال وايت، تبلل الحقول وأشجار التفاح وتدق على السطح الصفيح.

المرة التي حطم فيها دراجته وكسر ذراعه عندما كان في السادسة.

ضوء قادم عبر نافذة وظلال أوراق الشجر تتراقص على الحائط فوق مهد. الوقت وقت الأصيل - لا يعرف كيف يعرف هذا - ونغمات غناء أمه تتخلل الجدران إلى حجرة نومه وهو رضيع.

ذكراي الأولى.

ليس بمقدوره أن يشرح السبب، لكنها تبدو وكأنها الذكرى التي كان يبحث عنها طوال حياته، وجاذبية النوستالجيا المغوية تسحب وعيه إلى داخلها؛ لأنها ليست مجرد الذكرى الجوهرية للموطن الأول، إنها اللحظة الآمنة والمثالية - قبل أن تحمل الحياة أي ألم حقيقي.

قبل أن يفشل.

قبل أن يفقد الأشخاص الذين أحبهم.

قبل أن يمر بخبرة الاستيقاظ على الخوف من أن أفضل أيامه قد ولت.

يشك في استطاعته وضع وعيه داخل هذه الذكرى كرجل عجوز يوضع في سرير دافئ وثير.

عش هذه اللحظة المثالية إلى الأبد.

ربما تكون هناك أقدار أسوأ.

وربما لا يوجد أفضل من هذا.

هل هذا هو ما تريده؟ أن تُسقط نفسك داخل لوحة طبيعة صامتة لأن الحياة قد كسرت قلبك؟

لأعمار كثيرة جدا، عاش في حالة من الندم الأبدي، عائدا بطريقة مهووسة ومدمرة إلى الأوقات الأفضل، إلى اللحظات التي تمنى لو كان باستطاعته تغييرها. لقد عاش أغلب هذه الأعمار محدقا في مرآة الرؤية الخلفية.

حتى جاءت هيلينا.

تأتي الفكرة تقريبا كصلاة - **لا أريد أن أنظر إلى الوراء أكثر من ذلك. أنا مستعد لتقبل أن وجودي سيشمل الألم أحيانا. لا مزيد من محاولات الهرب، سواء عن طريق النوستالجيا أو كرسي الذاكرة. فهما الاثنان نفس الشيء اللعين.**

الحياة بشفرة للغش ليست حياة. وجودنا ليس شيئا نهندسه أو نحسنه كي نتجنب الألم.

هذا هو ما يعنيه أن تكون إنسانا - الجمال والألم، لا معنى لأحدهما دون الآخر.

وها هو في المقهى مرة أخرى.

تتحـول ميـاه نهـر هدسـون إلى اللـون الأزرق وتبـدأ في التدفـق. تمـلأ الألـوان السـماء ووجـوه الزبائـن والمبـاني وكل سـطح. يشـعر بهـواء الصبـاح البـارد يهـب مـن النهـر عـلى وجهـه. يشـم رائحـة الطعـام. ينبـض العـالم فجـأة بالحيـاة، ممتلئـا بأصـوات ضحـك النـاس وحديثهـم في كل مـكان مـن حولـه.

إنه يتنفس.

إنه يرمش.

يبتسم ويبكي.

ويتحرك أخيرا نحو جوليا.

الخاتمة

لا يمكن فهم الحياة إلا بالرجوع إلى الوراء، لكن لا بد من عيشها بالتقدم إلى الأمام.

سورين كيركجارد

باري

4 نوفمبر 2018

تحتـل المقهـى بقعـة فاتنـة عـلى ضفـاف نهـر هدسـون، في ظـلال طريـق ويسـت سـايد السريـع. يتشـارك بـاري وجوليـا عناقـا قصـيرا هشـا.

تسأله: "هل أنت بخير؟"

"نعم."

"أنا سعيدة لأنك جئت."

يجيئهـما نـادل ليتلقـى طلبيهـما مـن المشروبـات، ويثرثـران قليـلا حتـى تصـل القهـوة.

إنـه الأحـد، والحشـود الخارجـة لتنـاول وجبـة الإفطـار المتأخـر حـاضرة بكامـل قوتهـا، وفي البدايـة، وسـط الصمـت القاتـل مـع جوليـا، يراجـع بـاري ذكرياتـه.

ابنته ماتت منذ أحد عشر عاما.

بعدها بقليل طلقته جوليا.

لم يقابل قط ماركوس سليد أو آن ڤوس بيترز.

ولم يسافر عائدا قط إلى إحدى ذكرياته كي ينقذ ميجان.

متلازمة الذاكرة الزائفة لم تصب العالم قط.

لم تنحل خيوط الواقع والزمن قط في عقول المليارات.

ولم تقع عيناه قط على هيلينا سميث. أعمارهما الكثيرة التي قضياها معا محاولين إنقاذ العالم من تأثيرات الكرسي جرى نفيها إلى أرض الذاكرة الميتة اليباب.

لا شك - يمكنه الشعور بالأمر في صميم تكوينه.

هذا الخط الزمني هو الأول، الأصلي.

ينظر باري من وراء المائدة إلى جوليا ويقول: "من الطيب حقا أن أراكِ."

يتحدثان عن ميجان، عما يتخيل كل واحد منهما أنها كانت لتفعله بحياتها، وكل ما يمكن لباري فعله هو ألا يخبر جوليا أنه يعرف بالفعل. أنه قد رأى ذلك مباشرة في ذكرى بعيدة لا يمكن الوصول إليها. أن ابنتهما كانت لتغدو أكثر حيوية وأكثر إثارة للاهتمام وألطف مما يمكن لأي من تخميناتهما أن يبدأ في منحها حقها من الذكرى.

عندما يأتي الطعام، يتذكر ميجان وهي جالسة إلى المائدة معهما. ويقسم أن بمقدوره الشعور بحضورها تقريبا، مثل وهم الشعور بطرف مبتور. ورغم أن هذا مؤلم، إلا أنه لا يكسره بالطريقة التي كان يفعلها بها من قبل. تؤلمه ذكرى ابنته لأنه مر بشيء جميل رحل

مـن سـاعتها. نفـس الأمـر مـع جوليـا. نفـس الأمـر مـع كل الخسـارات التـي مـر بهـا.

في المـرة الأخـيرة التـي عـاش فيهـا هـذه اللحظـة مـع جوليـا، حكيـا ذكرياتهـما عـن رحلـة عائليـة إلى جبـال آديرونـداك، إلى بحـيرة دمعـة الغيـوم، منبـع الهدسـون.

والفراشة التي ظلت تحوم حوله جعلته يفكر في ميجان.

تقول جوليا: "تبدو أفضل حالا."

"فعلا؟"

"نعم."

إنهـا أواخـر الخريـف في المدينـة، وبـاري يعتقـد أن هـذا الواقـع يبـدو أكـثر صلابـة مـع مـرور كل دقيقـة. لا تحـولات تهـدد بانقـلاب كل شيء.

إنــه يتشــكك في ذكرياتــه عــن كل الخطـوط الزمنيـة الأخـرى. حتـى هيلينـا تبـدو أقـرب إلى وهـم خافـت مـن امـرأة لمسـها وأحبهـا.

مــا يبــدو حقيقيــا في هــذه اللحظــة ليــس ذكــراه الشــبحية عــن مشـاهدة موجـة صادمـة تبخـر الحـي الغـربي الشـمالي. مـا يبـدو حقيقيـا هـو أصـوات المدينـة، النـاس عـلى الموائـد في كل مـكان حولـه، زوجتـه السـابقة، الأنفـاس الداخلـة والخارجـة مـن رئتيـه.

بالنسبة للجميع إلاه، الماضي مفهوم مفرد.

بلا تواريخ متصارعة.

بلا ذكريات زائفة.

أما الخطوط الزمنية الميتة للفوضى والدمار فله وحده كي يتذكرها.

عندمـا تـأتي فاتـورة الحسـاب، تحـاول جوليـا أن تدفـع، لكنـه يخطـف الورقـة بعيـدا ويلقـي ببطاقتـه.

"أشكرك يا باري."

يمد يده عبر المائدة ويمسك بيدها، لامحا الدهشة في عينيها من هذه الإيماءة من الحميمية.

"أحتاج إلى أن أخبرك بشيء يا جوليا."

يتطلع إلى نهر هدسون. النسيم القادم من الماء يحمل لسعة باردة، والشمس دافئة على كتفيه. المراكب السياحية تقطع النهر جيئة وذهابا. ضوضاء المرور لا تتوقف على الطريق السريع في الأعلى. صفحة السماء مليئة بتقاطعات الخطوط البيضاء المتلاشية لألف طائرة نفاثة.

"كنت غاضبا منك لوقت طويل."

مكتبة
t.me/t_pdf

تقول: "أعرف.."

"ظننت أنك تركتيني بسبب ميجان."

"ربما. لا أعرف. كان الأمر أكبر من قدرتي على الاستمرار في تنفس نفس الهواء الذي تتنفسه في تلك الأيام السوداء."

يهز رأسه. "أعتقد أنه لو استطعنا أنا وأنت أن نعود إلى ما قبل موتها، حتى لو تمكنا بطريقة ما من منعه، كنت أيضا ستذهبين في طريقك، وسأمضي أنا في طريقي. أعتقد أنه كان مقدورا لنا أن نكون معا لوقت ما. ربما قصَّر فقد ميجان فترة الحياة بيننا، لكن حتى لو عاشت، كنا سنصبح مفترقين في هذه اللحظة."

"أتعتقد ذلك حقا؟"

"أعتقد، وآسف لأني تمسكت بالغضب. آسف لأني أرى هذا الآن فقط. لقد عشنا لحظات مثالية كثيرة، ولوقت طويل، لم أستطع أن أقدرها حق قدرها. لا يمكنني إلا أن أنظر ورائي في ندم. هذا هو ما أردت أن أخبرك به: لم أكن لأغير أي شيء. أنا سعيد لأنك دخلت حياتي

عندما دخلتيها. أنا سعيد بالوقت الذي قضيناه. أنا سعيد بميجان، وأنها جاءت منا نحن الاثنين. أنها لم يكن من الممكن أن تأتي من أي اثنين آخرين. لم أكن لأتراجع عن ثانية واحدة من كل هذا."

تمسح دمعة. "طوال هذه السنوات، ظننت أنك كنت تتمنى لو لم تقابلني قط. ظننت أنك تلومني لتدمير حياتك."

"كنت فقط أتألم."

تضغط على يده. "آسفة لأننا لم نكن الشخصين المناسبين لبعضنا البعض يا باري. أنت محق بشأن هذا، وأنا آسفة على كل شيء آخر."

باري

5 نوفمبر 2018

شقة الدور العلوي موجودة في الطابق الثالث لمستودع مُعدَّل في حي دوجباتش بسان فرانسيسكو، حي قديم لبناء السفن على الخليج.

يصفُّ باري سيارته المستأجرة على بعد ثلاثة بلوكات ويسير إلى مدخل المبنى.

الضباب كثيف للغاية حتى أنه يشوش حواف المدينة، ملقيا بطبقة رمادية على كل شيء ومبددا الضوء القادم من مصابيح الشارع، محولا إياها إلى أجرام أثيرية. يذكره هذا، من ناحية ما، بلوحة ألوان ذكرى ميتة، لكنه يحب ستار التخفي الذي يوفره.

امرأة خارجة لقضاء المساء تفتح الباب الأمامي. ينسل من جانبها ويدخل البهو، ثم يصعد رأسا مجموعتين من السلالم قبل أن يقطع ممرا طويلا نحو الوحدة 7.

يطرق الباب وينتظر.

لا أحد يجيب.

يطرق الباب مرة أخرى، بطريقة أقوي هذه المرة، وبعد لحظة، ينساب عبر الباب صوت رجل ناعم.

"من بالباب؟"

"المحقق ساتون." يتراجع باري ويرفع شارته إلى العين السحرية. "هل يمكن أن أتحدث معك؟"

"حول ماذا؟"

"فقط افتح الباب من فضلك."

تمر خمس ثوان.

يفكر باري: **هو لن يسمح لي بالدخول.**

يبعد شارته، وبينما يتراجع ليركل الباب، يأتي صوت سلسلة تنفك على الجانب الآخر، ومزلاج يُزاح.

يقف ماركوس سليد على العتبة.

"كيف يمكنني مساعدتك؟" يتساءل سليد.

يدخل باري متجاوزا إياه إلى شقة علوية صغيرة مليئة بالفوضى، لها نوافذ كبيرة تطل على حوض بناء سفن، والخليج، وأضواء أوكلاند وراءه.

"مكان لطيف.." يقول باري بينما يغلق سليد الباب.

يتحـرك بـاري نحـو منضـدة المطبـخ ويلتقـط تقويمـا رياضيـا للتسـعينيات، وبعـد ذلـك مجلـدا ضخـما بعنـوان (الكتـاب الأخـضر لشركـة أبحـاث الأوراق الماليـة SRC لــ 35 عامـا مـن الرسـوم البيانيـة التاريخيـة للأسـهم).

يسأله: "القليل من القراءات الخفيفة؟"

يبـدو سـليد متوتـرا ومنزعجـا. يضـع يديـه في جيبـي سـترته الصوفيـة الخـضراء، وتسـتمر عينـاه في الانتقـال إلى الأمـام وإلى الخلـف، وهـما ترمشـان في فواصـل زمنيـة غـير منتظمـة.

"ماذا تعمل يا سيد سليد؟"

"أعمل لصالح شركة إيون للصناعات."

"في أي قسم؟"

"الأبحاث والتطوير. أنا مساعد لواحدة من علمائهم الكبار."

"وأي نـوع مـن العمـل تقومـون بـه يـا شـباب؟" يسـأل بـاري، متصفحـا كومـة مـن الأوراق طُبعـت للتـو مـن موقـع إليكـتروني - **الأرقـام الفائـزة باليانصيـب تاريخيـا في كل ولايـة.**

يندفع سليد ويختطف الأوراق من يد باري.

"طبيعـة عملنـا محميـة باتفاقيـة عـدم الكشـف عـن المعلومـات. لمـاذا أنـت هنـا أيهـا المحقـق سـاتون؟"

"أنا أتحرى عن جريمة قتل."

يعتدل سليد. "من قُتل؟"

"حسـن، تلـك حالـة غريبـة." ينظـر بـاري في عينـيّ سـليد. "لم تحـدث بعـد."

"لا أفهم."

"أنا هنا بشأن جريمة قتل ستحدث في وقت لاحق الليلة."

يبتلع سليد ريقه، ويرمش. "وفيم يتعلق هذا بي؟"

"ستحدث في مكان عملك، واسم الضحية هيلينا سميث. تلك رئيستك، صحيح؟"

"نعم."

"وهي أيضا المرأة التي أحب."

سليد واقف في مقابل باري، وبينهما منضدة المطبخ، وقد اتسعت عيناه. يشير باري إلى الكتب. "إذن أنت تحفظ كل هذه الأشياء في ذاكرتك؟ بالتأكيد لا يمكنك أن تأخذها معك."

يفتح سليد فمه ويغلقه من جديد. ثم يقول: "أريدك أن ترحل."

"ستنجح بالمناسبة."

"لا أعرف عم تتكلم..."

"خطتك. ستنجح بشدة. ستصبح غنيا ومشهورا. لكن للأسف، ما ستفعله الليلة سيسبب معاناة للمليارات من الناس ونهاية الواقع والزمن كما نعرفهما."

"من تكون؟"

"مجرد شرطي من مدينة نيويورك." يحدق في سليد بقوة لمدة عشر ثوان طويلة.

"اخرج."

لا يتحرك باري. الصوت الوحيد في شقة الدور العلوي هو الصوت غير المنتظم لتنفس سليد المتسارع. يئز هاتف سليد على المنضدة. يلقي باري نظرة، ويرى رسالة نصية جديدة من "هيلينا سميث" تظهر على صفحة الشاشة الرئيسية.

بالتأكيد. يمكنني لقاؤك بعد ساعتين. ما المشكلة؟

أخيرا يتحرك باري نحو الباب.

قبل ثلاث خطوات منه يسمع **تكة**. وأخرى. وأخرى.

يلتفت ببطء وينظر عبر الشقة إلى سليد، الذي يحدق مصعوقا في المسدس .357 الذي كان سيقتل به هيلينا في خلال ساعات قليلة. يتطلع إلى باري، الذي كان ينبغي أن يكون متمددا على الأرض الآن، ينزف حتى الموت. يصوب سليد المسدس نحو باري ويجذب الزناد، لكنه لا يصدر إلا تكة خاوية من جديد.

يقول باري: "اقتحمت البيت في وقت سابق اليوم بينما كنت في العمل، وشحنت الخزانات بأغلفة قذائف فارغة. كنت بحاجة لأن أرى بنفسي ماذا كنت قادرا عليه."

ينظر سليد في اتجاه حجرة نومه.

"لا يوجد رصاص حي في البيت يا ماركوس. حسنٌ، هذا ليس صحيحا تماما." يسحب باري مسدسه الجلوك من جراب كتفه. "مسدسي مليء بها."

البار في حي ميشن، حانة أنيقة مكسوة حوائطها بألواح الخشب اسمها مونكس كيتل، نوافذها مغطاة ببخار الماء من الداخل في مواجهة الليل البارد والضبابي. لقد حكت له هيلينا عن هذا المكان في ثلاثة من أعمارهما على الأقل.

يخطو باري إلى الداخل، خارجا من الضباب، ويمرر أصابعه في شعره، الذي تبطط بفعل الرطوبة.

إنها ليلة الإثنين، والوقت متأخر، لذلك فإن المكان خالٍ تقريبا.

يلمحها جالسة في أقصى البار، وحيدة، منحنية على لابتوب. وبينما يقترب منها، تتوتر أعصابه - على نحو أسوأ بكثير مما توقع.

يجف فمه، وتتعرق يداه.

تبدو مختلفة كثيرا عن المرأة الدينامو التي قضى ستة أعمار معها. ترتدي سترة صوفية جذب قط أو كلب مائة خيط صغير منها، ونظارات ملطخة، وحتى شعرها مختلف - أطول ومجذوب إلى الوراء في ذيل حصان عملي.

وبينما يراقبها، يبدو جليا أن هوسها بكرسي الذاكرة قد استهلكها تماما، ويكسر هذا قلبه.

لا تتعرف عليه بأي شكل بينما يستوي على المقعد إلى جوار مقعدها.

يشم رائحة البيرة في أنفاسها، وفيما وراءها، العطر الأساسي الأرقّ لزوجته الذي كان ليعرفه في أي مكان، من بين مليون إنسان. يحاول ألا ينظر إليها، لكن انفعاله بالجلوس إلى جوارها أكبر مما يحتمل تقريبا. في المرة الأخيرة التي رأى فيها وجهها، كان يدق مسامير غطاء تابوتها المصنوع من خشب الصنوبر. وهكذا يجلس بهدوء إلى جوارها بينما تكتب رسالة إليكترونية، مفكرا في كل الأعمار التي تقاسماها.

اللحظات الجميلة.

اللحظات السيئة.

الوداعات، الميتات.

والتحيات الأولى، مثل هذه المرة.

مكتبة
t.me/t_pdf

مثل المرات الست التي جاءت إليه في ذلك البار البائس في بورتلاند عندما كان في الحادية والعشرين من عمره، وجلست إلى جواره متوددة، شابة، لامعة العينين، جميلة، ولا تخشى شيئا.

تبدو وكأنك تريد أن تدعوني إلى شراب.

يبتسم لنفسه، لأنها لا تبدو في هذه اللحظة من بعيد كمن يريد أن يدعو غريبا إلى شراب. تبدو، حسنا، مثل هيلينا - غارقة بعمق في عملها وغافلة عن العالم.

يأتي إليه الساقي، يطلب باري شرابا، وبعد ذلك يجلس مع بيرته، سائلا نفسه سؤال اللحظة - ماذا تقول لأشجع امرأة عرفتها في حياتك، والتي عشت معها نصف دستة حيوات استثنائية، التي أنقذت العالم معها، التي أنقذتك **أنت** بكل الطرق الممكنة، والتي لا فكرة لديها بوجودك أصلا؟

يأخذ باري رشفة من البيرة ويضع الكوب. يشعر أن الهواء مشحون كهربائيا، مثلما يكون بالضبط قبل عاصفة. وتتساقط الأسئلة في عقله...

هل ستعرفينني؟

هل ستصدقينني؟

هل ستحبينني؟

خائفا، مبتهجا، بحواس مرهفة، وقلب يدق بقوة، يلتفت أخيرا إلى هيلينا، التي - بعد أن تستشعر انتباهه إليها - تنظر إليه عبر هاتين العينين الخضراوين بلون الزمرد.

ويقول...

مكتبة
t.me/t_pdf

نبذة عن الكاتب

بليك كراوتش Blake Crouch

كاتب وسيناريست أمريكي من مواليد 1978. يُعد كراوتش من الأسماء المعروفة في قائمة أفضل الكُتّاب مبيعا؛ خاصة بثلاثيته *The Wayward Pines* التي صدرت ما بين 2012 و2014، وتحولت إلى مسلسل تليفزيوني عام 2015. صدرت روايته "المادة السوداء" عام 2016، وصدرت ترجمتها إلى العربية عن دار المحروسة عام 2019. يعيش في كولورادو مع زوجته جاك بن زكري وأطفالهما الثلاثة.

نبذة عن المترجم

عبد الرحيم يوسف

شاعر ومترجم مصري من مواليد 1975. صدر له سبعة دواوين بالعامية المصرية، وخمسة عشر كتابا مترجما، نشر عددًا من الترجمات الأدبية في جريدة أخبار الأدب المصرية وشارك كمحرر مساعد في مجلة (مينا) الثقافية التي صدر منها ثلاثة أعداد في الفترة من 2005 إلى 2009.. ترجم عددا من التقارير لمنظمة هيومان رايتس ووتش، ومكتب اليونسكو بألمانيا وصندوق الأمم المتحدة للسكان وموقع مدى مصر. وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب فرع ترجمة الأعمال الفكرية عام 2017 عن ترجمته لكتاب (ثلاث دراسات حول الأخلاق والفضيلة) لبرنارد ماندفيل.

مكتبة
telegram @t_pdf

استدعاء ذاتي

هل هذا ما يمر به كل إنسان عند الموت؟ النفق والضوء؟ هذه الجنة الزائفة؟ هل يعني هذا أني فشلت في إنعاش الخط الزمني الأصلي وانتهى العالم؟ أم أني خارج الزمان، أنجذب إلى داخل الثقب الأسود الساحق، ثقب ذكرياتي الأسود؟ ... لا أريد أن أنظر إلى الوراء أكثر من هذا. أنا مستعد لتقبل أن وجودي سيشمل الألم أحيانًا. لا مزيد من محاولات الهرب، الحياة بشفرة للغش ليست حياة. وجودنا ليس شيئًا نهندسه أو نحسنه كي نتجنب الألم. هذا ما يعنيه أن تكون إنسانًا؛ الجمال والألم لا معنى لأحدهما دون الآخر.

"رواية خيال علمي مثيرة أخرى لصاحب (المادة السوداء) يخلط فيها كراوتش ببراعة بين العلم واللغز، ليُخرج لنا -بخبرةٍ- ما يعنيه أن تكون الإنسانية بعمق"
نيوزويك

"رحلة تثير الهلاوس عبر درب الذاكرة. إن عبقرية كراوتش قادرة على مجابهة التحدي الذي وضعه أمامه للتغلب على بنية الزمن نفسه" – تايم.
"بالقطع رواية لا يمكنك أن تنساها وأنت تحزم حقيبتك لقضاء إجازة (...) ينفخ كراوتش الحياة في المادة بمزيج من العاطفة والذكاء والتأملات الفلسفية"
إنترتينمنت ويكلي

الغلاف عمر مصطفى

ISBN 978-977-313-822-6
9 789773 138226

مركز المحروسة للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات